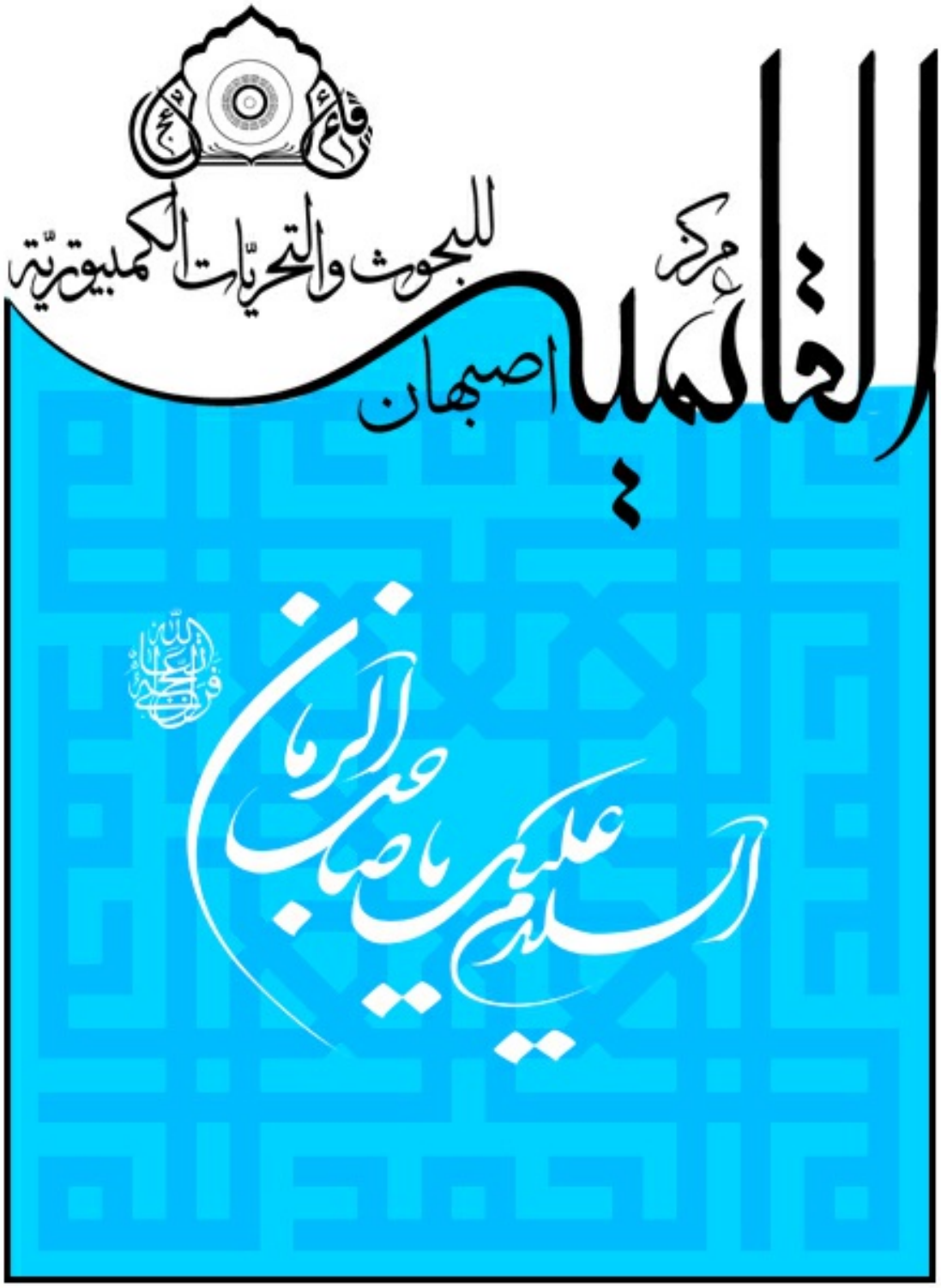

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الزهراء فاطمه
بنت محمد عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحیم

الزهراء فاطمه بنت محمد عليهما السلام

كاتب:

عبدالزهراء عثمان محمد (عز الدين سليم)

نشرت فى الطباعة:

مجهول (بى جا ، بى نا)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الزهراء فاطمه بنت محمد علیها السلام ----- ۸
اشاره ----- ۸
الاهداء ----- ۸
آیات من کتاب الله ----- ۸
کلمات مشرقه ----- ۹
مقدمه الکتاب ----- ۹
المدخل ----- ۱۱
یوم سعید ----- ۱۸
فی معسکر الإیمان ----- ۲۱
فی الطریق الی یثرب ----- ۲۷
بیت جدید ----- ۳۰
مراسیم الزواج ----- ۴۰
الغرس المبارک ----- ۴۶
الزهراء فی منطق الرساله الإسلامیه ----- ۵۳
فی نظر القرآن الکریم ----- ۵۳
فی ظلال السنه الشریفه ----- ۶۴
اشاره ----- ۶۴
نقاط مضیئه ----- ۷۰
من بوادر المأساه ----- ۷۶
الخطب الجلل ----- ۷۶
هبوب العاصفه ----- ۸۲
وقفه علی اطلال فدک ----- ۸۶
الحجج الناصعه ----- ۸۷

تقديم الموقف ---- ۹۲
فی ذمه الخلود ---- ۹۶
اضواء علی تراث الزهراء ---- ۱۰۶
تمهید ---- ۱۰۶
ابعاد الجاهلیه ---- ۱۰۹
فلسفه الإسلام فی منطق الزهراء ---- ۱۱۳
اشاره ---- ۱۱۳
الجانب العقیدی ---- ۱۱۴
الاطار المذهبی ---- ۱۱۶
والصلاه تنزیها لکم عن الکبر ---- ۱۱۷
والزکاه تزکیه للنفس ونماء فی الرزق ---- ۱۱۹
والصیام تثبیتا للاخلاص ---- ۱۲۴
والحج تشییدا للدین ---- ۱۲۶
والعدل تنسیقا للقلوب ---- ۱۲۷
و طاعتنا نظاما للمله و امامتنا امانا من الفرقه ---- ۱۲۹
والجهاد عزا للاسلام و ذلا لاهل الکفر والنفاق ---- ۱۳۲
والصبر معونه علی استیجاب الاجر ---- ۱۳۴
والامر بالمعروف والنهی عن المنکر مصلحه للعامه ---- ۱۳۵
و بر الوالدین وقایه من السخط ---- ۱۳۸
وصله الارحام منساه فی العمر و منماه فی العدد ---- ۱۳۹
والقصاص حقنا للدماء ---- ۱۴۰
والوفاء بالنذر تعریضا للمغفره ---- ۱۴۱
و توفیه المکائیل والموازین تغییرا للبخسه ---- ۱۴۲
والنهی عن شرب الخمر تنزیها عن الرجس ---- ۱۴۳
واجتناب القذف حجابا عن اللعنه و ترک السرقه ایجابا للعفه ---- ۱۴۴
نهایه المطاف ---- ۱۴۵

کتابک ---------- ۱۵۱
پاورقی ---------- ۱۵۲
تعریف مرکز ---------- ۱۶۵

الزهراء فاطمه بنت محمد علیها السلام

اشاره

سرشناسه : سلیم، عز الدین عنوان و نام پدیدآور : الزهراء فاطمه بنت محمد علیها السلام/عبد الزهرا عثمان محمد (عز الدین سلیم) مشخصات نشر : [بی جا]: مهدی یار، ۱۴۲۷ق=۲۰۰۷م=۱۳۸۶. مشخصات ظاهری : ۳۳۱ص. وضعیت فهرست نویسی : در انتظار فهرستنویسی شماره کتابشناسی ملی : ۱۰۹۶۶۸۸

الاهداء

الکتابُ الذی احرز الجائزه الثانیه فی مُباراه التألیف عن حیاه

الصدیقه الزهراء علیها السلام.

إلیک یا رسول الله (صلی الله علیه وآله)

وأنت یا أمیر المؤمنین (علیه السلام)

أرفع هذا المجهود الضّئیل

راجیاً قبوله منکما

المؤلف

[صفحه ۷]

آیات من کتاب الله

بسم الله الرحمن الرحیم

«إنما یُرید الله لیذهِب عنکُم الرجس أهلَ البیتِ ویُطهرکم تطهرا».

«قُل لا أسألُکم علیهِ أجراً إلّا المودهَ فی القربی».

«فَمَن حاجّک فیه من بعدِ ما جاءک منَ العلمِ فقُل تعالوا ندعُ أبناءنا

وأبناءکم ونِساءنا ونساءکُم وأنفُسنا وأنفسکُم ثم نبتهل فنجعل لعنه الله علی الکاذبین».

[صفحه ۹]

كلمات مشرقه

«... فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاه تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاه تزكيهً للنفّس ونماء فى الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدّين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّه، وإمامتنا أماناً من الفرقه والجهاد عزّاً للإسلام وذلاً ـ لأهل الكفر والنّفاق، والصبر معونه على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مصلحه للعامّه، وبرّ الوالدين وقايهً من السخط، وصله الأرحام منسأهً فى العمر ومنماهً فى العدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنّذر تعريضاً للمغفره، وتوفيه المكاييل والموازين تغييراً للبخسه، والنهى عن الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنه، وترك السرقه ايجاباً للعفه، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبيه، فاتقوا الله حق تُقاته ولا ـ تموتُن إلاّ ـ وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه فإنّما يخشى الله من عباده العلماء...».

الصديقه الزهراء

[صفحه ١١]

مقدمه الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

امتلأت نفسى ارتياحا حين نُبئت بالمسابقه التى دعت إليها «مكتبه العلمين» الموقّره فى النجف الاشرف لتأليف كتاب مستقل عن شخصيه الزهراء فاطمه بنت محمد (صلى الله عليه وآله)، وعلّه ارتياحى لهذا النَّبأ: أنّ كثيرا من شباب أُمتنا اليوم تجهل الكثير عن أهل البيت (عليهم السلام) وليس بدعاً من الأمر حين نقول ذلك، لأنّ شباب الأُمه اليوم قد فقدوا الدّافع الذى يدفعهم للبحث عن الشّخصيات الإسلاميه بعد أن جهلوا الإسلام برمّته، وجذبتهم الألوان التى زُيّنت بها حضاره الغرب الجاهلى، واغترّوا بها وركضوا خلف سرابها الموهوم، وثمه نقطه أخرى تؤصّل هذه المأساه، أنّ الشباب المعاصر ليس فى وسعه الحصول على كتب مبّسطه تنطق بلغه العصر، تعرض حياه هؤلاء القاده من أهل البيت (عليهم السلام) لأنّ أكثر أئمه أهل البيت ما زالت

حیـاتهم مبعثره فی کتب السیره القـدیمه بترتیب لاـ یستسیغه شـباب الیوم الـذی اعتـاد علی المجلاـت الملونه والجرائـد المنمّقه والکتب الجذابه، وحین تکون الکتب القدیمه بأسالیبها غیر المسـتساغه الیوم من العوامل التی تسـهم فی عملیه جهل شـبابنا بسیره أهل البیت (علیهم السلام) فقد أصبح لزاماً علی ذوی الإحاطه بسیره أهل البیت (علیهم السلام) أن یقوموا بمهمه التألیف بأسلوب عصریّ عن

[صفحه ۱۲]

هـذه السّـیره الجلیله. وحین یتولّون هـذه المهمه فإنّما یتولّونها کجزء من عملهم کـدعاه الله ونهجه المقدّس، لأن تبیان سـیره أهل البیت (علیهم السـلام) یمثّل التجسـید الحیّ للرساله الإسـلامیه برمّتها، فهؤلاء القاده قـد هظموا الإسـلام بطابعه الأصـیل فتمثل فی واقع حیاتهم کلّها، فهم فی الفکر وفی السّلوک وفی العواطف وکلّ الوان نشاطاتهم إسلام یسیر علی الأرض.

والباحث فی حیاتهم لا یتناول جانباً منها حتی یلمس جانباً من المنهـج الإلهی قد انعکس واقعاً متحرّکاً حیاً ونحن حین نقول هذا لم نکن لننطلق بدافع عاطفی ینبثق من حبنا لأهل البیت (علیهم السـلام) وإنّما نبنی هذه الحقیقه علی أساس رصـین من أحکام لا تقبل النقد أو الرد کقوله تعالی: «إنما یرید الله لیذهب عنکم الرجس أهل البیت ویطهرکم تطهیراً».

فأهـل البیت (علیهم السـلام) قـد طهّرهم الله عقلاًـ ومنطقـاً وسـلوکاً من کـلّ آثـار الجاهلیه فعادوا وهم یحملون طابعاً کلّه قدسـیّه وطهاره مطبوعه بطابع منهـج الله سـبحانه الذی لا یأتیه الباطل من بین یدیه ولا من خلفه، وحین یکون أهل البیت (علیهم السـلام) قد أحتلُّوا هذا المقام السّامی فی الشّـرع الإسلامی المقدس فقد انطلق الرسول الأکرم لتبیان هذه الحقیقه حین أعلن لأمّته موضّحاً قیمه أهل بیته (علیهم السلام) بقوله: «إنی خلفت فیکم ما إن تمسّکتم بهما

لن تضلّوا بعدی: کتاب الله وعترتی أهل بیتی فانظروا کیف تخلفونی فیهما».

فهم علی هـذا الأسـاس ترجمـان القرآن وصوره حیّه لمبـادئه السـماویه المقـدّسه، فالکتاب قرآن صامت وهم قرآن ناطق، وحین یتبوأ أهل البیت (علیهم السـلام) هذا المقام الکریم عند الله ورسالته الخالده فقد أصـبح لزاماً علی المنظّمات والهیئات الإجتماعیه والثقـافیه أن تحـذو حـذو «مکتبه العلمین الموقّره» فی شـحذ الهمم بوسائـل مادّیه أو معنویه للتألیف عن سـیره أهل البیت (علیهم السلام) لکی یجد شبابنا ما یسد فراغهم من کتب سیره مبسطه تلهمهم معرفه حیّهً بالرساله الإسلامیه.

ونحن حین نتنـاول الحـدیث عن الزهراء (علیهـا السـلام) بصـفتها غرس النبـوه وشـجره الإمـامه فإنّمـا تنکشـف لنـا أبعـاد الرسـاله الإسلامیه بطابع تجسیدی نلمسه فی

[صفحه ۱۳]

کـلّ جـانب من جوانب شخصـیتها (علیهـا السـلام) ونحن نتابعها، ففی قرانها بعلی بن أبی طالب (علیه السـلام) تنجلی لنا الصوره الحیّه التی رسـمها الإسـلام للقرآن الـذی ارتضاه خالق هذا الوجود، وفی مواقفها البطولیه بعد وفاه أبیها یتکشف لنا المدی البعید الـذی رسـمه الإسـلام للمرأه من حقوق وواجبـات ومـدی فاعلیتهـا فی بنـاء المجتمع الإسـلامی، وعلی هـذا الأسـاس تقاس سائر جوانب شخصـیّه الزهراء (علیها السـلام) وسـیدرک القارىء الکریم إن شاء الله هـذه الحقیقه عنـد متابعته لهـذا البحث المتواضع، ومن الله تعالی نستمد العون والسداد إنّه سمیع مجیب.

المؤلف

عبد الزهراء عثمان محمد

قرنه هویر

[صفحه ۱۷]

المدخل

زفت البشـری إلی عبد المطّلب شـریف مکه بمیلاد محمد (صلی الله علیه وآله) فأشرق وجهه وتهلّل فرحاً لهذا النبأ لأنّه وجد فی هذا الولید الجدید خلفاً لابنه الفقید عبدالله الذی ملأ قلب أبیه أسیً وألماً. وهبّ الشیخ الکریم

إلى بيت اليتيم ليستقبل وديعه ولده الفقيد، وكان أول واجب أدّاه الرّجل الحنون هو تسميته ب «محمد»، ومنحت آمنه وليدها كلّ رقّه وحنان حتى أصبح فى عمر يستحق بعثه إلى المراضع فى البادیه كما هى العاده التى يتّبعها الآباء لتربيه أبنائهم تربيه ينهضون على أساسها بأعباء الحياه القاسيه التى يحياها إنسان الصّحراء من فروسيه وركوب خيل وحمل سلاح وغير ذلك.

وأرسل عبدالمطلب الحنون وديعته إلى الباديه حيث تولّت حليمه السّعديه تربيته، ويترعرع محمد (صلى الله عليه وآله) فى حضن مربّيته الجديده ويعمّ الخصب كلّ الحى الذى نشأ فيه فضلاً عن البيت الذى تولّى مسؤوليه رعايته وتنشئته.

وتمضى الأيام وتنتهى الفتره التى أُعدت لتربيه الطفل اليتيم، ويعود إلى أمُه ليحظى من جديد بحنانها وإخلاصها المنقطع النظير، وليتفيّأ تحت ظلالها الوارفه، ولكن لفتره قصيره، إذ تعاجله يد المنون فتخطف أُمّه وتسلّمه ليتم جديد، بل لتعمّق آثار اليتم وتؤصّلها فى نفسه، وتتسلّمه يد عبد المطلب الأمينه لتواصل رعايته بعيداً عن آثار اليتم وذكريات الماضى، وتفيّأ الصبى محمد (صلى الله عليه وآله) من ظلال جدّه الحنون، ولكنّ الموت عاجله فغيب شخص جدّه عبد المطلب عنه، فعادت أشباح اليتم بضراوتها لتخيّم على محمد (صلى الله عليه وآله) من جديد.

ويسرع أبو طالب عمُّه الكريم ليسد الثغره التى حدثت فى حياه ابن أخيه، وليؤدّ وصيّه أبيه بشأن حبيبه محمد حيث ورّثه وصيّه خالده ما دامت السماوات والارض:

«اُنظر يا أبا طالب أن تكون حافظاً لهذا الوحيد الذى لم يشم رائحه أبيه ولم يذق شفقه أُمه، اُنظر أن يكون من جسدك بمنزله كبدك.. فإنى قد تركت بنىّ كلّهم وخصصتك به لأنّك من أُمّ أبيه...».

وينتقل محمد (صلى الله

علیه وآله) إلی بیت عمّه أبی طالب لیجد الرّحمه والحنان ترفرف فوق رأسه لتنسیه آلام حزنه وکآبته التی نالته بعد فقد أمه وجدّه بعد أبیه، ویترعرع

[صفحه ۱۸]

محمد (صلی الله علیه وآله) وهو یتذوق طعم الحنان بأجلی صوره فهو یتمتع بشفقه الأُبوه متمثّله بشخص عمّه أبی طالب، وبحدب الأُمومه متمثّلاً بشخص زوجه عمه فاطمه بنت أسد التی وجد فیها الأُمّ الرؤوم التی احتضنته کما احتضنت ولیدها علیّاً (علیه السلام) وإلی جانب هذه اللذّه التی ذاق محمد طعمها وجد لذه الإلفه والإنسجام الروحی بینه وبین ابن عمّه علی (علیه السلام) حیث وجد فیه خیر صفیّ له فی فتوته، ویسخّر أبو طالب کلّ طاقاته المعنویّه والمادیّه لأجل محمد ودیعه أبیه العزیز، فوجد محمد (صلی الله علیه وآله) فی عمّه هالهً من العاطفه الخیّره تجاهه حتی صحبه فی اسفاره إلی بلاد الشام.

وترعرع الفتی فی بیت عمّه وراح ینفرد عن قومه فی لون حیاته الخاصه والعامه، فالصدق والأمانه والوفاء وحسن الخلق وجفاء الأصنام والعقائد السائده، کلّ ذلک کان دیدنه (صلی الله علیه وآله) حتی اعتادت قریش أن تسمّیه «الصادق الأمین» وقد احتکمت لدیه فی رفع الحجر الاسود عند بناء البیت فحلّ خصومتهم بإحضاره ثوباً وضع فی وسطه الحجر الأسود وأمر کلّ قبیله أن ترفع طرفاً من أطراف الثوب، وعند وصوله إلی المکان المعد له أنزله من الثوب. وقضی بذلک بینهم قضاءً حقن لهم دماءهم مما جعل صیته تتحدث به أندیه مکّه وغیرها، وبلغ صیته النساء القرشّیات فأُعجبن ومن بین النساء اللواتی طرق سمعها حدیث محمد (صلی الله علیه وآله) خدیجه بنت خویلد الإمرأه القرشیّه التی عرفت بثروتها وشرفها وعفّتها، وکانت قد فقدت زوجها

واختزلت من عمرها زمناً دون زواج.

سمعت هذه المرأه الثريه عن محمد (صلى الله عليه وآله) الشيء الكثير وراحت تستقصى أنباءه كلّ حين، وبلغها يوماً أنّ محمداً يفتش عن مال ينطلق به مع القافله إلى بلاد الشام للمتاجره هناك حيث اعتاد عرب الحجاز يومذاك أن يتاجروا مع بلاد الشام أو الحبشه حيث كانت مكه سوقاً عالميّه ومفترق طرق التجاره بين الشمال والجنوب، وتجد خديجه هوىً فى نفسها لمدّ محمد بما يحتاج إليه من مال شريطه أن يكون لها نصيب من الرّبح الذى يكسبه، وبعثت لذلك غلامها «ميسره» بغيه التفاوض مع محمد.

وعلى الفور يتّفق الطرفان ويسافر محمد وميسره فى تجارتها إلى الشام، وما هى إلاّ ايام ويعودان وهما يصحبان ربحاً وفيراً، ويسرع ميسره إلى سيدته ليبشرها بنتائج الرحله، ولكنها لم تكترث للمال، بل راحت تستفسر عن سلوك محمد، خلال

[صفحه ۱۹]

الرّحله، وراح ميسره يوضّح ما رآه عن محمد، فما كان من خديجه إلاّ أن يشرق وجهها بالبشر والأمل، الأمل الكثير الذى تنتظره، وهنا تزداد ثقه مما سمعته من الأنباء المثيره عنه، وهنا تتحدّى خديجه التقليد الذى اعتاد عليه الناس يومذاك حيث تبعث أُختها هاله أو نفيسه بنت منبه على قول لتتصل بمحمد، فتعرض عليه رغبتها فى الزواج منه، فيجد محمد (صلى الله عليه وآله) هوىً فى نفسه للفكره، التى عرضت عليه، فيتّصل بأعمامه ليشرح لهم ما جرى بينه وبين ممثله خديجه، فيستقبل أبو طالب وهو زعيم مكه وشريف العرب يومذاك هذا العرض بكلّ رحابه صدر واطمئنان، ويتّصل بذوى خديجه ليخطبها منهم مفتتحاً حديثه بالكلمه القصيره الآتيه:

«الحمد لله الذى جعلنا من زرع إبراهيم

وذريّه إسماعيل، وجعل لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على النّاس، وبارك لنا فى بلدنا الذى نحن به ثم إنّ ابن اخى محمد بن عبدالله لا يوازن برجل من قريش إلا رجح، ولا يقاس بأحد إلا عظم عنه، وإن كان فى المال قُلّ، فإنّ المال رزق حائل وظلٌّ زائل، وله فى خديجه رغبه ولها فيه رغبه، وصداق ما سألتموه عاجله من مالى وله والله خطب «عظيم، ونبأ شائع».

وبعد مناقشات مع عمّها عمرو بن أسد، قبل العرض وزوج ابنه أخيه إلى محمد (صلى الله عليه وآله)، ويعانق قلب محمد (صلى الله عليه وآله) قلب خديجه وتنسجم روحاهما فى وقت كان محمد (صلى الله عليه وآله) يبلغ الخامسه والعشرين سنه من عمره، ويبلغ عمر خديجه الأربعين سنه.

وتمر الأيام سريعه يعيش فيها محمد وخديجه عيشه هانئه نديّه، يقضى فيها محمد أكثر أوقاته بعيداً عن غوغاء الجاهليه وضجيجها فى «غار حراء» خارج مكه متأملاً فى أوضاع قومه المترديه، متفكراً فى ملكوت الله سبحانه، وخديجه تشاركه أحاسيسه ومشاعره بقلب يفيض بالحبّ والوفاء، وهى فى داخل بيتها، ويبلغ محمد (صلى الله عليه وآله) الأربعين من عمره، ويطالعه الوحى ليكلّفه مسؤوليه حمل رساله الإسلام رساله السّماء وتبليغها للمجموعه البشريّه، فيستمع إلى أول بيان إلهى ليتحمّل أعباء الرساله:

[صفحه ٢٠]

«إقرأ باسم ربّك الذى خلق خلق الإنسان من علق إقرأ وربُّك الأكرم الذى علّم بالقلم علّم الإنسان ما لَم يعلم....».

ويعود محمد وهو يحمل نبأ تكليفه بحمل الهدايه إلى الإنسانيّه، يعود من «حراء» إلى بيته فتستقبله خديجه الوفيه، فيبشرها بما رأى، فتصدّقه وتؤمن به، ويصدّقه على (عليه السلام) حيث

كان يافعاً وقد ربّاه محمد فی بیته بعد أن أملق عمّه أبو طالب، وتنشأ أول نواه فی الأرض لخلق «خیر أمّه أخرجت للنّاس...».

ویحس محمد (صلی الله علیه وآله) بدوّار وتعب فیطلب لخدیجه أن تدثّره لینام قلیلاً ولکنّه فوجیء ببیان السّماء للنُّهوض بأعباء الدعوه وأن یضم إلی جانب حمل الرساله حمل الدعوه لها:

«یا أیها المُدثر قم فأنذر، وربک فکبّر، وثیابک فطهّر، والرجز فاهجر، ولا تمنن تستکثر؛ ولربّک فاصبر»...

ونهض لینفذ نداء السّماء، فیتّصل بأصدقائه وممن یثقون بصدقه وأمانته سابقاً، فصدّقه بعضهم. واستمر الرّسول (صلی الله علیه وآله) یدعو بصوره فردیّه لأنّ الظروف یومئذ لا تسمح إلاّ بسریه الدعوه، واستمر یعمل طبقاً لهذا المنهاج ثلاث سنین لتثقیف أتباعه فی دار الأرقم المخزومی، ولکنّ هذه الفتره من عمر الدّعوه لم یکسب فیها غیر زهاء الأربعین شخصاً، أکثرهم من الفتیان والفقراء، وفی أحد الأیّام تلقّی محمد (صلی الله علیه وآله) بیاناً کلّفه بالإنتقال إلی مرحلهٍ جدیدهٍ من مراحل الدعوه المبارکه: «وأنذر عشیرتک الاقربین، واخفض جناحک لمن اتبعک من المؤمنین».

وبهذا النّداء الإلهی القویم یدخل الرسول (صلی الله علیه وآله) مرحله جدیده: مرحله إنذار عشیرته وکان ذلک بسبب الحیاه القبلیّه التی یعتمد علیها المجتمع المکّی بل الحجازی یومذاک.

ویدعو محمد (صلی الله علیه وآله) عمومته وأبناء عشیرته من بنی هاشم لیتناولوا ولیمه أقامها لهم فی بیته، ویعلن لهم: أنّه مرسل من الله، وأنهم مطالبون بتصدیقه واتّباعه، لکنّه فوجیء باستهزاء عمّه عبد العزی ابن عبد المطلب المعروف بأبی لهب، فعرقل مسیرته بکلمته الهوجاء مخاطباً بنی هاشم: «خذوا علی یدی صاحبکم قبل أن یأخذ علی یده غیرکم، فإن منعتموه قتلتم وإن ترکتموه ذللتم».

ولكنّ أبا طالب الرّجل المؤمن الفذ ردّ أبا لهب ردّاً عنيفاً بقوله:

«يا عوره، والله لننصرنّه ثم لنعيننّه. يا ابن أخى، إذا أردت، أن تدعو إلى ربّك فأعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح..».

وتتحدث أنديه مكه بخبر محمد (صلى الله عليه وآله) ويؤلف أبو لهب حزباً لمقاومه الرسول (صلى الله عليه وآله) فكان يخرج إلى أحياء مكه واسواقها بحثاً عن محمد (صلى الله عليه وآله)، وكلّما وجده مع قوم أفسد عليه أمره ومنعه من تبليغ رسالته ووقفت قريش فى وجه محمد وأصحابه آخذه بمبدأ أبى لهب العدوّ اللدود الطليعى لله ورسالته ورسوله، وكان أوّل ما فكرت به قريش هو اتباع الطريقه السلميّه فى مواجهه الدعوه عن طريق مفاوضات تطفح بالمساومات والإغراء بالمال والجاه والسلطان.

وكان يمثل محمداً فى هذه المفاوضات عمّه الوفىّ أبو طالب، وكانت قريش تأمل أن يتنازل محمد عن دعوته تحت مطارق إغرائه بالمال وغيره، ولكنّه صرّح بكلمه عنيفه وضح فيها تصميمه الثابت على دعوته لأنّها دعوه الله، فلا تخضع للمساومات والإغراء:

«يا عمُّ، لو وضعوا الشمس فى يمينى، والقمر فى شمالى: على أن أترك هذا الأمر، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه....».

وبهذه الكلمه الصّريحه الخالده قطع محمد (صلى الله عليه وآله) هذه المفاوضات فارتدت قريش على أدبارها مهزومه، وكان لا بدّ لها من تبرير لهزيمتها الفظيعه، ففكرت باتّباع سياسه التنكيل والتشريد لأتباع محمد (صلى الله عليه وآله) حتى ينفضوا فتموت الدّعوه فى مهدها، ونفذ هذا المخطط بحذافيره، فكانت أسواق مكّه تضج بهتاف الدّعاه الأبرار وهم يهتفون: أحد، أحد وكان ضحيه هذه الخطه الهوجاء ياسر وسميه حتى فارقا الحياه.

ويمر محمد على مسرح التّعذيب فيثير

حماس الصّابرين بقوله: «صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنّه».

فيزداد هتافهم لله حتّى تصعد أرواحهم إليه راضيه مرضيّه، ولم يقف التنكيل على أشخاص الصّحابه الأبرار وإنّما تعدّى إلى شخص الرّسول القائد نفسه حيث

[صفحه ۲۲]

كان أبو لهب وزبانيته يلقون عليه الأحجار ويضعون الشّوك فى طريقه ليلاً، فكم كانت الدّماء تسيل من أعضائه الطاهره ولكنّه يستقبلها بكلمته الهادئه: «اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون».

[صفحه ۲۵]

يوم سعيد

وفى مثل هذا الظّرف الدّقيق الّذى تمرُّ به الدعوه الإسلاميه حيث يلتحم معسكر الإيمان وهو ما زال غضّاً مع معسكر الوثنيه بقوّته وجبروته. وفى مثل هذه المعركه الضاربه بين رساله السماء وفوضى الجاهليه، وفى أقسى الظروف التى تمرُ بها الرساله الإسلاميه المباركه، يعلن البيت النبوى بيت الرساله نبأ ميلاد فاطمه بنت محمد (صلى الله عليه وآله).

ولدت فاطمه المباركه فى وقت كانت أُمها قد قوطعت نهائياً من جميع النساء القرشيات، أُسوه برجالهن الّذين قاطعوا محمداً المنقذ (صلى الله عليه وآله). وحين يكون بيت الرساله قد قوطع من قريش هذه المقاطعه العنيفه، وحين يحاصر هذا الحصار الشاق، فلا بد للسماء أن تحطم هذه الأغلال وتقهرها أمام عمل غيبى مشهود، فما دام أهل الأرض وأهل الدنيا وهم منغمسون فى جاهليه جهلاء قد تعاهدوا على محاصره محمد وأهل بيته (عليهم السلام) فالسماء مستعده لنصرته ونصره من يحذو حذوهم..

أنّى كان لون ذلك النصر والعون، ماديّاً كان أم معنويّاً، وليس ذلك بعسير على الله سبحانه، وليس من المستحيل عليه، وإن تشككت به بعض العقول المعاصره، لأنّ هذا الشك المرير الذى تحياه بعض النفوس اليوم ما هو إلّا

نتيجه لجذب النّفوس من الإيمان بالله سبحانه، فلو امنت النُّفوس بالله وقدّر الناس ربهم حقّ قدره، لعلموا مدى قدرته وأبعاد حكمته وإطار علمه، ولكن الجدب الروحى والفكرى هو الذى يملى الظنون وإنكار كلّ شىء لا يخضع للحس.

أجل امتدّت يد السّماء الكريمه لتشارك خديجه فى مراسيم ولادتها لفاطمه، وفعلاً دخلت على خديجه نساءٌ سمر طوال كأنّهن من نساء قريش ولسن منهنَ، وإنما جئن من خارج هذا العالم المحسوس، جئن من العالم الذى حجبت أبصارنا عن رؤيته، جئن من عالم الآخره ليلين من بنت خويلد كما تلى النساء من النساء أثناء الولاده.

وتتحفنا روايات التأريخ الإسلامى: أنّ النساء اللائى زرن خديجه هنّ: حوّاء وآسيا بنت مزاحم وكلثم أُخت موسى ومريم بنت عمران [١] .

[صفحه ٢۶]

وتضع خديجه ابنتها الزّهراء، فيذاع النّبأ، وتردّد أصداؤه فى كل أُفق ليبلغ كلّ مجاهدٍ من أتباع محمد (صلى الله عليه وآله)....

ولدت فاطمه المباركه فى وقت كانت أُمُّها تنتظر مولودتها بفارغ صبر ولهفه شوق لتميط عنها الوحشه التى فرضتها عليها قريش.

وكان لهذا النّبأ صداه العميق فى النفوس المجاهده الصّابره فى المعترك وفى جميع الجبهات التى تملكها دعوه الله فى مكه، وسرى النّبأ إلى القائد محمد (صلى الله عليه وآله) فأشرق وجهه بالبشر وتهلل فرحاً وسروراً، وأسرع إلى خديجه ليبارك لها فى مولودتها المباركه، وكان أول بادره فاه بها (صلى الله عليه وآله): أن دعاها بفاطمه ولقّبها بالزّهراء...

وراحت تتغذّى بلبن أُمها السيّده خديجه مشوباً بالهدايه، فراحت تنمو روحياً وفكرياً كما تنمو جسميّاً وفسيولوجيّاً، وكان اهتمام محمد بها منقطع النّظير، ولكنّ هذا الإهتمام لم يكن مجرد اهتمام عاطفىّ تفرضه عاطفه الابوه فحسب بل كان هذا الإهتمام

مقصوداً وهادفاً، حيث رأى الرسول (صلى الله عليه وآله) فى ولاده فاطمه ولاده الإمداد الرّسالى لأنّ فاطمه ستكون وعلىّ (عليه السلام) مدرسه يتخرّج فى أحضانها قاده الأمه المخلصين المتمثلين بأئمه أهل بيت الرساله المعصومين الأئمه الإثنى عشر

وهنا تتجلّى حقيقه أُخرى: هى أنّ اليد التى صنعت من فاطمه أُمّاً للقاده المعصومين هى نفسها اليد التى صنعت من علىّ بن أبى طالب (عليه السلام) أباً وزعيماً لهم حيث كان الرسول (صلى الله عليه وآله) قد ربّى علياً فى بيته يوم أملق عمّه، فلم يكن اختياره لعلىّ قد صدر كما تصدر الأعمال العفويه وإنما كان ذلك وفق تصميم غيبىٍّ رصينٍ لكى تكون بيئه علىٍّ هى نفسها بيئه فاطمه... ولكى يكون التوجه واحداً والتربيه واحده، ولكى ينشىء علىّ وفاطمه بعد زمن مدرسه الإمامه لتكون الإمداد الرسالى لرساله محمد (صلى الله عليه وآله) وفقاً للإراده الإلهيه المرسومه.

ونحن لا نثق مطلقاً بالأباطيل التى تدّعى أنّ محمداً قد ربّى علياً لمجرد صدفه غير مقصوده، بل إنّنا نرى فى هذه الأقوال حطاً من شخصيه الرسول المعصوم (صلى الله عليه وآله) لأنّ أهل المذاهب الإجتماعيه الهابطه إنّما يتصرفون فى حياتهم تصرّفاً هادفاً فى شتى مجالات نشاطهم، ففى سلوكهم وفى علاقاتهم مع الآخرين، كلّ ذلك بغيه إنجاح مذاهبهم وتثبيت دعائمها، فكيف بمن اختاره الله سبحانه لحمل الرساله

[صفحه ٢٧]

الخاتمه للعالمين: «وما ارسلناك إلّا رحمه للعالمين». فهل يسير فى حياته طبقاً للصّدف والظروف؟ نحن لا نرتضى ذلك أبداً، بل إنّ عقيدتنا لا تسمح لنا بترديد هذه النغمات على الإطلاق، فضلاً عن الاعتقاد بها.

وقد أثبتت الأدله التاريخيه القاطعه: أنّ محمداً القائد (صلى الله

علیه وآله) کان یخطط لإنجاح دعوته ما لم یستطع عباقره القرن العشرین من الإهتداء لبعضهما، فهل یعجز یا تری عن التّفکیر فی تبنّی ابن عمه علیّ بن أبی طالب وإنشائه، إنشاءً روحیّاً وفکرّیاً بعیداً عن المصادفات والظروف، وطبقاً لمصلحه إلهیه محتومه؟.

وترعرعت فاطمه فی بیت الرساله المقدسه حتّی نبت لحمها علی الهدی وجری مع دمها شعاع الإیمان لکی تشعّ علی الدنیا أنوار الهدایه بعد أبیها رسول الله (صلی الله علیه وآله) عن طریق القاده الذین یتخرجون فی مدرستها مدرسه الوحی والإیمان .

وهکذا آن لفاطمه أن تتلقّی تعالیم الوحی تلقی تنفیذٍ وتمثیلٍ علی فکرها وسلوکها وکلّ ألوان نشاطاتها.

وهنا یأتی دور المؤرّخین لسیره الصدّیقه الزّهراء (علیها السلام) فتتضارب روایاتهم فی تأریخ میلادها المیمون، فقد ذهب أکثر مؤرخی الشّیعه الإمامیه إلی أنّها وُلدت بعد بعثه أبیها بخمس سنین وهو المشهور ویذهب البعض أنّها ولدت قبل البعثه بخمس سنین وقریش تبنی البیت، وأنا أُرجح ما یذهب إلیه القائلون بالرأی الأول، وعلی هذا الأساس جری حدیثی عن حیاتها (علیها السلام).

[صفحه ۳۱]

فی معسکر الإیمان

ویدلهم الخطب ویحمی الوطیس بین معسکر الإیمان الفتیّ ومعسکر الضلال بجبروته وکبریائه، وقد فشل المعسکر الوثنی فی تنفیذ شعار الإباده الذی حمل لواءه أبو جهل وأبو لهب ومن یدور فی فلکهما بغیه خنق الدّعوه فی مهدها، فالرّسول (صلی الله علیه وآله) وفقاً لتسدیده من السّماء فوّت علیهم الفرصه بمخّطط جدید نفّذه بسرّیه وفوریه، حیث أرسل حمله من أصحابه بقیاده جعفر بن أبی طالب إلی بلاد الحبشه التی یمتاز زعیمها (النجاشی) بحسن اخلاقه، فضلاً عن اعتناقه دین النصرانیه، وقد بلغ المهاجرون إلی الحبشه نیفاً وثمانین مهاجراً، وقد عاملهم

النجاشی معامله طیبه مما جعل قریشاً تهتم لهذا الأمر الذی أقضّ مضجعها، فأرسلت عمرو بن العاص وعماره بن الولید المخزومی یحملان الهدایا إلی النّجاشی، وفور وصولهما أعلنا للنجاشی عمّا قدما علیه فقالا:

«سفهاء من قومنا خرجوا عن دیننا، وظلّلوا أمواتنا، وعابوا آلهتنا، وإن ترکناهم ورأیهم لم نأمن أن یفسدوا دینک».

وبعث النجاشی وراء جعفر لیطّلع علی حقیقه ما سمعه بل وفوجیء، به فکان ردّ جعفر حاسماً، ردّ کیدهم إلی نحورهم حیث صرّح بقوله:

«إنّ هؤلاء علی شردین: یعبدون الحجاره، ویصلُّون للأصنام، ویقطعون الأرحام، ویستعملون الظلم، ویستحلون المحارم، وإن الله قد بعث فینا نبیاً من أعظمنا قدراً وأشرفنا سرراً وأصدقنا لهجه وأعزّنا بیتاً فأمر عن الله بترک عباده الأوثان، واجتناب المظالم، والمحارم، والعمل بالحق؛ والعباده له وحده».

وبهذا الإعلان الصریح الذی کشف فیه جعفر عن سوءه قریش، اهتزّت مشاعر النجاشی فردّ علیهم هدیّتهم وعنّفهم بقوله:

«أأدفع إلیکم قوماً فی جواری علی دین الحق، وأنتم علی دین الباطل؟».

ولکن النجاشی لم یکتف بما سمعه من جعفر بن أبی طالب (علیه السلام) عن الدین الجدید، فسأله أن یقرأ علیه شیئاً مما أُنزل علی محمد (صلی الله علیه وآله). وهنا تبرز الحکمه بکل ملامحها فی شخصیه الدّاعیه جعفر حیث یتلو علیهم سوره مریم. نظراً لنصرانیه النجاشی، وما أن انتهی من تلاوه السوره حتی أبکی النجاشی ومن حضر عنده. ولما أحسّ عمرو وعماره مبعوثا قریش بإفلات الزّمام من أیدیهما حاولا

إغراء النجاشی بالمسلمین المهاجرین فقالا: «إن هؤلاء یزعمون: أن المسیح عبد مملوک» مما جعل النجاشی یشمئز لذلک، فاتصل بجعفر المخلص لله ورسوله لیعلن له ما ادعاه وفد قریش، فطمأنه جعفر بقوله: «إنّ

المسيح عندنا روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم». فيطمئنّ النجاشى بعدها وتنتهى المؤامره التى دبّرها قاده المعسكر الوثنى للفتك بالمسلمين وكانت عاقبه أمرهم خسراً.

واجتمع زعماء الشرك وأقرّوا مشروعاً جديداً ليتركز على صاحب الرساله ذاته، ولكنّه مشروع دعائى حيث كرّست قوى الشرك كلّ ما فى جعبتها من وسائل وإمكانيات ماديّه ومعنويه للحط من قيمه الرساله بتوهين صاحب الرساله نفسه عن طريق حمله دعائيه عمّت أكثر الأحياء فى الجزيره العربيه، وكانت هذه الحمله تحمل نغماتٍ شتى، فقد ادّعى مروّجوها: أنّ محمداً كذاب، فشاعر، فمجنون وساحر.

ولكن هذه النغمات مع ما صحبها من رصيد دعائى ضخم لم تؤد فاعليتها بل لم تحقق أىّ غرض على الإطلاق مما جعل دار الندوه تفتتح أبوابها لتتلقى اجتماعاً لأقطاب الشرك قرّروا بعد مداولات ومشاورات: أن يقتلوا محمداً ذاته، ولكنهم فوجئوا بعقبه كأداء تحول دون تحقيقهم لهدفهم الدنىء، إذ وقف المؤمن الوفىّ أبو طالب موقفه الصُّلب فأعلن أنهم غير قادرين على ذلك إطلاقاً

والله لن يصلوا إليك بجمعهم

حتّى أوسّد فى التراب دفينا

ولمّا بلغ قريش ردُّ الفعل الذى أصاب سيد العرب أبا طالب، تنازلت عن رأيها، وأقرّت مشروعاً جديداً يقضى بمقاطعه قريش لمحمد وبنى هاشم ومن يدور فى فلكهم، وقد دوّنوا بنود المقاطعه التى تقضى بعدم مبايعه أو مناكحه أو معامله بنى هاشم على الإطلاق، وختموا القرار بثمانين خاتماً وعلّقوها فى الكعبه المشرفه وحوصر بنو هاشم فى شعب أبى طالب، وذاقوا لذلك كل عسر ومشقه وهوان.

وهنا يتجلّى دور خديجه التى أوقفت كلّ طاقاتها فى سبيل الدعوه، فأنفقت كلّ ثروتها فى تلك الأيّام العصيبه التى مرّ بها محمد والإسلام، واستمرت المقاطعه ثلاث سنين حيث

أبطل مفعولها يوم أعلن الرسول (صلى الله عليه وآله): أنّ الأرضه قد أكلت صحيفتهم، وبعد أن أخبرهم أبو طالب بما نبّأ به ابن أخيه وقعت فتنه بين قوى الشرك كانت نتيجتها فى صالح الرساله المقدسه، حيث أسلم عدد كبير من الناس،

[صفحه ۳۳]

فضلاً عن أنّ المقاطعه أدت إلى تصلُّب عقيده بنى هاشم وأتباعهم من المؤمنين.

وفى هذه اللحظات العصيبه من حياه الإسلام ورسوله أعلن بيت الرساله نبأ افتقاد المجاهده أُمّ المؤمنين خديجه بنت خويلد حيث اختطفها ريب المنون، فتكدرت حياه محمد لموتها، وبعد مضى ثلاثه أيّام على فقدها فوجىء الإسلام بفقد المحامى والمدافع الأول عنه فى أقسى ظروفه أبى طالب الرجل المؤمن الصلب الذى وقف المواقف البطوليه فى وجه الشرك وأقطابه، وبفقد أبى طالب استولى الحزن على رسول الله (صلى الله عليه وآله). ووقف على عمّه ليلقى نظره الفراق وهو يقول بقلب مزقه الألم:

«يا عم ربيت صغيراً، وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً، فجزاك الله عنّى خيراً».

ويستولى الحزن على رسول الله (صلى الله عليه وآله) لفقد أبى طالب وخديجه مما جعله يقول:

«اجتمعت على هذه الأُمه فى هذه الأيّام مصيبتان لا أدرى بأيّهما أنا أشدُّ جزعاً؟».

وهذه الكلمه ترينا أنّ وراءها قلباً قد هده الأسى وأخذ مأخذه فيه، وقد تنجلى هذه الحقيقه إذا قلنا: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أطلق على العام الذى فقد فيه أبا طالب وخديجه، «عام الحزن».

ويزداد ألم محمد (صلى الله عليه وآله) ويتأصّل فى نفسه عندما تتعلّق بضعته فاطمه بثيابه إذ استولى الأسى على مشاعرها فتتعلّق بأبيها باكيه وهى تقول: «أبى أبى، أين أُمّى، أين أُمّى؟».

فيبكى الرسول الكريم لبكائها

وينغص عيشه، فتشترك السماء معه فى المأساه وينزل جبريل (عليه السلام) فيقول: «يا محمّد، قل لفاطمه: إن الله تعالى بنى لأمّك بيتاً فى الجنّه من قصب لا نصب فيه ولا صخب». تلطيفاً لمشاعرها وتخفيفاً لعنفوان حزنها وآلامها.

ويشمت الأعداء، بمحمد وتشتدُّ مؤامراتهم للنّيل منه بعد ما وثقوا من قلّه ناصره بعد أبى طالب، الدرع الواقى للرساله، وأحسس بالخطر به وبرسالته، فخرج من مكه يلتمس الأنصار لإيوائه وحمايته من القتل، وراح يتصل بالقبائل خارج مكه يفاوض أهلها وأشرافها بغيه منعه من القتل قائلاً: «لا أكره أحداً

[صفحه ۳۴]

منكم، إنّما أُريد أن تمنعونى مما يراد بى من القتل حتى أُبلِّغ رسالات ربى».

ولكنّ أحداً من قومه لم يجره، ففكر فى الخروج إلى الطائف حيث تقيم قبيله ثقيف الكبيره علّه يجد مجالاً لبث دعوته، وقابل زعماء القبيله، ولكنهم ردّوه ردّاً قاسياً يتّسم بطابع السُخريه والجفاء، ولم يكتف هؤلاء بالأسلوب السلمى الجاف، بل عمدو إلى استعمال طريقه العنف لصاحب الدّعوه حيث هاجم صبيانهم محمداً (صلى الله عليه وآله) بالحجاره حتى أدموه فعجز حتى عن مواصله سيره فاستند إلى جدار بستانٍ فى خارج مدينه الطائف، وقد وصف حالته بقوله: «ما كنت أرفع قدماً ولا أضعها إلاّ على حجر...» ويعود محمد (صلى الله عليه وآله) إلى مكه فى وقت كانت قريش قد اجتمعت فى دار الندوه، وهى تستعرض الظّرف الذى تعيشه الدّعوه بعد وفاه أبى طالب...

وبعد مشاورات ومحاولات ومفاوضات وجدت قريش أنّ الظّرف ملائم لتنفيذ مشروع يقضى بقتل محمد (صلى الله عليه وآله) بعد أن خلا لهم الجو من معارض صُلب كأبى طالب، ولكنّهم اختلفوا فى الصّيغه التى سيتم بها مشروع القتل الدنىء.

وبعد

مناقشه آراء عدیده طرحها المؤتمرون کان فی طلیعتها رأی یقضی باعتقال محمد (صلی الله علیه وآله) فی بیته ویلقی إلیه طعامه حتی یتفرّق عنه أتباعه بعد حین ثم یعجّل بقتله، وقد نوقش هذا الرأی ولم یقرّه المؤتمرون فی دار الندوه.

وأخیراً عرض أبو جهل رأس الشرک یومذاک رأیاً یقضی بقتل محمد ولکن عن طریق فوریه فی التنفیذ أولاً، وأن یجتمع علی قتله من کل قبیله شاب قوی، لکی لا تقوی بنو هاشم ثمّ علی مقاومه القبائل العربیه جمیعاً، فینهالوا علیه بضربه رجل واحد مما یجعل دمه یذهب هدراً...

وصفق المؤتمرون لرأی قطب الشرک والظّلال أبی جهل وأقروه بالإجماع وأنبأت السماء محمداً (صلی الله علیه وآله) بمقرّرات دار الندوه، وصدرت الإراده الإلهیه بهجره محمد إلی یثرب، شریطه أن یدع علیّاً (علیه السلام) علی فراشه لیؤدی عنه أماناته ویلحق به بعد زمن، حاملاً معه بضعه الرسول فاطمه الزهراء (علیها السلام) وغیرها من النساء الهاشمیّات. وخرج محمد (صلی الله علیه وآله) تحت جنح الظّلام وأسرع المتآمرون لإلقاء القبض علیه فی بیته ولکنهم فوجئوا بعلیّ بن أبی طالب (علیه السلام) یخرج إلیهم وینبئهم أنّ محمداً (صلی الله علیه وآله) قد خرج عن مکه بعد أن رغبوا هم بخروجه عنها.

[صفحه ۳۵]

وما أن نبأهم علیّ بخروج محمد عن مکه إلا وقد خیم علیهم الوجوم والدّهشه فطلبوه فی الجبال والودیان ولکنّهم لم یقعوا علی خبره، حتی بلغوا جبل ثور وقد أعیاهم الطلب فوقفوا علی باب غار فیه یتلاومون، وظنّ بعضهم أن محمداً قد اختفی فی الغار ذاته. وبعد قلیل بحث وجدوا أن حمامهً قد باضت فی عشها عند باب الغار، فضلاً عن أن عنکبوتاً

قد بنى بيته على باب الغار نفسه مما جعلهم يستسلمون لليأس، فعادوا بعدها خائبين.

واختفى محمد (صلى الله عليه وآله) فتره فى داخل الغار، هاجر بعدها إلى يثرب وكانت هجرته (صلى الله عليه وآله) بعد مضى ثلاث عشره سنه من مبعثه المبارك.

دخل محمد يثرب، فاستقبلته عن بكره أبيها، تهتف بحياته وترتّل الأناشيد الترحيبيه النديّه :

طلع البدرُ علينا

من ثنيّات الوداع

وجبَ الشكرُ علينا

ما دعا لله داع

أيُها المبعوث فينا

جئت بالأمر المُطاع

واحتضنت يثرب الدعوه، لتكون مسرحاً ومنطلقاً لها لتشعّ على العالم نور الهدايه والفضيله، وبهجره الرسول القائد إلى يثرب دخلت الدعوه مرحله جديده من عمرها حيث أقام الرسول دولته الكريمه التى راحت تحمل القرآن فى يد والسيف فى بيد أخرى، ذوداً عن الرّساله ونشراً لتعليماتها المنقذه، وقد آن للرساله أن تمرّغ قوى الضّلال فى الوحل، وقد آن لهذا الدين أن يظهره الله ولو كره المشركون.

[صفحه ۳۹]

فى الطريق الى يثرب

مركز القياده الإسلاميه المتمثّله بالقائد محمد (صلى الله عليه وآله) قد حلّ فى أرض جديده هى يثرب، وهى بدورها قد احتضنت محمداً (صلى الله عليه وآله)، وهو كذلك قد وجد فيها المنطلق الحيوىّ لبثّ تعاليم السّماء إلى الآفاق شرقاً وغرباً، ومكّه الآن قد اختفى فيها صوت محمد (صلى الله عليه وآله)، فهو لم ير فى شارع يدعو، ولا فى وادٍ يعدو يبشر، ولا فى سوق ينّدد بالأوثان، ولا فى نادٍ يوجّه أتباعه ويدلّهم على معالم رسالته المباركه، ولا يرى محمد (صلى الله عليه وآله) حتى فى بيته، وقريش تأكدت من هجرته إلى يثرب بعد أن فشل المأجورون فى قتله والوحى هو

الآخر قد انتقل إلى يثرب ليواصل حلقات الرّساله الإلهيه المتسلسله، وقريش امتلأت حقداً يصحبه طابع من الخوف بعد أن رأت أن أحياء مكه قد اختفت عنها نشاطات الصّفوه المؤمنه، وأنّها قد هاجرت إلى أرض جديده أكثر قدره على احتضان الدّعوه المباركه، بعيده عن ضغط قريش ومكائدها وسلطانها ولم يبق فى مكّه إلا علىٌّ بن أبى طالب (عليه السلام) ونفر من النساء فى طليعتهنّ فاطمه الزهراء بنت محمد (صلى الله عليه وآله) وبعض من عجزه المؤمنين وشيوخهم، وعلىٌّ هو الآخر عازم على الرّحيل ليحمل بقايا الدعاه الصابرين إلى مركز قيادتهم، ولكنّه غير فاعل ذلك ما لم يؤدّ أمانات أخيه محمد (صلى الله عليه وآله) الذى اعتاد الناس أن يودعوا حاجاتهم لديه، وسمّوه بالأمين.

ويسرع علىٌّ (عليه السلام) بتنفيذ هذه المهمه، وبعد مضى ثلاثه أيّام على هجره القائد محمد (صلى الله عليه وآله) يعلن علىٌّ (عليه السلام) نبأ رحيله إلى يثرب، ويهيىء هوادج لحمل النساء الهاشميات.

ويحمل: فاطمه الزّهراء (عليها السلام) وأُمه فاطمه بنت أسد، وفاطمه بنت الزبير بن عبد المطلب وفاطمه بنت حمزه، وغيرهنَّ، ويودع مكّه المكرمه، ونفسه ممتلئه عزّه وكبرياء على طواغيت وأوضار الجاهليه، وهو غير آبهٍ بما وراءه من عصاه الخالق مهما دبّروا ومهما خطّطوا لإيقاف الزّحف المقدس والمسدد بقوه السماء.

ولكن قريشاً فزعت لهذا الحدث الجديد، وحملها حنقها الشديد على مواجهه الموقف بعمليه عسكريه لتدرك ثأرها من محمّد وأتباعه بقتلها عليّاً (عليه السلام) لأنّها رأت فى خروج علىٌّ (عليه السلام) والتحاقه بابن عمه فى يثرب على مسمع ومرأى منها تأكيداً لاهانتها، وهى بالأمس قد ذاقت مراره فشل ذريع بعد أن فشت المؤامره الأثيمه التى صمّم أدوارها صناديدها وكبراؤها، فلا بد والحاله هذه

أن تقوم

[صفحه ۴۰]

بعمليه صارمه لغسل العار الذى لحقها على يد محمد (صلى الله عليه وآله)، ولكن ما هو السبيل الناجع الذى تسلكه قريش لتدرك ثأرها من محمد...؟

ها هى قافله علىّ والزهراء (عليهما السلام) ومن معهم تبدو من بعيد، وهى تحت السير قاصده يثرب...

وما هى إلّا ساعاتٍ سوف تختفى القافله المهاجره، تاركه خلفها عاراً وشناراً جديداً يلحق صناديد قريش وأسياد العرب يومذاك

كلُّ هذه الأوهام راحت تدور فى ذهنيه الزعماء من قريش، فحملتهم على وضع حلّ حاسم للحادث الجديد قبل أن يفلت الزّمام من أيديهم كليّاً

واجتمعت الكلمه بعد مناقشات واجتماعات عاجله فرضتها الحادثه الجديده، وانفضّ الجمع بإعلان قرار يقضى بإلقاء القبض على علىّ (عليه السلام) وقافلته ومنعها من الهجره.

ويسرع ثمانيه فرسان يقودهم مولى لأبى جهل، وتسرع خيولهم لقافله المجاهدين، وبعد أن أدركوها واجه قائدهم عليّاً (عليه السلام) بكلمات نابيه نابعه من صميم الحضاره الجاهليه العفنه، ويسرع إلى ضرب علىٍّ (عليه السلام) ولكنّ عليّاً يميل عن ضربته ويصدُّه بضربه لن يفلت منها فيفارق الحياه بعدها. وما أن يرى الغزاه المتآمرون هذا الحدث إلّا ويعمهم الجزع والخوف، فيلوذون بالفرار من الموقف الحاسم يجرّون خلفهم أذيال الهزيمه لقريش لتضيفها إلى سجلّ مخازيها وعارها كما اعتادت.

ويستولى على قريش الذُّهول وتعود إلى أصنامها الواهيه تسألها النّصر على محمد، ويقينى أنّ قريشاً فضلاً عن حقدها على محمد وأتباعه أرادت من محاولتها لصدّ علىٍّ (عليه السلام) عن الهجره: إخضاع محمد وإجباره على العوده بعد أن يحاط علماً بعمليّه إلقاء القبض على أعزّ الناس لديه (علىٍّ وفاطمه) ولكن مساعيها أُحبطت بتسديد من الله على يد علىّ

(عليه السلام) المعروف برباطه الجأش وصلابه اليقين...

وتستمر القافله يحدوها النّصر، ويهزُّها الشوق إلى قائدها محمد (صلى الله عليه وآله) وتتغنى بآيات الله الكريمه.

وما هى إلاـ أيام حتى يستقبل محمد (صلى الله عليه وآله) ومعسكره الفتى الوفد المهاجر بابتساماتٍ ملؤها الإكبار والإجلال، والموده.

[صفحه ۴۱]

ولم تكن الهجره هجره علىٍّ وفاطمه والوفد المرافق لهما مجرّد هجره، وإنّما صحبتها عواطف كريمه ومواقف نبيله كان فى طليعتها اهتمام علىّ (عليه السلام) بالنّسوه اللائى رافقنه، فكان يسير بهنّ سيراً وئيداً خشيه تعريضهنّ لنوع من المشقه، ويتفقدهنّ بين آونه وأُخرى للإطلاع على حاجاتهنّ ومتطلباتهنّ، وإن شئن سبيلاً للرّاحه بذل لهن من وسائل الراحه من إيقاف للمسير أو تهيئه لطعام أو شراب.

وإن دلّت هذه المساعى الحميده التى يزاولها أمير المؤمنين (عليه السلام) مع وفده المهاجر من النّسوه على شىء، فإنّما تدلُّ على مدى اهتمام الإسلام الحنيف بالعنصر النسائى من المجموعه البشريه، وكيف يسهر الرجل على راحتهنّ وتوفير السعاده لهنّ، وعلىُّ بن أبى طالب (عليه السلام) أولى من غيره بتطبيق معالم الرّساله الإسلاميه المقدسه، سيّما وهو قد نبت لحمه وشحمه على أساس منهج الله سبحانه، بل إنّه بمثابه الصوره التجسيديه لكلّ معالم التشريع الإسلامى الرصين، ولذا فقد دعاه الرّسول (صلى الله عليه وآله) بالقرآن الناطق لأنّه لعمر الحق صوره حيّه متحرّكه للقرآن الكريم.

وتصل قافله المجاهدين، وهى آخر موكب من مواكب النُّور المتّجهه صوب يثرب لتُطلّ على العالم فيما بعد دوله وحضاره تمد يدها لانتشال هذا الكوكب من ظلامات الجاهليّه وأدناسها.

[صفحه ۴۵]

بيت جديد

التحقت مواكب المهاجرين بمقرّ القياده الجديده، واطمأنت بها الدّار الجديده، ولكن لا

ليميلوا إلى الدعه والخمول، ولكن ليواجهوا مسؤوليات جدّ جسيمه، مسؤوليه بناء الدّوله ونشر المبدأ وتركيز العقيده والدّفاع عن الرّساله و.. و.،

وكانت فاطمه (عليها السلام) قد عاشت هذه الأحداث العظيمه من تأريخ الدّعوه فى مراحلها، وخاصّه هذه المرحله الجديده وهى على عتبه شبابها، وقد نضجت جسميّاً وروحيّاً وفكريّاً.

وأحسّ صحابه الرّسول (صلى الله عليه وآله) بقيمه فاطمه لدى أبيها وعلموا أنّها بلغت مرحله النُضج بكلّ أبعادها فتباروا لخطبتها من أبيها طلباً للشرّف ورغبه فى الكرامه، وحرصاً على التقرُّب إلى الرّسول (صلى الله عليه وآله)، وكان لا بد لكبّار الصحابه أن يتقدّموا لطلبها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفى طليعتهم أبو بكر وعمر وغيرهما وكان الرسول (صلى الله عليه وآله) يُعرض فى كلّ مرّه بوجهه عنهم بعد أن يتّصل بفاطمه (عليها السلام) نفسها، فتظهر عدم رغبتها ورفضها لعرض الخطبه، والرسول (صلى الله عليه وآله) حين يتّصل بالزهراء فى هذه القضايا، لا لأنّه لا يعلم من يستحق أن يكون لها كفؤاً، ولكنّ روح الشريعه الإسلاميه هى التى تفرض على الآباء أن لا يبتّوا فى موضوع زواج بناتهم وأبنائهم دون الإطلاع على مدى رغبتهم أو رفضهم للفتيات إن كانوا رجالاً، أو رغبتهنّ أو رفضهنّ فيما لو كنّ نساءً.

والرسول (صلى الله عليه وآله) إنّما يعكس لنا واقع الشريعه المقدسه ومعين الرّساله الإلهيه القويمه الذى يفرض ذلك ويرسمه للمجموعه الإنسانيه لخلق الأسره الصالحه المتحابه المتعانقه القلوب والعواطف لكى يخلق المجتمع الصّالح المتين المتكاتف كالبنيان المرصوص دون أن تلعب به الأهواء والمصالح المقطوعه الصّله بالعلائق الوشيجه، تتخلّله علائق الرّحمه والإلفه والوفاء..

أجل يدخل محمد على بضعته فيحدثها عن الخاطب لكى يؤدى واجبه نحوها ولكى ينقل رأيها

بأمانه لخاطبها ولكى يعلّمنا دروساً لبناء الأسره الكريمه المتحابه.

واستمرّ الرسول (صلى الله عليه وآله) يُعرض بوجه عمّن يخطب ابنته الزّهراء (عليها السلام) ويردَّه بقول: «أنتظرُ فيها أمر القضاء» [۹] مما جعل اليأس يستبد بأصحاب

[صفحه ۴۶]

محمد (صلى الله عليه وآله). فاجتمع بعضهم يوماً فى مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله) يتذاكرون فى شأن الزهراء (عليها السلام) ورفض محمد (صلى الله عليه وآله) تزويجهم بها.

وكان فى طليعه المؤتمرين أبو بكر وعمر وسعد بن معاذ الأنصارى، وبعد مداولات عديده قرّ رأيهم على الإتصال بعلىّ بن أبى طالب (عليه السلام) فيذكرون له أمر فاطمه.

وبحث هؤلاء النّفر من المسلمين عن على (عليه السلام) وأخيراً وجوده ينضح ماءً لسقى نخيل لرجل من الأنصار لقاء أُجره يتقاضاها، وأحسّ على (عليه السلام) أنّ مع القوم نبأ جديداً يحملونه إليه حيث يتساءل عمّا وراءهم.

وبعد أن حيوه يتقدم أبو بكر (رضى الله عنه) فيفضى بما عندهم من نبأ جديد حيث يقول: إنّ أهل الشرف والقدم فى الإسلام قد قدموا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليخطبوا بضعته فاطمه (عليها السلام)، ولكنّه قد ردّهم جميعاً وأعرض عنهم، وقد رأينا أن نلفت نظرك إلى ذلك، فحبذا لو عرضت نفسك على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بشأن خطبتها منه [۹] .

ويجد على (عليه السلام) هوىً فى نفسه لهذا الحديث، ويفرغ من عمله فيتجه إلى بيته لكى يرتدى ملابس أُخرى، وفى هذه اللحظات المباركه يكون الوحى قد زار محمداً (صلى الله عليه وآله) قبل زياره على (عليه السلام) له يأمره بتزويج الزهراء من علىّ بقوله:

«يا محمد إن الله تعالى يقرأ عليك السلام ويقول لك

إنّى قد زوجت فاطمه ابنتك من علىّ بن أبى طالب فى الملأ الأعلى، فزوّجها منه فى الأرض» [۹] .

ويزور على محمداً فى بيته إذ كان (صلى الله عليه وآله) فى حجره أمّ سلمه الإمرأه الصالحه ويطرق علىّ الباب على الرسول (صلى الله عليه وآله) فيخفق قلب محمد (صلى الله عليه وآله) لذلك ويتهلّل فرحاً، فيقول لأُم سلمه: «هذا رجل يحبُّه الله ورسوله، ويحبهما».

ولكن أُم سلمه تطلب من محمد (صلى الله عليه وآله) أن يعلّمها باسمه لا بصفاته فيقول لها: «هذا أخى وابن عمى، وأحبُّ الخلق إلىّ»

[صفحه ۴۷]

وتعلم أُمُّ سلمه: أنه على (عليه السلام) حبيب محمد (صلى الله عليه وآله) وموضع سرّه وأكرم الناس لديه، وتبادر إلى فتح الباب، فتفتحه وتعود لكى تختفى فى خدرها، وعلى (عليه السلام) ينتظر قليلاً- حتى يتأكد من دخولها فى خدرها، فيدخل بيت أخيه محمد (صلى الله عليه وآله) فيحيّيه بتحيّه الإسلام ويردُّ الرسول عليه بأحسن منها ويوسع محمد (صلى الله عليه وآله) لزائره العزيز فيجلس بجنبه، ولكنّ تقاسيم وجهه تحمل نبأ جديداً لمحمد (صلى الله عليه وآله) حيث أنّ جلوسه غير معتاد، فالصمت يستولى عليه هذه المره، ويأخذ الحياء مأخذه منه، وقد أطرق برأسه إلى الأرض فأحسّ محمد (صلى الله عليه وآله) أنّ وراء سلوك علىّ هذا حاجه لا- يقوى على الإفضاء بها. ويخاطب محمد (صلى الله عليه وآله) عليّاً (عليه السلام) بقوله: «إنى أرى أنّك أتيت لحاجه، فقل حاجتك، وأبدِ ما فى نفسك، وكلّ حاجه لك عندى مقضيّه» [۹] .

وحين يستمع على (عليه السلام) لهذا الحديث، حديث الأمل يدخل السرور قلبه ويرفع رأسه لكى يطرح عنه

رداء الصمت، فيخطب من محمد (صلى الله عليه وآله) ابنته مفتتحاً حديثه عن أيّام طفولته وفتوّته التى قضاها مع محمد (صلى الله عليه وآله) حيث أوضح له أنّه قد عاش فى كنفه وتربى فى بيته يوم أملق أبوه أبو طالب وقد ذاق طعم الحنان والعاطفه الفيّاضه بالمودّه والإخلاص، وأنّه قد تربّى منذ نعومه أظفاره فى كنفه وتحت ظلاله الوارفه، وأخيراً هداه الله به إلى الإسلام فحمل لواءه ودافع عن بيضته، وصارع قوى الضّلال بغيه نصره وإعزازه.

واستطرد علىٌ (عليه السلام) فأفضى لمحمد (صلى الله عليه وآله) أنّه يرغب أن يكون له بيت وزوجه يسكن إليهما كما يرغب أن يخطب فاطمه منه، ويسمع محمد (صلى الله عليه وآله) حديث ابن عمّه على (عليه السلام) فيتهلّل وجهه فرحاً وتمتلىء نفسه سروراً، ولكنّه لا بد أن يتّصل بفاطمه (عليها السلام) فيحدّثها عن خطيبها الجديد كما أمر الشّرع المقدّس .

فيدخل على بضعته الطاهره (عليها السلام) ويقول لها: «إن علىّ بن أبى طالب ممّن قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه» واستطرد حديثه قائلاً: «وقد ذكر من أمركِ شيئاً، فما ترين؟».

وهنا يستولى الحياء على الصّدّيقه فاطمه (عليها السلام) فلم تستطع أن تنطق بكلمه

[صفحه ۴۸]

واحده، ويطيل محمد (صلى الله عليه وآله) النّظر فى وجهها فلم ير كراهه قد بدت فيه، ولمّا طال سكوتها هتف الرّسول (صلى الله عليه وآله) من أعماق قلبه الطاهر متجهاً نحو على (عليه السلام) وهو يقول: «الله أكبر، سكوتها إقرارها».

وقبل أن أُواصل هذا الحديث العذب عن خطبه علىّ (عليه السلام) للصديقه الزهراء (عليها السلام) أودُّ أن أُشير إلى نقطهٍ حساسه احتوى عليها حديث رسول الله (صلى الله

علیه وآله) إلی الزهراء (علیها السلام): «إنّ علیّ بن أبی طالب ممن قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه» فإنّ الرسول (صلی الله علیه وآله) حین یستعرض صفات علیّ للزهراء (علیها السلام) ویتوج صفاته بالإسلام فیقول: «وإسلامه» وهذا القول إنّما صرّح به الرسول (صلی الله علیه وآله)، لأنّ من شروط تزویج المرء إسلامه، وهذا ما نصّت علیه الرّساله الإسلامیه فی قانون الأُسره وملابساتها کما فی قول الرسول (صلی الله علیه وآله): «إذا جاءکم من ترضون خُلُقه ودینه، فزوّجوه، إلاّ تفعلوه تکن فتنه فی الأرض وفساد کبیر» [۹] .

والرسول (صلی الله علیه وآله) حین یشرح لفاطمه (علیها السلام) صفات علی (علیه السلام) فلیس ذلک لأنّ فاطمه تجهل صفات علیّ، وإنّما استهدف أن یلقّن هذه الأُمّه بشکل عملی وواقعیٍّ صوره الزّواج الطبیعی الذی رسم الإسلام حدوده ووتّد أرکانه.

وعاد محمد (صلی الله علیه وآله) من فاطمه (علیها السلام) لینقل لعلیّ نبأ قبولها بزواجه حیث تبسم فی وجهه، وقال: «یا أبا الحسن، فهل معک شیء أُزوّجک به». والرسول (صلی الله علیه وآله) حین یطلب إلی علی (علیه السلام) إحضار مهر لزواجه إنّما أراد بذلک أن یقرّر حکماً عامّاً هو الإهتمام بشؤون المرأه وتأکید حقّها فی الحیاه الزوجیه.

یعرض الرسول (صلی الله علیه وآله) علی علیّ (علیه السلام) إحضار مهر لزواجه وسرعان ما یستجیب علیٌّ لعرض ابن عمّه، ویکشف النقاب عمّا یمتلکه، فقد کان فی حیازته: سیفٌ ودرع وناضح، وراح الرسول یحدّثه بشأن ملکیّته، فقال: «أمّا سیفک فلا غنیً بک عنه، تجاهد به فی سبیل الله وتقاتل به أعداء الله».

وهذا یعنی أنّ الرسول (صلی الله علیه وآله) منعه عن بیعه لما له من قیمه لا مثیل لها

فی إقامه صرح الإسلام الشّامخ، ثم تداولا فی شأن الناضح، ولکنّ الرسول (صلی الله علیه وآله) أکّد قیمته بقوله: «وناضحک تنضح به علی نخلک وأهلک وتحمل علیه رحلک فی سفرک».

[صفحه ۴۹]

فالناضح تتصل أهمّیته برزق الأُسره وحمل الأثقال سیّما وأنّ النّاضح بعیر، والبعیر فضلاً عن أهمیته فی نقل الماء لسقی الزّرع فإنه یستعمل لحمل الأثقال أیّام الظّعن، واتّجهت النیّهُ لبیع الدرع لأنّه شیء ثانوی، بل لأنّه لا یبلغ درجه من الضروره کما یبلغها السیف والناضح، وکان الدّرع قد منحه الرسول (صلی الله علیه وآله) لعلیّ (علیه السلام) من غنائم بدر الکبری.

وأسرع علیّ (علیه السلام) لبیع درعه، فباعه بأربعمائه درهم، وعاد بالدّراهم لمحمد (صلی الله علیه وآله) فقبض الرّسول قبضته منها وناولها لبلال لکی یتولّی دور اشتراء بعض اللّوازم البسیطه من عطور ونحوه، ویتناول الرّسول مبلغاً من المال إلی أُمّ سلمه وسلمان (وأبی بکر) (علی قول) لیشتروا أثاث العروسین، ویسرع هؤلاء. وما هی إلا فتره تنقضی حتی یعودوا وهم یحملون الأثاث والجهاز الذی یعتبر أروع أثاث عرفه التاریخ الإنسانی، ولیس عجیباً ولا بدعاً من الأمر أن نقول بروعته لأنّ العروسین قد واسیا فی زواجهما وأثاثهما أقل الناس مالاً، وأعلنا للبشریّه بامتدادها التّاریخی : إنّه لیس المهم أن یجمع الزّوجان الأثاث الفاخر والمتاع الجدید وما لذّ وطاب من الطّعام والشّراب، وإنّما المهم أن تتعانق القلوب وتتآلف النفوس وتلتقی الأرواح وتسود المحبّه والإلفه والحنان والرّحمه وتتحقّق وحده المصیر والهدف، فینعکس فکراً واحداً وسلوکاً واحداً وعاطفه واحده، وأُحضر الأثاث وکان أهم ما فیه: [۹] .

۱ فراش من خیش مصر محشوّاً بالصوف.

۲ وساده من أدم حشوها من لیف النخیل.

۳ عباءه

خیبریه.

۴ قربه للماء.

۵ کیزان خزف.

۶ جرّتان من خزف.

۷ مطهّره للماء.

۸ ستر صوف رقیق.

۹ سریر مشروط.

[صفحه ۵۰]

۱۰ حصیر هجری.

۱۱ مخضب من نحاس.

۱۲ قعب للّبن.

۱۳ قمیص.

۱۴ شنٌّ للماء.

۱۵ منخل.

۱۶ منشفه.

۱۷ رحی.

۱۸ قدر من نحاس.

ورجع القوم یحملون هذا المتاع البسیط، وقد اشترک أعاظم الصحابه فی حمل هذا المتاع من السّوق کبلال وعمّار بن یاسر وأبی بکر وسلمان الفارسی وغیرهم، ویقینی: أنّ الروایات حین تختلف فی ذکر من قام بشراء المتاع إنّما جاء الاختلاف نتیجه لکثره المشترکین فی جلبه من السّوق، وأنا واثق من أنّ أُمّ سلمه هی التی تولّت مهمه ابتیاعه من السّوق، وأمّا الباقون فقد تولّوا مهمّه حمله من السّوق، وقیام أُمّ سلمه بهذه المهمه أمر طبیعی لأنّها أعلم بحاجه الزوجه فی البیت.

ولابد للرسول بعد كلّ هذا أن ينبىء المسلمين بخبر تزويج فاطمه من علىٍّ (عليه السلام). ويقينى فى ذلك أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) حين يقوم بمهمه تبليغ المسلمين بهذا النبأ إنّما كان يستهدف أمرين لا ثالث لهما:

١ أراد أن يشرك جميع المسلمين بسرور أهل البيت (عليهم السلام) بمناسبه زواج علىٍّ (عليه السلام) من فاطمه.

٢ أراد أن يقطع خطّ الرّجعه على المنافقين الذين ينشطون فى مثل هذه المناسبات، إذ أنّ لديهم خير فرصه لبثّ البلبله فى صفوف المسلمين، لا سيّما وأنّ فاطمه قد خطبها جلُّ الصحابه ولكنّه أعرض عنهم، وقد زوّجها من علىّ (عليه السلام)، فلابد للمنافقين أن يكرّسوا جهودهم لإثاره البلبله علّهم يجدون ثغره للتخريب فى داخل المعسكر الإسلامى الفتّى، ولكنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) سدّ فى

وجوههم كلّ ثغره فأبلغ المسلمين جميعاً نبأ الزواج وعلّله بأنّه من أمر الله تعالى، وقبل قيامه بهذه

[صفحه ۵۱]

المهمه كلّف (بلالاً) ليوجّه نداءً مستعجلاً من المسجد النبوى الذى كان بمثابه الإذاعه التى يسمع الناس منها بيانات الله ورسوله، ويذيع بلال النبأ فيجتمع المسلمون فى المسجد الشريف فيلقى الرّسول (صلى الله عليه وآله) بيانه بقوله:

«معاشر المسلمين إنّ جبريل أتانى آنفاً، فأخبرنى عن ربّى عزّ وجلّ أنّه جمع الملائكه عند البيت المعمور، وأنّه أشهدهم جميعاً أنّه زوّج أمته فاطمه من عبده على بن أبى طالب، وأمرنى أن أزوّجه فى الأرض وأُشهدكم على ذلك...» [۹] .

وبإلقاء هذا البيان أعلن الرسول (صلى الله عليه وآله): أنّ زواج على (عليه السلام) من فاطمه لم يكن بمثابه تحيّز من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلى (عليه السلام) وإنّما جرى ذلك بإعلان من الله سبحانه وبأمره، وهكذا اشترك المسلمون جميعاً بهذا النبأ السّار الذى أذاعه البشير محمد.

وبعد أن أعلن الرّسول (صلى الله عليه وآله) نبأ قبوله زواج علىّ من فاطمه (عليها السلام) جمع نفراً من صحابته وبضمنهم علىٌّ (عليه السلام) بغيه تلاوه مراسيم العقد حيث قال:

«الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع بسلطانه، المرهوب من عذابه وسطوته، النافذ أمره فى سمائه وأرضه، الذى خلق الخلق بقدرته، وميّزهم بأحكامه، وأعزّهم بدينه، وأكرمهم بنبيّه محمد، وإن الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهره سبباً لاحقاً وأمراً مفترضاً وأنتج بها الأرحام، وانتظم بها الأنام، وقال عزّ من قائل: «وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربُك قديراً» فأمر الله تعالى يجرى إلى قضائه، وقضاؤه يجرى إلى قدره، ولكلّ

قدر أجل، ولكلّ أجل كتاب، يمحو الله ما يشاء ويثبت ويحكم ما يريد وعنده أمّ الكتاب». ثم اردف قائلاً: «إن الله أمرنى أن أزوج فاطمه بعلى بن أبى طالب ابن عمى، فاشهدوا أنى قد زوجته بها» ثم خصّ عليّاً بقوله: «يا على إن الله تبارك وتعالى أمرنى أن أزوجك فاطمه، وإنّى قد زوجتكها على اربع مائه مثقال فضه» [۹] فأجاب علىٌّ (عليه السلام): «قد رضيتها يا رسول الله، ورضيت بذلك عن الله الكريم ورسوله الكريم». ثم إن عليّاً (عليه السلام) سجد لله شكراً.

وبعد أن استمع الحاضرون لهذه المراسيم مراسيم العقد المباركه عقّب الرسول (صلى الله عليه وآله) بقوله مخاطباً عليّاً (عليه السلام):

[صفحه ۵۲]

«جمع الله شملكما، وأعزّ جدّكما، وأطاب نسلكما، وجعل نسلكما مفاتيح الرّحمه ومعادن الحكمه وأمن الأُمّه، وبارك الله لكما، وبارك فيكما، واسعدكما، وأخرج منكما الكثير الطيب».

ثم راح يؤكد قيمتهما عنده أمام الحاضرين من صحابته فقال:

«ألهم إنّهما منى وأنا منهما، اللهم كما أذهبت عنّى الرّجس وطهرتنى. فاذهب عنهما الرجس وطهرهما وطهر نسلهما...».

وبإلقاء هذه الكلمات العذبه فى هذه المناسبه الجليله انفضّ المجتمعون والسرور يعمُّهم والفرحه تملأ نفوسهم وقلوبهم.

[صفحه ۵۵]

مراسيم الزواج

وبعد إعلان مراسيم العقد واصل الرسول (صلى الله عليه وآله) جهوده فى بناء دولته المباركه لكى تواجه شتّى المؤامرات التى تحيطها من الداخل ومن الخارج، فأخطار الداخل متمثّله بحركه النفاق النشيطه التى تعمل داخل صفوف المعسكر القرآنى، وأخطار الخارج متمثّله بمكائد الوثنيين واليهود وحلفائهم.

واستمر علىٌّ (عليه السلام) هو الآخر يواجه مسؤولياته كقائد نشيط وعضو فعّال من أعضاء كتله الإيمان الفتيّه، وراح يجتمع برسول الله (صلى الله عليه وآله)

دون أن يجرأ على محادثته بشأن فاطمه (عليها السلام) نظراً لما يمتاز به من حياء يمنعه من التحدُّث أمام أخيه محمد (صلى الله عليه وآله) فى مثل هذه القضيّه حتى مضى على مراسيم العقد قرابه شهر واحد [١٠] .

واتّصل عقيل بن أبى طالب بأخيه على (عليه السلام) فحدّثه بهذا الشأن وقد طالب بتعجيل زواجه بقوله: «فما بالك لا تسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يدخلها عليك فتقرّ أعيننا باجتماع شملكها...».

وحين يسأل عقيل عليّاً: هذا السؤال، إنّما يسأله اعتقاداً منه بأنّ عليّاً (عليه السلام) هو الذى كان سبباً فى تأخير الزّواج عن قصد ولكنّ عليّاً (عليه السلام) أوضح لأخيه عقيل أنّه يرغب رغبه ملحه فى الزواج إلّا أن حياءه من محمد (صلى الله عليه وآله) يمنعه من التّعجيل فى الزواج.

وحين استمع عقيل لهذا الحديث حديث علىٍّ (عليه السلام) الذى علّل فيه سبب تأخير زواجه، اتّفق هو وعلىٌّ أن يزورا الرسول (صلى الله عليه وآله) فى بيته ليحدّثاه بما عندهما، ويسرع عقيل وعلىٌّ إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) وبيناهما فى طريقهما إذ يلتقيان بأُمّ أيمن بركه بنت ثعلبه الإمرأه الصالحه، وتسألهما عمّا وراءهما فيطلعانها على ما جاء بهما، وتقترح عليهما أن يعودا إلى دارهما وهى بدورها ستتولّى هذه المهمّه حيث ستعرض هذا على أُمهات المؤمنين فيحدّثن بدورهن رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وفعلاً اتصلت أُمّ أيمن بأُمّ سلمه وبقيه أزواج الرسول (صلى الله عليه وآله) فعقدن اجتماعاً فى بيت عائشه، حيث كان الرسول (صلى الله عليه وآله) عندها، وتكلّمت أمُّ سلمه بلسان أُمهات المؤمنين بهذا الصدد حيث أوضحت للرّسول (صلى الله عليه وآله) أنّ عليّاً يرغب بالدخول

[صفحه ۵۶]

زوجته فاطمه، ولكنّ حياءه منعه من مصارحتك بذلك فتعجب محمد (صلى الله عليه وآله) مما سمع وأمر أُمّ أيمن أن تنطلق إلى على (عليه السلام) فتحضره.

وتسرع أُمُّ أيمن لتحضر عليّاً (عليه السلام) ويطرق الباب فتغادر اُمّهات المؤمنين حجره عائشه لينفرد محمد (صلى الله عليه وآله) بعلى (عليه السلام) ودخل على (عليه السلام) الحجره والحياء يأخذ مأخذه من نفسه ويسلّم على الرسول (صلى الله عليه وآله) ويجلس إلى جنبه مطرقاً برأسه إلى الأرض، وافتتح الرسول (صلى الله عليه وآله) الحديث بقوله: «أتحب أن تدخل عليك زوجتك؟».

ويجيب على (عليه السلام) بالإيجاب والقبول فيردّ محمد (صلى الله عليه وآله) عليه: «حباً وكرامه يا أبا الحسن».

ويأمر الرسول (صلى الله عليه وآله) عليّاً (عليه السلام) أن يتهيّأ للمهنّئين ويقيم مأدبه يدعو المسلمين لحضورها..

وأسرع علىٌّ (عليه السلام) إلى بيته، وفرشه رملاً من البطحاء، ثم عمد إلى السُّوق فابتاع سمناً وتمراً واقطاً؛ وسلّمه لرسول الله (صلى الله عليه وآله) الذى أحضر بدوره سفره من أدم كى يصنع بيديه الشريفتين حيساً، وأمر الرسول (صلى الله عليه وآله) بكبش فذبحت، وهيّأت [۱۱] نساؤه خبزاً كثيراً، ثم أمر عليّاً (عليه السلام) أن يدعو من يرغب من المسلمين لحضور وليمته.

وهبّ علىٌّ (عليه السلام) إلى المسجد النبوى الشريف، فرأى جمعاً غفيراً من المسلمين قد اجتمعوا فيه فاستحيى أن تكون دعوته وقفاً على قوم دون قوم، فدعا عامّه الحاضرين لحضور وليمته، وتوالت جموع المدعوين إلى بيت الرساله فكانوا يدخلون على رسول الله (صلى الله عليه وآله): عشره عشره ليتناولوا الطعام حتى شبع جميع الحاضرين من وليمه على (عليه السلام).

ثم دعا الرسول (صلى الله

علیه وآله) بصحاف، فملئت وأرسلت إلی الهاشمیات وخصّص صفحه لعلی والزهراء (علیهما السلام).

ومالت الشمس إلی الغروب فدعا محمد (صلی الله علیه وآله) أُمّ سلمه وأُمّهات المؤمنین وغیرهن من النساء المؤمنات لیزففن فاطمه (صلی الله علیه وآله) إلی بیتها الجدید، وزفّت فاطمه الزهراء إلی

[صفحه ۵۷]

بیتها وسط عاصفه من التکبیر والتّهلیل، وتظاهرت جماعه من المسلمین یقدمهم رسول الله (صلی الله علیه وآله) خلف فاطمه الزهراء (علیها السلام) یرفعون أصواتهم تهلیلاً وتکبیراً، وکان لابد لمثل هذه المناسبه الکریمه مناسبه الزّفاف من مراسیم خاصه إلی جانب التّهلیل والتّکبیر وفعلاً استمعت النساء إلی تلک المراسیم التی کان جلُّها رجز وأناشید ألقتها أُمّهات المؤمنین، حیث تقدّمت أُمّ سلمه فألقت أُرجوزه بهذه المناسبه:

سرن بعون الله جاراتی

واشکرنه فی کلّ حالات

واذکرن ما أنعم ربُّ العُلی

من کشف مکروه وآفات

فقد هدانا بعد کفر وقد

أنعشنا ربُّ السّماوات

وسرن مع خیر نساء الوری

تفدی بعمّات وخالات

یا بنت من فضّله ذو العلی

بالوحی منه والرّسالات

ثم ألقت أُرجوزتها عائشه فقالت:

یا نسوه أشرن بالمعاجر

واذکرن ما یحسن بالمحاضر

واذكرن ربّ النّاس إذ يخصُّنا

بدينه مع كلّ عبد شاكر

والحمد لله على إفضاله

والشُّكر لله العزيز القادر

سرن بها فالله أعلى ذكرها

وخصّها منه بطهر طاهر

ثم جاء دور حفصه وارتجزت تقول:

يا نسوه أشرن بالمعاجز

واذكرن ما يحسن بالمحاضر

فاطمه خير نساء البشر

ومن لها وجه كوجه القمر

فضّلك الله على كلّ الورى

بفضل من خص

بآی الزمر

زوّجک الله فتیً فاضلاً

أعنی علیّاً خیر من فی الحضر

فسرن جاراتی بها فإنّها

کریمه بنت عظیم الخطر

وقد ألقت بعض المؤمنات منظومات أُخری ابتهاجاً بهذه المناسبه الکریمه، وکنّ یردّدن فی هذه المنظومات والأراجیز بعیداً عن الفوضی والإنحلال الذی

[صفحه ۵۸]

اعتاد علیه عصرنا الحاضر، فخرج عن مثله وضوابطه وعقائده.

وبعد زفاف فاطمه (علیها السلام) إلی بعلها علی (علیه السلام) جاء رسول الله (صلی الله علیه وآله) مهنئاً علیاً (علیه السلام) بقوله: «بارک الله لک فی ابنه رسول الله».

ثم إنّ الرسول (صلی الله علیه وآله) أخذ إناء ماءٍ، وتلا علیه شیئاً من آیات الله الکریمه تبرُّکاً بها، وأمر علیاً (علیه السلام) أن یشرب منه قلیلاً، وفعل مثل ذلک مع فاطمه (علیها السلام)، ثم نضح منه شیئاً علی رأسیهما ووجهیهما.

ثم إنّ الرسول (صلی الله علیه وآله) دعا لهما بقوله:

«اللهم إنّهما أحبُّ الخلق إلیّ، أحبّهما، فبارک فی ذریتهما، واجعل علیهما منک حافظاً، وإنّی أُعیذهما بک وذرّیتهما من الشّیطان الرجیم».

ثم ودّعهما وعاد إلی بیته.

وکانت تلک اللیله التی تم فیها زواج علیّ من فاطمه (علیهما السلام) نقطه انطلاق فی حیاه البیت الهاشمی المقدس، ومرحله جدیده من مراحل حیاته، لأنّ فی زواجهما أُنشئت المدرسه المبارکه مدرسه الوحی والإیمان التی ستخرج إمامه الأرض وخلفاء الأمّه بعد محمد (صلی الله علیه وآله) وقد آن لفاطمه أن تتولّی مسؤولیاتها الجسیمه کزوجه وفیّه وأُمّ رؤوم ومدرسه للتّربیه التربیه الإسلامیه بکلّ معالمها وأُطرها التی رسمها خالق الوجود سبحانه وتعالی فی کتابه الذی نزل علی عبده محمد (صلی الله علیه وآله).

وتتحدّث أندیه المسلمین عن زواج علیّ (علیه السلام)

بفاطمه فتصفه هذه الأنديه أنّه أروع زواج عرفه المسلمون حيث شارک المسلمون جميعهم بيت الرّساله أفراحه وسروره.

فصرّحت عائشه وأُمُّ سلمه بهذا الشأن وهما تصفان هذه المناسبه الجليله وقد جاء فی حديثهما: «فما رأينا عرساً أحسن من عرس فاطمه».

كما أنّ الصحابی الكبير جابر بن عبدالله الانصاری صرّح مرّه ذاكراً زواج علی (عليه السلام) من فاطمه قائلاً فی مطلع حديثه: «حضرنا عرس علیٍّ (عليه السلام) فما رأيت عرساً كان أحسن منه» [۱۲] وهكذا كان زواج علیٍّ (عليه السلام) قدوه اقتدی بها

[صفحه ۵۹]

المسلمون حتی صارت أكثر مراسيمه سنناً تتّبع ودروباً تسلك.

وقد تم هذا الزواج المبارک وفاطمه قد أدركت التاسعه أو الثانيه عشره من عمرها علی قول وفی حدود السنه الثانيه للهجره.

[صفحه ۶۳]

الغرس المبارک

وبعد أن تم زواج علی من الصديقه الزهراء (عليهما السلام) أصبح الإسلام والأُمّه الإسلاميّه ينتظران بفارغ من الصبر غرساً مباركاً جديداً يشكل الإمداد الرّسالی بعد محمد (صلی الله عليه وآله).

وتمضی الأيام سريعه، والأُمه والإسلام يسجّلان ملحمه من الإنتصارات علی قوی المعسكر الجاهلی المهزوم، والرّسول القائد (صلی الله عليه وآله) يتلقّی البنود التشريعيه من لدن حكيم خبير، ليقيم دولته علی أُسس رصينه قادره علی تحمُّل أعباء حمل الرّساله الإسلاميه إلی آفاق هذا الكوكب الأرضیّ بشتّی وسائل التبليغ دعوتيّه كانت أم جهاديه .

فی مثل هذا الظرف الدّقيق الذی تمرُّ به الدّعوه، وفی مثل هذا الظرف من حياه الطلائع الأُولی من معسكر الإيمان، وفی اليوم الخامس عشر من شهر رمضان المبارک سنه ثلاث من الهجره، أذاع بيت الرّساله نبأولاده الزهراء (عليها السلام) ذكراً، وقد كان صدی هذا النبأ

السّار شديد الوقع فى نفس محمد (صلى الله عليه وآله) حيث امتلأت نفسه الطاهره حبوراً بهذا الوليد المبارك.

وأسرع إلى بيت فاطمه الزهراء (عليها السلام) ليحمل لها تهانيه ويفضى لها بمسرّاته، ثم يأمر أن يقدّم إليه الوليد الكريم فتحمله إليه أمُّ سلمه أو أسماء بنت عميس على قول وقد لُفّ فى خرقه صفراء، فرمى بها الرسول (صلى الله عليه وآله) وهو يقول: «ألم أنهكم أن تلفّوا المولود فى خرقه صفراء» [١٣] .

ثم أمر بلفّه فى خرقه بيضاء ثم سره وألباه بريقه، وتضرّع إلى الله سبحانه بقوله: «اللهم إنّى أُعيذه بك وولده من الشيطان الرجيم».

ثم أذّن فى أُذنه اليمنى وأقام فى اليسرى ليكون وليده المبارك قد طرق سمعه فى لحظات حياته الأُولى منهج الله سبحانه المتمثّل بالخضوع التشريعى لله سبحانه فى كلّ شأن من شؤون الحياه الإنسانيه، ثم أعلن الرسول (صلى الله عليه وآله) أنّ هذه المراسيم أسمى ما يقابل به المولود فى هذه الأمّه حيث قال: «لا يفعل ذلك بمثله إلّا عصم من الشيطان الرجيم».

[صفحه ۶۴]

وبعد أن أتّم الرسول (صلى الله عليه وآله) هذه المراسيم الإسلاميه التفت إلى علىّ (عليه السلام) وقال: هل سمّيته؟.

علىٌّ: ما كنت لأسبقك باسمه.

الرسول: وما كنت لأسبق باسمه ربّى.

وتتصل السماء بالأرض لتجيب على سؤال بيت الرّساله فى شأن تسميه الوليد المبارك على لسان سفيرها المقدس جبرئيل. فيعلن: أنّ اسم الوليد حسن.

ويحلُّ اليوم السابع لتحلّ معه حلقه جديده من حلقات المراسيم الاسلاميه التى يقابل بها المولود المبارك، فيحل الرسول (صلى الله عليه وآله) بيت ابنته الزهراء (عليها السلام)، فتحمل وليدها إليه فيأمر بكبش فيعقّ عنه،

ثم يرفع يديه بالتضرُّع إلى الله قائلاً:

«اللهم عظمها بعظمه، ولحمها بلحمه، ودمها بدمه، وشعرها بشعره، اللهم اجعلها وقاءً لمحمد وآله» [۱۴] .

ثم منح القابله فخذاً وديناراً، إكراماً لها وتقديراً لمجهودها، ثم يحلق رأسه ويتصدّق بزنه: شعره فضّه، ويأمر فاطمه بإطلاء رأسه بالخلوق، وهو مخلوط من عطور نباتى كالزعفران وغيره . ويمنع (صلى الله عليه وآله) من طليه بالدّم لأنّه من أخلاق الجاهليه.

وبعد أن تلد الزهراء (عليها السلام) الحسن السبط (عليه السلام) بأيّام قلائل، وفى الوقت الذى يعيش فيه بيت الرّساله فى غمره من الأفراح والمسرات، تحمل الزهراء (عليها السلام) مرّه أُخرى فينتظر البيت العلوى الطاهر ولادتها بفارغ من الصبر. وتمضى الايام سريعه فيعلن بيت الرساله المقدس نبأ بزوغ نجم الوليد الجديد فى اليوم الثالث من شعبان وفى السنه الرابعه للهجره النبويّه.

وتردّد آفاق (يثرب) صدى هذا النبأ المفرح ويتلقاه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) بالبشر والحبور، وتعلوه الفرحه، وتبدو على تقاسيم وجهه الطاهر، ويهبُّ إلى بيت ابنته الطاهره فاطمه الزهراء (عليها السلام) ليحمل لها مسرّاته وتهانيه الخالصه،وتقدّم إليه الطفل المبارك ليؤذّن فى أُذنه اليمنى ويقيم فى اليسرى، ثم يعلن تسميته حسينا.

[صفحه ۶۵]

وفى اليوم السابع من ميلاده المبارك يعق الرسول (صلى الله عليه وآله) عنه كبشاً، ويأمر الصدّيقه الزّهراء (عليها السلام) بحلق رأسه والتّصدُّق بزنه شعره فضه.

وتُجرى الزهراء (عليها السلام) المراسيم الإسلاميه التى أجراها الرسول (صلى الله عليه وآله) مع الحسن السّبط (عليه السلام) حين ولادته.

وحينما تلد الزهراء (عليها السلام) وليدها الجديد المبارك فإنّما وهبت الإسلام والأُمّه، القياده الرّساليه الدّائمه بعد أبيها وبعلها والمتمثّله بالحسن والحسين والأئمه المعصومين من أولاد الحسين (عليهم السلام).

وحين

تلد الزهراء الحسين (عليه السلام) تحمل بعد أيام، فينتظر بيت الرّساله ليستقبل غرساً جديداً من زرع الإيمان المقدس، وتمرُّ الأيام سريعه، وإذا ببيت الوحى يزف بشراه بميلاد زينب الكبرى والصدّيقه الصغرى التى ستتولى دور أُمّها الرسالى فى الحياه كمدرسه إسلاميه تواجه كل إعصار جاهليٍّ يواجه رساله السماء.

وكان ميلاد الصديقه الصغرى يوم الرابع عشر من رجب على المشهور فى السنه الخامسه من الهجره النبويه، فهبّ البيت النبوى المبارك يزف بشائره لجماهير الأُمه الإسلاميه ابتهاجاً بهذه المناسبه الجليله، ويهبُّ الرسول (صلى الله عليه وآله) كعادته ليرفع تهانيه لبضعته الزهراء (عليها السلام) ويعلن تسميه هذه المولوده المباركه ب زينب.

ويتولّى بيت الرساله جميع المراسيم التى ندب إليها الإسلام الحنيف على لسان القائد محمد (صلى الله عليه وآله). ويعيش بيت الرّساله مناخاً دافئاً من الأفراح والمسرّات، فهو ما أن ينتهى من مناسبه إلّا ويدخل فى مناسبه أُخرى كأختها حامله نفس الطابع من الإبتهاج.

وبعد مضى أيام قليله تحمل الزهراء (عليها السلام) حملاً جديداً، وما أن تمضى الفتره الطبيعيّه على حملها إلا ويزف بيت الرّساله نبأ ولاده مباركه جديده تحمل معها موجاً من الأفراح يشترك فيه جميع أهل بيت الرساله.

ويأتى الرسول (صلى الله عليه وآله) لتمثيل دوره الطبيعى فى تهنئه ابنته الطاهره فاطمه

[صفحه ۶۶]

الزهراء (عليها السلام) فى ابنتها الجديده، فأعلن على تسميتها زينب الصغرى ولقبها (أُمّ كلثوم)، وتجرى كافه المراسيم لها والتى أُجريت لإخوتها من قبل.

ولدت أُمُّ كلثوم (عليها السلام) لتكّون مع أُختها الكبرى المدرسه الإسلاميه التى وضعت الصّدّيقه الزّهراء (عليها السلام) لبناتها ومقوّماتها الاساسيه.

وحين تولد أُمُّ كلثوم (عليها السلام) فإنّما قد تمّ بناء مسرح الإمداد الرسالى

المبارك الذى يمثل مدرسه الوحى التى أقام خالق الوجود سبحانه صرحها الشامخ فى الارض.

وتمضى الأيام سريعه على أهل البيت (عليهم السلام)، ويترعرع الحسنان ويبدآن بالنموّ جسميّاً وفكريّاً وروحيّاً، وهما يتنقّلان بين أحضان جدّهما وأبيهما وأُمّهما (عليهم السلام) حتى أصبح كيانهم الروحى والمادى بمثابه صفحه حيّه للرساله الإسلاميه، بل أصبحا بمثابه التجسيد الحىّ للرساله الإسلاميه برمّتها، فأصبح فكرهما وسلوكهما وكافه ألوان نشاطهما إسلاماً يسير على الكوكب الأرضى. وهذه الحقيقه الكبرى انعكست على أقوال الرسول (صلى الله عليه وآله) فراح يثير عزمه الأُمّه الإسلاميه على احتضانهما والتمسّك بهما بعد جدّهما وأبيهما. وراح يُعلن هذه الحقيقه أمام الجموع الإسلاميه وبصوره دائميه وبالحاح مستمر، فها هو يعلن لأُمته:

«ابناى إمامان قاما أو قعدا...»

«من أحبّنى فليحبّ هذين...»

«هما ريحانتاى من الدُّنيا...» [١٥].

وتنطوى صفحه الأيام وتغيب شمس الرساله حين يغيب شخص محمد (صلى الله عليه وآله) ويفاجأ الاسلام بتياراتٍ عنيفه كان ضحيّتها أهل البيت (عليهم السلام) جميعاً، فيقصى علىٌّ (عليه السلام) من مركزه القيادى فى الأُمه، وتحرم الزهراء (عليها السلام) من نحلتها وتسام الخسف بعد أبيها حتى تلتحق بدار الخلود كئيبه، وهكذا يفارق علىٌّ (عليه السلام) الحياه على أيدى عمليه اغتياليه هوجاء.

أما الحسن (عليه السلام) وهو سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) الأول، فقد تولّى الحكم والقياده بعد أبيه، ولكنّه فوجىء بإعصار خبيث من المحن السياسيّه التى حملته على اعتزال القياده الشرعيه، وكانت هذه المحن السيّاسيّه متمثله:

[صفحه ۶۷]

١ بمعاويه بن أبى سفيان، الذى استبدّ فى بلاد الشام، وأقام جرحاً لا يندمل فى كيان الامه الإسلاميه.

٢ بالخوارج الذى استفحل نشاطهم فى هذه الأيّام، سيّما بعد قتلهم لعلى بن أبى

طالب (عليه السلام).

۳ تكالب المنافقين والمصلحيين على القياده، سيّما فى العراق.

۴ الخيانه والإنحلال الذى تعرّض له جيش الحسن (عليه السلام) نفسه بعد الخيانه العظمى التى اتسمت بها شخصيه قائده عبيد الله بن عباس الذى تواطأ مع معاويه على الغدر بالإمام الحسن (عليه السلام).

وتحت ضغط هذه المطارق الفتيّه اضطر الإمام الحسن (عليه السلام) على مصالحه معاويه، شريطه أن يتولّى الحكم بعد معاويه الإمام الحسن (عليه السلام) فإن مضى قبل تولّيه الحكم تولى هذه المهمّه أخوه الحسين (عليه السلام). وشروط أُخر كلُّها فى صالح الأمّه الإسلاميه مدرجه فى عامه كتب التأريخ.

وحين يعقد الحسن (عليه السلام) بنود الصُلح مع معاويه فإنّما كان ذلك بدافع الحرص على كيان الأمّه وحراستها من التصدُّع والإنهيار، وبالتالى حفظ كيان الرساله نفسها من التلاعب والتحريف حيث رأى من الأرجح أن يتولى مهمه حفظ الرساله التى كان يمثّل هو مدرستها الوحيده، وأما أن يبقى فى مواقفه العسكريه والتنفيذيه فإنّه سيقتل حتماً ما دامت الظروف كلّها ليست بصالحه، ففضل القعود عن المهام التنفيذيه تحت وطأه من الضغوط الإجتماعيه والسياسيه والعسكريه.

ويقينى أنّ الذين يصفون الحسن (عليه السلام) بقلّه التدبير وضعف الحنكه السيّاسيه، لو عادوا إلى الظروف التى عاشتها الأمّه الإسلاميه يومذاك ودرسوها دراسه مستوعبه لتوصّلوا بطريقهٍ منطقيّه واستقرائيه إلى أنّ صلح الحسن (عليه السلام) كان منطقيّاً وواقعيّاً.

ولكن معاويه الذى صفا له الجوّ السياسى بعد مقتل أمير المؤمنين على (عليه السلام) نقض بنود الصلح بكاملها، ولكنّه لا يستطيع أن يعلن صراحه

[صفحه ۶۸]

نقضها، وإنّما اهتدى إلى طريقه يتخلّص بها من الطرف المصالح والمقابل له

شخصياً.

وفعلاً تمت المأساه، حيث دسّ السُمّ إلى الحسن (عليه السلام) على يد زوجته بنت الأشعث، فكان الحسن (عليه السلام) ضحيّه تلك الاحداث المريره من حياه الأُمه الإسلاميه.

ويهلك معاويه فى حدود سنه ستين من الهجره، وسرعان ما تفاجأ الأمه بامتطاء ابنه يزيد لدست الحكم، دون سابق معرفه بشؤون التشريع ودون درايه بحاجه الأمّه ومصالحها، وكان مجيىء يزيد الى الحكم بمثابه:

١ الإلغاء الرسمى لبنود الصلح المعقوده بين الحسن (عليه السلام) ومعاويه.

٢ التمادى فى التضليل والإنحراف بالامه الإسلاميه عن معين الرساله الإسلاميه المقدّسه، والأمر الأخير هذا قد استفزّ الحسين (عليه السلام) وحفّزه على إعلان بيانه الأول الذى أعلن فيه عدم اعترافه بحكومه ضالّه عن منهج الله تعالى، وأنّه عامل على إسقاطها بأى ثمن كان، أو يفارق الحياه بعد ادائه لمهامّه كقائد شرعيٍّ للأُمّه الإسلاميه ومسؤول عن حمايه مبدئها القويم.

وجدّ الجدُّ، وتحمل سبط محمد (صلى الله عليه وآله) كلّ التبعات، وواجه الموت بصلابه شكيمه، ورباطه جأش.

واجتمعت القوى المغروره تحت رايه الجاهليه الجديده وبرز لها الإيمان متمثّلاً بشخصيّه الحسين (عليه السلام)، وكانت محصّله الأحداث: أن صافح التراب جبين الحسين (عليه السلام) وهو يرسم للأُمه الإسلاميه طريقها اللاحب فى دروس، ملؤها تضحيه وإقدام وإباء، وهو يعلّم الأجيال ألاّ تستكين لظالم أو طاغوت أنّى كان لونه وشعاره .

وتقف زينب الكبرى وشقيقتها الصغرى أُمّ كلثوم موقفهما البطولى فى مأساه الرساله الإسلاميه الأخيره، لتسجّلا فى التأريخ أسطراً من نور، حيث يعيشان المصيبه والمحنه بكلّ أبعادها، سيما بعد أن هدأ صليل السيوف، فخرجتا يتفقدان القتلى، فلا يجدان من حماتهما غير مقدود رأس، ومصافح خده للتراب. ثم تلتفتان، فلا تجدان غير طفل يصخب، وأُمّ تندب، وفتاه تضطرب من

ثقل المأساه. وهناك

[صفحه ۶۹]

خيام تضطرم وقناع يسلب، وعليل يئن، فكان لابد لهما وهما بقيه الصفوه أن يجمعا الأطفال والنّساء فى خيمه واحده، ويقوما بمهام الرّعايه والحراسه بديلاً عن الفقيد وصحبه الابرار، ثم يتبع ذلك اسر وتشريد ومذلّه على أيدى أشرّ خلق الله، يزيد وحفنه من أذنابه.

وهكذا تنتهى فصول هذه المسرحيه، مسرحيّه المأساه التى عاشها الغرس المبارك، غرس الزهراء فاطمه بنت محمد (صلى الله عليه وآله).

[صفحه ۷۲]

الزهراء فى منطق الرساله الإسلاميه

فى نظر القرآن الكريم

وحين تشكل الزهراء (عليها السلام) المدرسه الإسلاميه الكبرى فى حياه الرّساله والأُمّه بصفتها غرس النبوه الوحيده الذى تولّى إنجاب خلفاء الرسول (صلى الله عليه وآله) الشرعيين المتمثّلين بأئمه أهل البيت (عليهم السلام). وحين تكون الزّهراء (عليها السلام) النافذه الوحيده التى يطلُّ منها القاده الحقيقيون على الإنسانيه، فلابد للإسلام أن يولى مدرسته هذه كثيراً من الأهتمام والعنايه ليجعل أُمته أكثر قدره على سلوك السبيل الألحب المتمثل باتّباع أهل بيت الرساله (عليهم السلام).

والقرآن الكريم وهو دستور الأُمّه الخالد قد أولى فاطمه الزّهراء (عليها السلام) عنايته وأبرز قيمتها ومعالم شخصيّتها فى كثير من آياته. وإذا شاء الباحثون أن يستوعبوا هذه الآيات دراسه واستقراءً لأصطروا إلى تأليف كتابٍ ضخم لتحقيق هذا الهدف، ولذا فإنّنا حين نتعرّض للحديث عن مقام الزهراء (عليها السلام) فى نظر القرآن، فلابد لنا أن نلتزم جانباً من الإيجاز ما دام الأمر يحاج إلى كثير جهد وبذل وقت طويل. ولنكتف بسرد الآيات الآتيه:

۱ «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» [۱۶] .

اجمع المؤرّخون وأهل التفسير من الصّحابه والتابعين على أن هذه الآيه

]

نزلت فی محمد وعلی وفاطمه والحسن والحسین (علیهم السلام) [۱۷] فقد ورد عن أُمّ سلمه (رض): أنها قالت: إنّ هذه الآیه نزلت فی بیتی، إذ أن النبیّ (صلی الله علیه وآله) دعا علیّاً وفاطمه والحسن والحسین (علیهم السلام) وجلّلهم بعباءهٍ خیبریه، ثم قال: «اللّهم هؤلاء أهل بیتی فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهیراً»، فنزل قوله تعالی: «إنّما یرید الله لیذهب عنکم الرّجس أهل البیت ویطهرکم تطهیراً».

وقد هزّ أُمّ سلمه الشوق علی أن تکون معهم، فقالت لرسول الله (صلی الله علیه وآله) «هل أنا من أهل بیتک؟». قال: «لا ولکنّک علی خیر».

وحین یلقی المتتبع نظره فاحصه علی هذا الحدیث الذی ترویه أُمّ المؤمنین أُمّ سلمه، وحین یطّلع علی مکانه أُمّ سلمه نفسها فی الإسلام ومکانتها الرفیعه عند الرسول (صلی الله علیه وآله) یتّضح له السّر الذی دفع الرّسول (صلی الله علیه وآله) إلی عدم حشرها فی أهل بیته (علیهم السلام).

فأمُّ سلمه هی التی یکلّفها الرسول (صلی الله علیه وآله) بأُمور خاصّه دون غیرها من نسائه لتتولاها، فهو یکلّفها بتربیه فاطمه الزهراء (علیها السلام) بعد وفاه أُمّها، وهی التی تتولی مهمّه زفافها ورعایتها، کما أنّ کثیراً من الحوادث التی عاشها بیت الرّساله أفراحاً کانت أم أتراحاً کان لأُمّ سلمه حظٌ وافر فیها. والتأریخ یمتلیء بشواهد جمّه، کلُّها تسبغ علی هذه الإمرأه الجلیله إطاراً من القدسیه والقدم فی الإسلام والإخلاص للرسول (صلی الله علیه وآله). ولکنّ هذه المکانه الرّفیعه التی تتمتّع بها أُمّ المؤمنین أم سلمه لم ترفعها إلی الدّرجه التی وصلها أهل البیت (علیهم السلام) لأنّ أهل البیت لهم درجتهم الخاصّه ونصیبهم الخاص من الکرامه الإلهیه مما

جعل القرآن الكريم يفرد لهم صفه إذهاب الرّجس عنهم، فهم بعيدون عن كلّ خلق ونشاط وتحرُك وسكون لا يمتُّ إلى رساله السّماء بصله، فقد انطبع فكرهم وإدراكاتهم وكافّه ألوان نشاطاتهم وعواطفهم بلون الرّساله الإلهيه المقدّسه، حتى عادوا إسلاماً يسير على الأرض. ولهذا أعطى الرّسول (صلى الله عليه وآله) أُمّ سلمه مقامها الذى يختلف فى علوّ منزلته عن مقام أهل البيت (عليهم السلام)، فهى على خير، ولكنّها لا تبلغ ذلك المقام السّامى، مع أنّها

[صفحه ۷۴]

مّمن أنعم الله عليها بدرجه عاليه من الإيمان ولم يعرف عنها: أنّها خالفت الرسول (صلى الله عليه وآله) فى حياته، أو مماته، أو خالفت معالم التشريع فى جانب من سلوكها.

والروايه على هذا الأساس تتحفنا نتيجه منطقيه: أنّ آيه التطهير ما نزلت إلّا فى الزهراء وأهل بيتها، وليس لأزواج الرسول (صلى الله عليه وآله) نصيب فيها كما يدّعى البعض لأنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) رفض حشر أكثر ازواجه تقى، وأعلاهنّ مقاماً فى الإسلام فى أهل بيته، والإنخراط فى سلكهم، فكيف تكون الآيه قد خصّت الأُخريات من نسائه؟

وهكذا ترسم لنا الآيه الكريمه أنّها تعيش فى إطار بيت الزهراء (عليها السلام) دون أن تخرج إلى مدار أوسع، وفقاً لما قرّره الرسول (صلى الله عليه وآله) فى محاورته لأُمّ سلمه، وإجابته على طلبها بالنفى مع كونها على خير.

۲: «فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبته فنجعل لعنه الله على الكاذبين» [۱۸] .

وهذه الآيه المباركه نزلت فى واقعه تأريخيه حسّاسه جرت بين معسكر الإيمان الفتىّ فى يثرب، ومعسكر الضّالين

عن درب الهدايه المتمثّل بنصارى نجران وغيرهم.

والتأريخ الإسلامى يعرض فى هذه الواقعه كيف تنهزم قوى الضّلال أمام قوى الإيمان المسدّده من الله جبّار السماوات والأرض.

وتتلخّص الحادثه فى: أنّ وفداً من نصارى نجران قدموا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان فيهم السيد والعاقب والقس والحارث، وأسقفهم عبد المسيح بن يونان، وقد جرت بين ممثّلى المعسكرين محاوره قصيره: [١٩] .

الأسقف: «يا أبا القاسم، موسى من أبوه؟».

الرّسول (صلى الله عليه وآله): «عمران».

[صفحه ٧٥]

الأسقف: فيوسف، من أبوه؟

الرّسول (صلى الله عليه وآله): يعقوب.

الأسقف: فأنت من أبوك؟

الرّسول (صلى الله عليه وآله): أبى عبدالله بن عبد المطلب.

الأسقف: فعيسى من أبوه؟

وحين يسأل الأسقف هذا السؤال فكأنّما أراد أن يقول للرسول (صلى الله عليه وآله): فما دام لكلّ نبى أو لكلّ رجل من الذين ذكرت أب، فلماذا تنكرون علينا قولنا نحن النّصارى ؟ وانطلاقا من هذه الحقيقه: أنّ لعيسى أباً هو الله تعالى .

الرسول (صلى الله عليه وآله): يطرق قليلاً- ليوكل الرأى الى السماء لتعطى الرأى الحاسم فى المسأله، فتعلن حقيقه خلق عيسى كخلق آدم من قبل وهو مّما أتفق الطرفان على شكل خلقه: «إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون» [٢٠] .

الأسقف: والذهول يستولى على كلّ جانحه فيه :

أتزعم أنّ الله اوحى إليك أنّ عيسى خلق من تراب لا نجد هذا فيما أُوحى إلينا ولا يجده اليهود فيما أُوحى إليهم.

الرسول (صلى الله عليه وآله) يتلقى بلاغاً جديداً من السّماء، فيتلوه عليهم:

«فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من

العلم فقل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنه الله على الكاذبين».

الأسقف: لقد أنصفتنا يا أبا القاسم فمتى نباهلك؟

الرسول (صلى الله عليه وآله) بالغداه إن شاء الله.

وينصرف وفد النصارى، وهو على موعد للعوده من جديد لكى يباهل الرّسول (صلى الله عليه وآله) فيظهر الحق ويزهق الباطل.

[صفحه ۷۶]

ينصرف الوفد ولكنّ أمواجاً من الهواجس والأحاسيس تترك فى نفوس أكثر أعضائه، ولعلّ بعضهم وثق من صحّه دعوى محمد (صلى الله عليه وآله) بالنبوّه، ولكنّه لا يستطيع أن يعلن ذلك خشيه الضغط الإجتماعى الذى يعيشه، فلا بد من الإنتظار ولكن محادثه أملتها المخاوف التى تجرُّها المباهله، إن وقعت جرت بين طليعه الوفد:

السيد للحارث: ما تصنعون بمباهلته؟

الحارث: إن كان كاذباً ما تصنع مباهلته شيئاً، وإن كان صادقاً لنهلكنّ.

الأسقف: إن غدا، فجاء بولده وأهل بيته، فاحذروا مباهلته، وان غدا بأصحابه فليس بشىء.

واشرأبّت الأعناق تنتظر صباح الغد لترى الحاله التى يأتى عليها محمد (صلى الله عليه وآله) للمباهله، فجاء وهو يحتضن الحسن والحسين (عليهما السلام) وفاطمه وعلياً (عليهما السلام) يمشيان خلفه وجثا على ركبتيه جاعلاً عليّاً (عليه السلام) أمامه وفاطمه (عليها السلام) خلفه والحسن (عليه السلام) عن يمينه والحسين (عليه السلام) عن شماله وخاطبهم: إن دعوت فأمّنوا.

وحين يأتى محمد (صلى الله عليه وآله) بهذه الهيئه التى خشيها الأسقف سابقاً على أصحابه امتلأت نفوس النّصارى رعباً وهلعاً من ضراعه محمد (صلى الله عليه وآله) إلى ربه، وخافوا أن تلّم بهم قارعه. أو يحلّ عليهم عذاب الله سبحانه، حيث أعلن أسقفهم: جثا والله محمد كما يجثو الأنبياء للمباهله.

ويعقّب الأسقف

مخاطباً قومه: «إنّی لأری وجوهاً لو سألوا الله أن یزیل جبلا من مکانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلکوا».

ویتدارک النّصاری الأمر فقالوا: «یا أبا القاسم، أقلنا اقال الله عثرتک».

الرسول: «قد أقلتکم».

ولکنّ النّصاری أعلنوا لمحمد (صلی الله علیه وآله) أن یبقی کلٌّ علی دینه، ولکنّه أصرّ علی أن یسلموا أو الحرب.

النّصاری: «لا طاقه لنا بحربک».

[صفحه ۷۷]

وقرروا مصالحته شریطه أن یعطوه ضریبه الجزیه کاعتراف منهم بسلطان دولته السیاسی علی أرضهم وأبنائهم، ویحفظ الرّسول (صلی الله علیه وآله) عهدهم ما داموا علیه.

وتنتهی المسرحیّه وتنتصر قوی الإیمان، فیعلن محمد (صلی الله علیه وآله) بعد ذلک بقوله: «والذی نفسی بیده إنّ العذاب تدلّی علی أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قرده وخنازیر ولاضطرم علیهم الوادی ناراً ولاستأصل الله نجران وأهله حتی الطَّیر علی الشّجر، ولما حال الحول علی النَّصاری کلَّهم حتّی هلکوا» [۲۱] .

وهذه الواقعه التاریخیه، وهذه الآیه المبارکه التی نزلت لتبیان معالمها تجلّی لنا بوضوح مقام الزَّهراء (علیها السلام) عند الله سبحانه ورسوله (صلی الله علیه وآله) حیث وصفتها الآیه ب «نساءنا» وهی علی هذا الأساس نموذج العنصر النسائی فی المعسکر الإسلامی الکریم، ولا مثیل لها فی النساء علی الإطلاق، ولذا باهل بها رسول الله بأمر السماء، ولو وجد خیراً منها تقیً أو ورعاً أو کرامه عند الله سبحانه لقدّمها لهذا المقام الرفیع، ولکنّها فاطمه الزهراء (علیها السلام) التی طهّرها الله سبحانه من الرّجس فارتفعت إلی المستوی الذی جعل منها ممثله لجماهیر النّساء فی معسکر الإیمان لکی یقتدین بها، سیّما بعد أن سبقتهن بهذه الدرجه الرفیعه.

ولیست الزهراء (علیها السلام) وحدها قد ربحت قصب السبق فی هذا المضمار،

ولكنّ بعلها عليّاً (عليه السلام) هو الآخر قد جعله الله ومحمداً (صلى الله عليه وآله) نفساً واحدةً «وأنفسنا» دون استثناء، فالرسول (صلى الله عليه وآله) وعليٌّ (عليه السلام) الممثّلان الوحيدان لعنصر الرّجال فى معسكر الوحى لكى تقتدى الأجيال بهما بعد نيلهم لهذه الدرجه العاليه فى مضمار التّقى والإيمان التى لم يبلغهما غيرهما من الواقفين تحت رايه التّوحيد.

والحسنان (عليهما السلام) هما الآخران اللذان كسبا الربح فهما على حدّ تعبير الآيه الكريمه ولدا محمد وعلى (عليهما السلام) فى آن واحد «أبناءنا» وهما على هذا الأساس ساده الأبناء وقدوتهم فى دنيا المسلمين، وهما وحدهما اللذان يملكان حقّ تمثيل شباب الأُمه فى مباهله النّصارى لأنّ استجابه الله سبحانه تكون مضمونه ومكفوله وحتميّه الوقوع.

[صفحه ٧٨]

٣ «قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا الموده فى القربى».

عن ابن عباس وسعيد بن جبير (رض): لما نزلت هذه الآيه. قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟.

قال: علىٌ وفاطمه وولداهما [٢٢] .

وعن جابر، قال: «جاء أعرابى إلى النبى (صلى الله عليه وآله) فقال: يا محمد، اعرض علىّ الإسلام، فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وان محمداً عبده ورسوله.

قال: تسألنى عليه أجراً؟

قال (صلى الله عليه وآله) لا، إلّا المودّه فى القربى.

قال: قربای أم قرباك؟

قال (صلى الله عليه وآله): «قربای».

قال: هات أُبايعك.، فعلى من لا يحبُّك ولا يحبُّ قرباك لعنه الله.

قال (صلى الله عليه وآله): آمين.

وعن علىّ بن الحسين (عليهما السلام) وسعيد بن جبير وعمرو بن شعيب وعن أبى جعفر وعن أبى عبدالله (عليه السلام) مرفوعاً

إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله): أنّه قال حين سئل عن مفاد هذه الآيه: «أن تودوا قرابتى» [۲۳] .

وحين ترتفع هـذه الآيه الكريمه إلى هـذا المسـتوى فى تأكيد محبّه أهل البيت فاطمه وبعلها وبنيها ، فإنّما توضح للأُمه الإسـلاميه واجيالهـا المتعـاقبه الـدرجه العاليه التى بلغها أهل البيت (عليهم السـلام) فى مضـمار التقرُّب إلى الله سـبحانه والسـير وفقاً لمنهجه السوىّ، فـالرسول (صـلى الله عليه وآله) حين يسـأله بعض المسـلمين مـا الأـجر قبال جهوده المفنيه فى بث الـدعوه وتثبيت كيانها ونشر معالمها فى الأرض؟

حين يسأله هؤلاء عمّا يبتغيه من أجر إزاء متاعبه فى بثّ منهج الله يرفض كلّ أجر قبال ذلك لسببين:

[صفحه ۷۹]

۱ لعلمه أنّ الله سبحانه سيوفيه أجره كاملاً لا نقص فيه حين يفد إليه فى الدّار الاخرى حيث النّعيم الدّائم.

۲ إنّ البشـر مهمـا أُوتـوا من حول وطول غير قـادرين على منحه من أجر غير الأـجر المـادى المتمثّـل بالمـال أو الزّوجه أو الأـجر المعنوى المتمثّـل بالثناء أو المنصب وما يشـبههما، وكلا الأجرين مقطوعان بانقطاع المرء عن الـدُنيا. وإذا كان محمـد (صـلى الله عليه وآله) غير محتاج إلى أجر أُمته المنقطع لذاته، فقد سألهم أجراً، ولكنّهم هم الذين يسـتوفونه، ذلك الأجر هو مودّه أهل بيته (عليهم السلام) والسير على هداهم لأنّهم وحدهم منار الشّريعه ومهبط الوحى والتنزيل.

لقـد سـأل أجراً لكنّهم يجنون ثمـاره، فبمودّتهم لأهل البيت (عليهم السـلام) وسـلوكهم سبيلهم يـدركون العزّه وينأون عن الفرقه التى تحصـل باتّبـاع سواهم، فالأُمّه حين تلتزم جانب أهل البيت قربى محمـد (عليهم السـلام) فإنّما التزمت جانب المنهـج الإلهى الكريم باصالته وجوهره السماويين بعيداً عن

كلّ تحريف وشائبه.

ومن أجل هذه الحقيقه خاطبت السماء محمداً (صلى الله عليه وآله) ليسأل أُمته أن تحدب على أهل بيته الأماجد (عليهم السلام)، لأنّ ذلك يمثّل الأجر الذى تدفعه الأُمه لرسولها (عليه السلام)، بل يمثل الضريبه الثابته التى تدفعها الأجيال لمحمد (صلى الله عليه وآله) دون سواها، لكنّ هذه الضريبه وهذا الثمن تدفعه الأُمّه ذاتها لذاتها لأنّ كرامتها وسؤددها أُنيطت بعطفها وحنانها ورعايتها واتباعها لأهل البيت (عليهم السلام) الذين يمثّلون الإمداد الرسالى لمحمد (صلى الله عليه وآله) وحين يسأل محمد (صلى الله عليه وآله) هذا الأجر دون سواه فإنّما أراد أن يوضح للأُمه الشوط البعيد الذى قطعه أهل بيته من الكرامه عند الله، وهذا الأجر بعد ذلك قد اقترحته السماء على محمد (صلى الله عليه وآله) ليناله من أُمته فردّدت الآفاق صدى بيان الوحى: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّه فى القربى» [۲۴] وهكذا تبرز آيه المودّه قيمه الزهراء (عليها السلام) وبيتها الطاهر، ملزمه الأُمّه بحبها واحتضان نسلها المبارك لتكون الأمّه بعد ذلك قد دفعت الأجر الذى كلفت بدفعه لقائدها المنقذ محمد (صلى الله عليه وآله).

[صفحه ۸۰]

۳ «... يوفون بالنّذر ويخافون يوماً كان شرّه مستطيراً ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا إنا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً قمطريراً فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم ولقّاهم نضرةً وسروراً وجزاهم بما صبروا جنّه وحريراً متّكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً...» [۲۵] .

أجمع المؤرخون وأهل التفسير على أنّ هذه الآيات الكريمه من سوره الدّهر نزلت فى: الزّهراء فاطمه بنت

محمد (صلى الله عليه وآله) وبعلها وابنيها: الحسن والحسين (عليهم السلام) .

والقارىء لهذه الآيات يستطيع لأول وهله من قراءتها أن يستلهم من ظلالها الوارفه قصّه تأريخيّه جليله، وإن لم يستطع أن يلمس أسماء القائمين بتجسيدها على واقع الحياه. هذا ما يلمسه القارىء العادى لهذه الآيات. أما حين يبحث فى أسباب ووقت نزولها، فإنّه سيعيش قصّه جليله عاشت فى بيت الرّساله الطاهر فقد أتحفتنا الروايات التاريخيّه للصدر الأول من حياه الأمّه الإسلاميه الكريمه [٢۶] أنّ الحسن والحسين (عليهما السلام) قد مرضا، فعادهما جدهما الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) مع وفد من أصحابه الأماجد، وحين يرى الرسول (صلى الله عليه وآله) حاله ولديه الحبيبين هذه، يطلب إلى علىّ وفاطمه أن ينذرا لله صوماً إن عافاهما مما هما فيه من سقم.

ويشفى الحسنان (عليهما السلام) من علّتهما، ويحلُّ وقت أداء النذر، فيصوم علىٌّ وفاطمه والحسنان وفضه. وحين يحل وقت الغروب تحضر فاطمه وفضه جاريتها طعام الفطور الّذى كان قوامه خبز الشعير. وحين يتناول علىٌّ (عليه السلام) أول لقمه من هذا الطعام يطرق الباب فتهبّ فضّه لتعرف من فيه، فإذا الطارق مسكين قد استبدّ به الجوع، وتعود فضّه لتطلع بيت الرساله على خبره. وتجتمع الكلمه على رفع الطعام برمته إلى المسكين، ويستمرّ أهل البيت (عليهم السلام) لا يتناولون شيئاً غير الماء الخالص.

وعند الصباح الثانى يبدأ اليوم الثّانى من الصوم، ويحلُّ وقت الغروب وتعد

[صفحه ٨١]

فاطمه وفضّه طعام الافطار، وما أن يتهيّأ اهل البيت (عليهم السلام) لتناول طعامهم إلا ويطرق باب الدار عليهم، فتسرع فضّه لتعرف من فيه، وسرعان ما تعود حامله نبأ وجود يتيم فى

الباب، وقد أخذ الجوع مأخذه من نفسه. وعلى الفور يرفع الطعام إلى اليتيم ليستمر أهل البيت (عليهم السلام) وهم لا يتناولون غير الماء.

ويجيء اليوم الثالث ليواصل أهل البيت صيامهم، حتى إذا حلّ الغروب هيّيء الطّعام. وما أن حان أوان تناوله حتى يطرق الباب، فتسرع فضه لمعرفه من فيه، فإذا بأسير قد آلمه الجوع، فتعود فضّه لتنبيء أهل البيت (عليهم السلام) بخبره فيرفع الطعام إليه، ويستمر أهل البيت (عليهم السلام) وهو يتضورون من الجوع ولا يتناولون غير الماء وحده، مع شدّه حاجتهم إلى الطعام.

وتشارك السماء بيت الرساله مشاركه فعليّه، فأرسلت مكافاتها له ببيان مستطرد، نزل به الوحى على محمد (صلى الله عليه وآله) شارحاً القصّه، ثم يصور المقام الكريم الذى سيؤول إليه أهل البيت (عليهم السلام) فى الآخره، محدّداً ابعاده وإطاره:

«ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً ... اذا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً قمطريراً».

هذه هى الابعاد الحقيقيه للحادثه التى تجسدت فى ظلال بيت الرساله، حيّه نابضه بالحركه.

يصوّرها القرآن ثم يطلعنا على صوره حيّه لسلوك أهل البيت (عليهم السلام) فهم يطعمون الفقراء والمساكين ولكنّهم لا يسألون أجراً ولا يبتغون منهم شكراً، إنّما يفعلون ذلك تقرّباً إلى الله، وهو حسبهم ومرضاته غايتهم.

وحين يكشف القرآن الكريم هذه الحقيقه فإنّما يكشف لنا عن حقيقه المقياس العمليّ الذى يلوّن حياه أهل البيت (عليهم السلام) ويطبع كافه ألوان نشاطهم بطابع الخضوع لله سبحانه فى كلّ فعّاليّاتهم ونشاطاتهم الفرديه والإجتماعيه.

ثم تأتى المكافأه التى يندر نظيرها:

«فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم ولقاهم نظرهً وسروراً متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً

ودانيةً عليهم ظلالها وذُلّت قطوفها تذليلاً...».

[صفحه ۸۲]

وبسبب هذا السلوك الملوّن بسلوك الرساله والمصطبغ بصبغه المنهج الإلهى، استحق أهل البيت (عليهم السلام) هذا المقام الأخرويّ الكريم، الذى لحمته جمال وجلال وسداه بهجه وسرور.

وحين يكسب أهل البيت (عليهم السلام) هذه الكرامه القصوى عند الله سبحانه وفى طليعتهم الصّدّيقه الزهراء (عليها السلام) فإنّما يتوجب علينا نحن أبناء الأمّه الإسلاميه أن نحذو حذوهم ونقتدى بمنهجهم فى الحياه.

وبعد استعراض هذه الآيات الجليله التى اتّسمت بطابع الحديث عن فاطمه وبيتها الطاهر، أصبحنا وبين أيدينا بنود ضخمه وأُطر ثابته تكشف لنا عن الدّرجه العظيمه التى بلغتها الزّهراء (عليها السلام) فى مضمار التقرُّب إلى الخالق الجليل سبحانه، فاستحقت بذلك هذه الكرامه التى لا يوازيها فيها غيرها من سائر الناس.

فى ظلال السنه الشريفه

اشاره

فى السنه النبويه عدد ضخم من الأحاديث التى لا تخضع للحصر، نطق بها الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) ليبرز قيمه الزّهراء وبعلها أمير المؤمنين علىٍّ (عليه السلام) وولديها الحسنين (عليهم السلام) وقد أجمع أهل السير والتأريخ على أكثرها، ولكنّ هذا العدد الضخم من الأحاديث النبويّه التى طفحت بها كتب السيره النبويّه وكتب الحديث قد ولّدت لدى بعض المرجفين وأعداء الحق نوعاً من رد الفعل مما جعلهم يفسّرون هذه الظاهره ظاهره غزاره الأحاديث النبويه فى فضل الزهراء (عليها السلام) على أنّها تمثّل موجاً عاطفياً، دفع الرسول (صلى الله عليه وآله) لمدح فاطمه (عليها السلام) كما مدح عليّاً (عليه السلام) بدافع عاطفى كذلك، فهو (صلى الله عليه وآله) يبرز قيمه الزهراء (عليها السلام) وأبعاد فضلها على نساء العالمين لأنّها ابنه خديجه التى كان يحبُّها حبّاً مطلقاً، سيّما وهى التى وقفت معه أيّام عسرته،

وبذلت كلّ ثروتها فی سبیل دعوته. وهذا ما جعله یعطف علی فاطمه (علیها السلام) لأنّها ودیعه زوجته المخلصه خدیجه، فضلاً عن أنها ابنته، مما جعل عاطفه الأُبُوّه هی الأُخری تلعب دورها فی أحادیثه علی حدّ تعبیر المرجفین .

ویفسّر هؤلاء الأحادیث التی أطلقها الرّسول (صلی الله علیه وآله) فی إبراز شخصیه علیٍّ بن أبی طالب (علیه السلام) وکثره الثناء علیه فی أنّها أحادیث أملتها العاطفه علی محمد (صلی الله علیه وآله)، فالإنتصارات المستمره التی أحرزها علیٌ (علیه السلام) والبطولات التی حقّقها فی جهاد الرسول (صلی الله علیه وآله) وحروبه مع أعداء الإسلام، هی التی دعت الرسول (صلی الله علیه وآله) أن یذکر

[صفحه ۸۵]

علیّاً (علیه السلام) فی مناسبات کثیره یضمنها مدحه وثناءه المنقطع النظیر لعلیٍّ (علیه السلام) ما دام هو القائد لانتصاراته والماحق لصرح أعدائه [۲۷] .

هذه التفسیرات أطلقها بعض الکتاب المحدثون عند استعراضهم لبعض معالم السنه النبویه، لا سیما فی الجانب الذی یتناول أهل البیت (علیهم السلام).

ولکن هذا التفسیر الجائر لهذه الأحادیث النبویّه یمثّل حمله عنیفه علی شخصیه الرسول (صلی الله علیه وآله) بصفته حامل رساله سماویّه.

ونحن بدورنا نستطیع أن ندحض هذه الشُّبهات الوضیعه إذا رسمنا نقطتین فی هذا المجال لتبیان بطلان هذه التفاسیر التی لا یسندها منطق ولا یدعمها واقع:

۱ إنّ ادعاء کون الرسول (صلی الله علیه وآله) یتأثر تأثراً عاطفیاً فی أحادیثه یجعل القائلین به یخرجون الرسول (صلی الله علیه وآله) عن حدود العصمه، مع أنّ الأدله العقلیه والنقلیه مستفیضه فی إثبات عصمه الرسول (صلی الله علیه وآله) فی کافه ألوان نشاطه، وفیما یصدر من أحکام وآراء، فکیف یتأثر

يا ترى بالعاطفه مع العلم أنّ العاطفه يتسرب الوهن والخطأ إلى أحكامها؟. والقرآن الكريم كتاب الله العزيز قد أمرنا بالإلتزام بكلّ تعليم يصدر عن الرسول (صلى الله عليه وآله) أنّى كان لونه كقوله تعالى: «... وما آتاكم الرسول، فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا» [۲۸].

وقوله: «قل إن كنتم تحبُّون الله فاتبعونى يحببكم الله» [۲۹].

فلو لم يكن الرسول (صلى الله عليه وآله) بعيداً عن العاطفه فى أقواله الشريفه ونشاطاته المتعدّده، لما ألزمنا الله تعالى باتباعه، علماً بأنّ الآيات صريحه لم تستثن فى أقوال الرسول أو افعاله شيئاً، بل إنّنا ملزمون بأتّباع كلّ ما ألزمنا الرسول (صلى الله عليه وآله) باتّباعه، وقد قرّر القرآن الكريم حقيقه عصمته قبل إلزامنا بالسير طبقاً لتعليماته قوليّه كانت أم فعليّه لقوله تعالى: «... وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحى يوحى، علّمه شديد القوى، ذو مرّه فاستوى» [۳۰].

[صفحه ۸۶]

لأنّ العصمه تمثل بدورها المناعه الطبيعيه التى تضفى على صاحبها لوناً خاصّاً من السلوك، تبعده عن كلّ ما من شأنه أن يوقعه فى سهو أو خطأ يخرجه فى سلوكه أنّى كان لونه عن إطار المنهج الإلهى.

۲ إنّ أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) التى أطلقها فى مواقفه الكثار فى التحدُّث عن أهل بيته وفى طليعتهم علىّ وفاطمه مهما بلغت من مستوى عاطفىٍّ كما يدّعى المرجفون فإنّها لم ترتفع فى مستواها عن مستوى الآيات الكريمه التى نزلت لتبيان سمو منزلتهما العظيمه، بل إنّ أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) التى وصفت عليّاً وفاطمه، أو أثنت عليهما كانت شرحاً

لتلك الآيات أو عيشاً فى ظلالها الوارفه دون خروج عن إطارها العام على الإطلاق.

لنعش قليلاً ـ فى ظلال بعض الأحاديث النبويّه التى نطق بها الرسول (صلى الله عليه وآله) للثّناء على أهل البيت أو تبيان فضائلهم، ليتّضح لنا بجلاء المستوى العاطفى المزعوم فى أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) بعد أن نقرنها بالآيات الكريمه التى نزلت فى أهل البيت (عليهم السلام).

١ ورد فى (صحيح البخارى) عن أعور بن محزمه: أنّ رسول الله قال: «فاطمه منى، فمن أغضبها أغضبنى».

٢ (مستدرك الصحيحين) عن علىٍّ (عليه السلام) قال رسول الله لفاطمه: «إنّ الله يغضب لغضبكِ، ويرضى لرضاكِ».

٣ فى (مسند أحمد بن حنبل): أنّ رسول الله أخذ بيد حسن وحسين، وقال: «من أحبّنى وأحبّ هذين وأباهما وأُمهما، كان معى فى درجتى فى الجنه يوم القيامه».

٤ عن أبى هريره، قال: نظر النبى (صلى الله عليه وآله) إلى علىٍّ وفاطمه والحسن والحسين، فقال: «أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم».

٥ روى أبو سعيد الخدرى قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «إنّما مثل أهل بيتى فيكم كسفينه نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق».

٦ روى زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إنّى تارك فيكم ما إن

تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدى: كتاب الله وعترتى أهل بيتى، ولن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما».

وبإيراد هذه الجمله من أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) التى تتّسم بطابع الثناء على أهل البيت (عليهم السلام) يجدر بنا أن نكشف المدى الذى بلغته هذه الأحاديث الكريمه التى تمثّل

مجموعه ضخمه من السنّه النبويّه الشريفه فی تبيان فضائل اهل البيت (عليهم السلام):

فالحديث الأول، لم يرسل لنا إلا ما أكدته آيه المودّه: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّه فی القربی».

حيث أنّ الآيه ألزمت الأُمّه إلزاما شرعّياً بمحبّه أهل البيت والسير وفقاً لمنهجهم القويم.

وعلی هذا الأساس الّذی تقرّره الآيه الكريمه، فإنّ اغضاب أهل البيت وإيذاءهم جريمه، لأنّه يجرُّ إلی إغضاب الله تعالی ورسوله الكريم اللذين قرّرا وجوب محبّه أهل البيت والإلتزام بحبلهم.

والحديث الثانی، يلتزم هو الآخر بنفس القيود، بل يؤكّد نفس المعالم التی رسمتها آيه المودّه، لأنّ الله سبحانه قد قرر محبّه الزهراء وإرضاءها، إذ لا تتحقق أبعاد المحبّه إلا بإرضائها.

ولما كان الله تعالی هو الّذی ألزم الأُمه بمحبه الزهراء (عليها السلام) وسائر أهل البيت (عليهم السلام)، فقد أصبح إرضاؤها إرضاءً لله الذی أوجبه، كما أنّ إسخاطها سيجلب سخط الله تعالی الذی ألزم بالحنوّ عليها وسلوك منهجها.

والحديث الثالث، يبرز الحقيقه عينها فحين تتّم طاعه المرء للرسول (صلی الله عليه وآله)، التی تؤلف الرُّكن الثانی من أركان الإيمان فی الرساله الإسلاميه، وحيت تجتمع مع هذه الطاعه، طاعه أهل البيت ومودّتهم، فإنّما قد تتحقق بذلك السعاده ويتجسّد الإيمان فی نفسيه المرء وألوان سلوكه ممّا يحتّم بلوغ هذا الإنسان درجه رفيعه من التُّقی تقوده إلی الجنّه.

وهذا الحديث الذی يطلقه الرسول (صلی الله عليه وآله) فإنّما يعيش فيه تحت ظلال الآيات الكريمه، فالله سبحانه هو الذی ألزمنا بإتّباع الرسول وطاعه أهل بيته، وحين نجسّد هذه الطاعه علی سلوكنا، فإنّما قد مثلنا مفهوماً ألزمنا الله بإتّباعه وحين

نلتزم بهذا المفهوم الحیّ، نكون قد

حقّقنا الطاعه المطلقه لله سبحانه التى تقودنا إلى رضوانه ودخول جنّته.

والحديث الرابع، يعطينا نفس الإيحاء ويضرب على نفس الوتر فى وجوب الاعتصام بأهل البيت (عليهم السلام)، لأنّ عدوّهم معادٍ للرسول الذى سأل مودّتهم كأجرٍ تدفعه الأُمّه إلى رسولها (صلى الله عليه وآله)، وهذا ما تقرره آيه المودّه عينها .

وأمّا الحديث الخامس، فإنّه يعطى نفس التلقينات التى رسمتها آيه التطهير من كلّ رجس.

إذن فالأُمّه مكلّفه باتّباعهم، لأنّهم على هذا الأساس: سبيل النجاه، والطريق المستقيم الموصل إلى الله تعالى.

وفى الحديث السادس، يوضح الرسول (صلى الله عليه وآله): أن أهل بيته: ترجمان الكتاب، والصوره الحيّه المتحركه لمنهج السماء. ولو لم يكن أمرهم هذا شأنه، لما وصفهم الله تعالى بالمطهّرين من الرجس، ولما أوجب مودتهم واقتفاء اثرهم.

ونحن حين نستعرض أبعاد الأحاديث التى نطق بها الرسول (صلى الله عليه وآله) مشيداً فيها بأهل بيته فإنّنا لا نشمُّ أيّه رائحهٍ للعاطفه التى يدّعيها المرجفون، فهو مرّه يلزم بحبّهم، ومرّه ينهى عن إسخاطهم، وأُخرى يأمر بإرضائهم وثالثه يصفهم بسفينه نوح، ورابعه يصفهم بترجمان القرآن والحى. وهذه النعوت التى يطلقها الرسول لم تكن لتخرج على الإطلاق عن إيحاء الآيات الكريمه التى ألزمت بحبهم، وأعلنت طهارتهم من كلّ دنس جاهلى، فما دام الله سبحانه قد جعل طاعه أهل البيت (عليهم السلام) كسائر الفرائض والأحكام الشرعيه، فإنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) قد التزم بهذا التلقين السماوى، لذا كانت أحاديثه غزيره فى هذا المضمار، ولعلّه (صلى الله عليه وآله) ما اهتم بأهل بيته هذا الإهتمام ولم يولهم هذه العنايه المنقطعه النظير إلا لأنّه واثق من

أنّ كرامه الأمه وسؤددها منوطتان باحتضان أهل البيت (عليهم السلام) والسير وفقاً لمعالم منهجهم الإسلامى الرصين، فأراد أن تردد الآفاق صدى أقواله لتوقد الأُمه إلى طاعه أهل البيت (عليهم السلام) الذين يمثلون القاده المبدئيين الحقيقيين بعد محمد (صلى الله عليه وآله)، وعلى أيديهم تتحقّق أصاله هذا المنهج الإلهى وكرامه هذه الأمّه ومجدها التالد.

[صفحه ۹۲]

نقاط مضيئه

فى حياه بعض الناس ومضات يحار العقل البشرىُّ عند استذكارها والتفكير بها، وحين يقف المرء عندها تخشع جوانحه حيره وإكباراً لصانعيها. والأجيال السالفه أو المستقبله لا تستطيع أن تنهض بأعباء حياتها ما لم يوجد فى صفوفها نفر يحملون هذه المميّزات العظيمه ليكونوا جديرين بحمل الرّساله أو ليكونوا قدوهً يحتذى بها فى السلوك الفردىّ أو الاجتماعى. وكثيراً ما ينهض بهذه الأعباء نفر من الرجال ممن توفّرت فيهم بعض المؤهلات التى رفعتهم إلى مستوى المسؤوليه إنقاذ مجتمعاتهم أو الإنسانيه بكاملها أحياناً كما هو عليه الرُّسل (عليهم السلام) وإلى جانب هذه الشُّموع التى أضاءت للبشريه طريقها عبر التاريخ برزت بعض النّساء ليؤلفن مناخاً دافئاً لخلق أجيال مهذّبه؛ ولكنّ تأريخ البشريه لم يحض إلا بقليل من هذه الشموع الجديده. ولهذه الحقيقه أشار القائد محمد (صلى الله عليه وآله) بقوله:

«كمل من الرّجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا ـ مريم ابنه عمران، وآسيه بنت مزاحم امرأه فرعون، وخديجه بنت خويلد، وفاطمه بنت محمد».

فهؤلاء النُّسوه قد تربين فى أحضان الوحى حتى بلغن مرحله النُّضوج للشخصيه لا تبلغها غيرهنّ من العنصر النسائى فى المجموعه البشريّه، فضلاً عن الرّجال سوى الأنبياء والأوصياء منهم.

ونحن فى هذه الصّفحات الوجيزه بودّنا أن نمارس حديثاً عن صفات طفحت بها شخصيه

فاطمه بنت محمد (عليها السلام) لتبقى نبراساً تهتدى بها الاُمم والشُّعوب التى تتطلع إلى المجد والعزه. وها نحن أَولاء نرسم بعض النقاط المضيئه النابضه بالحياه التى اتّسمت بها حياه الزهراء (عليها السلام):

فى أشدّ الأيّام التى مرّت بها دوله النبى محمد (صلى الله عليه وآله) فى يثرب الفتيّه عسره، حيث الضّائقه الماليّه وانحطاط الحاله الإقتصاديه التى ولّدتها كثره الحروب التى دارت رحاها بين دوله المنهج الإلهى والدُّول القائمه على أُسس جاهليه، حيث أنّ طبيعه الحروب تفرض بطبيعتها سياسه تقشُّف تفرضها الظروف العسكريّه سيّما لدى الدوله التى تبتلى بغزو أعدائها الكثار الذين يعملون على انتهاز كلّ فرصه للإطاحه بهذه الدّوله.

[صفحه ۹۳]

أجل الضّائقه الماليّه تلعب دورها فى حياه المجتمع الفتىّ فى يثرب، والموارد الماليه لا تتعدّى بعض الغنائم التى يكسبها المحاربون من الأعداء أو بعض الزّكوات التى يدفعها أغنياء الأُمّه الى دولتهم، أمّا سوى ذلك فلا وجود له، فلا زراعه يعتمد عليها حيث تمتاز أرض الحجاز إلا ما ندر بجدبها وصحراويتها وجفافها ولا صناعه تذكر غير حياكه يدويّه لبعض الملابس وحداده لبعض الآت الحرب من سيوف ودروع ورماح ونحوها، كما لم تهتد البشريه يومذاك لمعرفه استخراج النفط ونحوه من خيرات الأرض، كلّ ذلك غير متوفّر بهذه الدّوله الفتيّه فلابد أن تكون محصّله هذه الأحاديث ضائقه ماليّه وعسراً اقتصادياً يعمُّ جميع طبقات الأُمّه. وفضلاً عن كلّ ذلك فالفتوحات ما زالت مقصوره على أرض الجزيره العربيه التى تمتاز بندره مواردها الماليّه حيث لم تصل جيوش محمد (صلى الله عليه وآله) بعد إلى أرض السّواد أو أرض الكنانه أو الهلال الخصيب لكى تدرّ هذه البقاع بعضاً من مواردها على

مرکز الدّوله فی (یثرب).

فی مثل هذه الأیّام القاسیه اقتصادیّاً یدخل علی رسول الله (صلی الله علیه وآله) شیخ کبیر تبدو الفاقه علی ملامح شخصیّته کلها فالثیاب رثّه مهلهله، والظهر محدودب، والوهر بارز علی تقاسیم وجهه، وقد جاء یحمل مطالیبه لرسول الله محطّ أنظار المعوزین وأبی الفقراء والمحتاجین فقال [۳۱] : «یا رسول الله أنا جائع الکبد فأطعمنی، وعاری الجسد فاکسنی، وفقیر فآثرنی» ولکنّ الضائقه المالیّه التی تحیاها دوله محمد (صلی الله علیه وآله) بسبب التعبئه العسکریه وقله الموارد المالیّه فی الحجاز جعلته یعتذر، فیقول له: «ما أجد لک شیئاً، ولکنّ الدّالّ علی الخیر کفاعله، إنطلق إلی ابنتی فاطمه».

وأمر بلالاً- أن یدلّه علی بیت الزهراء (علیها السلام)، ویبلغ الشیخ بیت الزهراء، وعلی الباب یرفع صوته: «السلام علیکم یا أهل بیت النبوه، ومختلف الملائکه، یا بنت محمد أقبلت علی أبیک سیّد البشر مهاجراً من شقه، عاری الجسد، جائع الکبد، فارحمینی یرحمک الله».

وتسرع الزهراء (علیها السلام) إلی جلد کبش مدبوغ کانت بمثابه فراش ینام علیه

[صفحه ۹۴]

الحسنان (علیهما السلام) فتمنحه إلی الشیخ المحتاج وهی تقول له: «عسی الله أن یتیح لک ما هو خیر منه».

ولکنّ الشیخ لم یقبل منها أُعطیتها هذه فقال: «أنا شکوت إلیک الجوع فناولتنی جلد کبش، فما أنا صانع به مع ما أجد من السّغب؟».

وتعمد فاطمه الزهراء (علیها السلام) إلی عقدٍ فی عنقها أهدته إلیها فاطمه بنت حمزه، فتدفعه إلی الشیخ، وهی تقول: «خذ وبعه فعسی الله أن یعوّضک بما هو خیر لک منه».

ویعود الشیخ إلی مسجد الرّسول (صلّی الله علیه وآله) ویبیع العقد یبتاعه منه عمّار بن

یاسر بمبلغ عشرین دیناراً ومائتی درهم وبرده یمانیه وراحله یبلغ الشیخ علیها أهله، وینطلق عمّار بالشیخ إلی بیته لیفی له بثمن العقد، ویعود الشیخ إلی الرسول (صلی الله علیه وآله) فیقول له: «أشبعت واکتسیت؟».

قال الشیخ: «نعم واستغنیت بأبی أنت وأُمّی».

الرسول معلقاً علی قوله : «فأجز فاطمه فی صنعها معک خیراً».

الشیخ: «اللهم أنت إله ما استحدثناک، ولا إله لنا نعبده سواک، وأنت رازقنا فأعط فاطمه ما لا عین رأت ولا أُذن سمعت».

فیؤمّن محمد (صلی الله علیه وآله) علی دعائه ویلف عمّار عقد الزهراء ببرده یمانیّه، ویطیّبه بالمسک ویبعثه وعبده هدیه لرسول الله. وما أن یصل العبد وبصحبته العقد للرسول حتی یبعثه لفاطمه، فتأخذ فاطمه العقد، وهی تقول للعبد: «إذهب، فأنت حرٌّ لوجه الله». لتضیف مکرمه جدیده إلی مکارمها العظیمه، ویبتسم العبد، وهو یقول: «ما أکثر برکه هذا العقد: أشبع جائعاً، وکسی عریاناً، وأغنی فقیراً، وأعتق مملوکاً، وعاد إلی أهله...».

هذه ومضه حیّه من حیاه الزهراء (علیها السلام) تتجلّی فیها روعه التکافل الاجتماعی فی المجتمع الإسلامی، فضلاً عن طابع المحبّه والتوادُد الذی یلوّن حیاه أبناء الأُمّه الإسلامیه فی الصدر الأول یوم عرفوا الإسلام منهج حیاه یرتفعون علی أساسه إلی مستوی خلافه الارض..

[صفحه ۹۵]

ومما تنقله لنا کتب السیره الشریفه: أنّ الزهراء سألها القائد محمد عن أیّ شیء تودُّ أن تکون علیه المرأه المسلمه؟ فإذا هی تقول: «أن لا تری الرجل المحرم ولا الرّجل المحرم یراها» [۳۲] .

فیعلو البشر محمداً (صلی الله علیه وآله)، فیضمّها إلی صدره وهو یقول: «ذریّه بعضها من بعض...».

وهذا التّصریح من الزهراء (علیها السلام) لیس قولاً تطبعه الهوایه أو الصفه النظریّه، وإنّما یمثل

حقيقه يقرُّها الواقع الإنسانى الفسيولوجى والإجتماعى.

ربّما يجد المرء سيّما ممن يعيش فى هذا القرن أنّ فى هذا القول مبالغه فى الحجاب بالنسبه للمرأه، وحصرها فى إطار البيت.

يقول المرء هذا إذا لم يكن قد عرف السّر الذى دفع الزهراء (عليها السلام) أن تعلن هذا المفهوم الإسلامى الأصيل، وقد يتّفق المعترض مع الزّهراء إذا عرف أنّ الإنسان يملك فيما يملك غريزه أصيله تعرف بالغريزه الجنسيه ومما يميّز هذه الغريزه وبعض الغرائز الأخرى لدى الكائن الانسانى: أنّها تثار من الخارج ومن محيط الإنسان عينه، فتثيرها الأحاديث الجنسيّه والقصص المغريه والأفلام الخليعه والمجلّات الدّاعره والأغانى وغيرها، فتجعل من الإنسان أكثر اندفاعاً لإشباع هذه الغريزه [۳۳] ، وحين تكون هذه الغريزه أكثر على الإثاره حين تتوفّر لها الأجواء الجنسيه، فقد حاول الإسلام وهو دين العفّه والفطره أن ينزّه مجتمعه الكريم من كلّ الآثار الّتى تؤدى بدورها إلى إثاره هذه الغريزه الجنسيه، وكان فى طليعه مشاريعه التى أقامها بغيه حفظ التوازن فى المجتمع : أن منع التبرج والإتصال غير المشروع بين الرجال والنساء، لأنّ هذا الإتصال إن وقع سيكون مدعاه لإثاره الغريزه لدى الأفراد، مما يهيّىء لحدوث جرائم خلقيه فى المجتمع الإسلامى.

ولكن الإسلام التزم جانب الوقايه لمنع حدوث الداء. ولهذه العلّه عينها

[صفحه ۹۶]

تنطلق الزهراء (عليها السلام) لتوضيح مفهوم الإسلام عن العلاقات الجنسيّه فى المجتمع الإسلامى الرشيد، فهى علاقات لا تقوم إلا على اساس الكرامه وحفظ الموازين الأخلاقيه، فإذا هى تقول عن المرأه «ألّا ترى الرجل المحرم، ولا الرجل المحرم يراها».

فللرّجل والمرأه الحق فقط أن يرى بعضهما

الآخر ويمارس نشاطه معه فى إطار شرعيٍّ نظيف، بعيد عن منطق الشهوات الهابطه.

والرجل المحرم فى نظر الإسلام من لم يكن للمرأه والداً أو مولوداً أو شقيقاً أو ابن أخٍ أو ابن أُخت أو من لم يبلغ الحلم أو زوج [۳۴] ، أمّا ما عدا ذلك الصنف من الناس، فهو فى نظر الإسلام يحمل طابع الحرمه، منعاً لتلاعب المتلاعبين وصدّاً لمكائدهم العابثه.

ومما ورد عن سيرتها (عليها السلام): ما جاء عن أسماء بنت عميس: أنّها كانت عند فاطمه الزهراء، إذ دخل عليها النبى (صلى الله عليه وآله) وفى عنقها قلاده من ذهب أتى بها علىٌّ بن أبى طالب (عليه السلام) من سهم صار إليه، فقال: «يا بنيه، لا تغترى بقول الناس: فاطمه بنت محمد، وعليك لباس الجبابره».

فقطعتها لساعتها وباعتها ليومها، واشترت بالثّمن رقبه مؤمنه، فأعتقتها، فبلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسرّ بعتقها، وعلاه البشر.

وعن عائشه تقول حين ذكرت الزهراء : «ما رأيت أصدق منها لهجه إلاّ أباها».

روى الشيخ الصدوق فى أماليه: أنّ فاطمه الزهراء (عليها السلام) قد صنعت مسكتين من فضه وقلاده، وقرطين وستراً للباب، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى سفرٍ، فلمّا عاد من سفره دخل عليها ولم يمكث عندها طويلاً كما كانت عادته فخرج إلى المسجد، ففسّرت فاطمه (عليها السلام) هذا الموقف على أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) إنّما تعجّل فى مغادره بيتها كان بسبب ما رآه من المسكتين والقلاده والقرطين والستر،

[صفحه ۹۷]

فنزعتها جميعاً وبعثتها إلى رسول الله، وقالت لرسولها: قل له: «تقرأ عليك ابنتك السلام، وتقول: إجعل هذا فى

سبيل الله...».

فلما أتاه بها وحدّثه بما نبّأت به الزّهراء هتف محمد بقوله: «فعلت، فداها أبوها، فداها أبوها». ثم عاد لزيارتها مستبشراً.

وعن عليٍّ (عليه السلام) قال: «إنّ الزهراء استقت بالقربه حتى أثّرت فى صدرها، وطحنت بالرّحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبّرت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتّى دكنت ثيابها،فأصابها من أجل ذلك ضرر شديد» فقال لها عليّ (عليه السلام) يوماً: «لو أتيت أباك، فسألته خادماً»؟ فجاءت فوجدت عنده قوماً فاستحيت وعادت فعلم النبى (صلى الله عليه وآله) أنها جاءت لحاجه، فغدا علينا ونحن فى لحافنا فأردنا أن نقوم فقال: مكانكما فجلس عند رؤوسنا، فقال: يا فاطمه ما كانت حاجتك أمس؟ فأخبره عليٌّ (عليه السلام) بحاجتها. فأجاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أفلا أُعلمكما ما هو خير لكما من الخادم، إذا أخذتما منامكما،فسبّحاً ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبّرا، اربعاً وثلاثين، فأخرجت فاطمه رأسها وقالت: «رضيت عن الله ورسوله».

ورد عن أُمّ سلمه: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين تزوّجها أمرها بتربيه الزهراء (عليها السلام) ورعايه شؤونها لسدّ الفراغ الذى حدث فى حياتها بعد أُمها، ولكنّ أُمّ سلمه (رض) لم تستطع تحقيق مهمّتها، فصرّحت أنّها وجدت الزهراء (عليها السلام) أأدب وأدرى بشؤونها منها [۳۵] .

[صفحه ۱۰۰]

من بوادر المأساه

الخطب الجلل

وعاشت يثرب أكثر من عشر سنين فى أسعد أيّام وأجلّها وأطهرها، فقد احتضنتها يدُ الوحى طيله هذه الأيام التى احتضنت هى فيها رساله السماء، ودافعت عنها ودفعت فى سبيلها أبهظ الأثمان لكى تعيش الرّساله وتسود وتخلد، وانضمّت مكّه هى الأُخرى إلى أُختها يثرب فى احتضان الرّساله الخاتمه، وبانضمام مكّه إلى اختها يثرب فى احتضان الرّساله، سقط

آخر وثنٍ وطاغوت فی الجزیره العربیه کلّها، وجلی آخر شیطان من أرض الجزیره لتنمو فیها شجره الإیمان، ترویها ید الوحی المقدس.

ووطّد محمد (صلی الله علیه وآله) الأمن، وثبّت أرکان العقیده، وأوضح معالم الرساله مجملها وتفصیلاتها حیث أعلن المشرّع الأعلی سبحانه: «الیوم أکملت لکم دینکم، وأتممت علیکم نعمتی، ورضیت لکم الإسلام دیناً...».

وبإعلان السماء إکمال التشریع وإتمام النّعمه وارتضاء الإسلام منهجاً خالداً للأرض، باتت محافل الأرض تتوقع نبأ جدیداً یحمل الأسی فی طیّاته، نبأ انتهاء السّفاره سفاره محمد (صلی الله علیه وآله) فی الأرض لأنّ دوره هذا حسب تصریح القرآن الکریم أوشک أن ینتهی لتبقی تعالیمه التی غرسها، ولتبقی مدرسته التی أسّسها تعمل عملها وتؤدّی مهمتها وفاعلیّتها فی خلق الإنسان الرّسالی الکریم.

وقد تأکد هذا من قرائن شتی کان بضمنها خطبه الرسول (صلی الله علیه وآله) الجامعه التی

[صفحه ۱۰۱]

ألقاها بعد عودته من حجّه الوداع حیث جمع الأُلوف من أبناء الأُمّه الإسلامیه وخطبهم خطبه جامعه ضمّنها کلّ ما حوته الرّساله المقدّسه من أسرار ومعالم وقوانین وأحکام، وطالبهم مطالبه أکیده بالإلتزام بها، ثمّ أکّد إمامه علیٍّ (علیه السلام) لیقوم بمهمه التنفیذ لهذه الرساله علی الصعید الإجتماعی والسیّاسی.

وهذه البادره الجدیده من الرّسول (صلی الله علیه وآله) أکّدت لمحافل الأرض أنّ القائد المنقذ لا بدّ مفارق.

وباتت الآذان تتسمع للنّبأ وراحت القلوب تنبض نبضات کلّها رعب ومخاوف، وما أن انصرم أکثر من شهر واحد من السنه الحادیه عشره من الهجره إلا وألمّت بالقائد محمد (صلی الله علیه وآله) حمی شدیده رافقته أربعه وعشرین یوماً.

ولکنّه مع ذلک ما صحبه من أتعاب وانهیار فی صحته لم یترک واجبه کرسول وقائد، فکان

يركّز أقدام العقيده، ويبعث بالجيوش لتوسيع الرقعه الإسلاميه وتحطيم الطّواغيت وإذلالهم ليأخذ الإسلام مجراه وليظهر على الدّين كلّه، حيث قد بعث فى هذه الفتره من حياته أُسامه بن زيد فى أضخم جيش إسلامى لدك صروح الدّوله الرومانيّه التى تمثل معسكر الشّرك الغربىّ يومذاك ولكنّ جيش أُسامه قد أُرجيء بسبب مواقف بعض الصّحابه الّذين احتجُّوا بصغر سنّ أُسامه، وأنّه ليس أهلاً للقياده، ولكنّ الرّسول (صلى الله عليه وآله) ألزمهم بالإلتحاق به، فلم يفعلوا.

وبدأت صحّه الرسول تنهار يوماً بعد يوم، وهنا يستولى الذهول على البيت الرسالى بأسره، وفى طليعته الصديقه الزهراء (عليها السلام) فقد أحاط بها الحزن ولفّها الأسى، وكانت تزور أباها فى مرضه وتسمع أنينه وتوجعه فتبكى وتستولى عليها اللوعه والألم، فيبكى لبكائها ويتألّم لألمها ويخفى توجعه رأفةً بها وحدباً عليها.

وفى يوم من أيام مرضه يضمُّ فاطمه إليه ويسرُّ إليها حديثاً، فترفع رأسها ودموعها تتحدّر على خدّيها، واللوعه تأخذ مأخذها منها.

ويضمُّها أخرى إليه ويسرُّ إليها حديثاً، فتبتسم ابتسامه ملؤها السرور والبشر، ويمثلىء الحاضرون عجباً لهذا الحديث حيث تختلط دموع بابتسامات وجزع بسرور، ويسأل من شهد هذا الحدث من المسلمين عن سبب بكائها ثم

[صفحه ۱۰۲]

فرحها، ولكن بعد حين، فتجيب، أنّ أباها نعى نفسه لها فبكت، ولكنّه أردف فأخبرها بأنّها ستكون أول أهل بيته لحوقاً به فسرت لذلك وامتلأت فرحاً.

ويدعو الرسول (صلى الله عليه وآله) ولديه الحسن والحسين فيحضران أمامه وهما يمتلئان أسىً وكآبه لما ألمّ بجدّهما الحبيب محمد، وهما واثقان أنّ هذه اللحظات ستكون آخر عهد يعيشان فيه حنان محمد وحدبه وشفقته عليهما فهو سينتقل إلى مثواه الأخير وسيلتحق بدار الخلود،

فلابدّ لهما أن تجود عيونهما ما شاء الله من الدموع لأنّهما سيواجهان حياه جديده خاليه من عطف محمد الدافىء الرّقيق.

ومهما يكن من أمر، فانّهما واثقان من أنّهما لن يعيشا وعلى أحسن تقدير عيشه كالعيشه التى عاشاها فى كنف أبيهما محمد.

ويضمهما محمد إلى صدره ويقبّلهما، وعيناه تذرفان دموعاً مشاركه لهما فى بكائهما ولوعتهما.

ويشفق علىٌّ على أخيه رسول الله، فيسرع إليهما لينحيهما عن جدّهما، ولكنّ الرسول يواجه عليّاً بنبأ غيبى: «يا علىُّ، دعنى أشمُّهما ويشمّانى، وأتزوّد منهما ويتزودان منى، أما إنّهما سيُظلمان بعدى ويقتلان ظلماً، فلعنه الله على من يظلمهم» [٣۶] .

وهنا يلتفت إلى زائريه من المسلمين ليؤكد قيمه الحسن والحسين فضلاً عن أهل بيته، فيقول: «أيُّها الناس، يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً، وقد قدّمت إليكم القول معذرهً إليكم ألا إنّى مخلّف فيكم: كتاب الله وعترتى أهل بيتى، ما إن تمسكتم بهما لن تضلُّوا بعدى» [٣٧] .

وحين يعلن الرسول (صلى الله عليه وآله) أنّ مهمّته فى الأرض قد انتهت، وأنّه يوشك أن يفارق أُمته، يزداد الحاضرون ألما وحسرهً ويضجُّ أهل البيت بالبكاء، ويدعو محمد (صلى الله عليه وآله) أخاه عليّاً ليضع رأسه فى حجره وليفارق الدنيا وآخر عهدٍ به وصيّه علىٍّ (عليه السلام).

[صفحه ١٠٣]

وما هى إلا لحظات تنصرم حتى تعلن الأرض نبأ وفاه محمد (صلى الله عليه وآله) نبأ انقطاع الوحى عن الأرض، بل افتقاد المنقذ والمحرر للإنسانيه برمّتها .

ويبلغ النبأ بضعته الطاهره الزهراء (عليها السلام) فتهبّ مذهوله من شدّه الصدمه العنيفه التى فوجئت بها، فتضجُّ بالبكاء وهى تردّد: «واأبتاه، إلى جبريل أنعاه، واأبتاه، جنّه الفردوس مأواه واأبتاه، أجاب رباً دعاه...».

وراحت

تردّد هـذه الكلمـات بحرقه وألم شديـدين وتعيش فاطمه المأساه بكل أبعادها، فقـد رحل عنها دفء الموده والحنان، رحل عنها الحبيب محمـد، وها هو مسجىً بين يـدى المسـلمين، وسوف يحمل بعـد مـده إلى مثواه الأخير حيث يغيب شـخصه الكريم عن عينها، يغيب إلى الأبد، وسيكون اللقاء فى دار الخلود والنّعيم.

رسـمت فـاطمه (عليهـا السـلام) هـذه الحقـائق أمـام ناظرهـا وتصوّرته فى ذهنها فانـدفعت تشـفى غليلها ولكن بحسـرات وآهات انعكست لوعه وبكاءً ودموعاً غزيره. ثم اندفعت تنسج من حزنها شعراً تتغنى به فإذا بها تقول:

إغبرّ آفاق السماء وكُوّرت

شمس النّهار وأظلم العصران

والأرض من بعد النبى كئيبه

أسفاً عليه كثيره الرجفان

فليبكه شرق البلاد وغربها

وليبكه مضرٌ وكلُّ يمانى

وهـذه الأبيات تصور مدى اللوعه ومدى الحزن الذى يرتسم على شخصيّه الزهراء (عليها السـلام) فهى ترى أنّ الدُنيا كئيبه فاقده للنُّور مظلمه جوانبها تعيش حالةً من الإضطراب والرّجفان.

وحين تتصوّر فـاطمه (عليهـا السـلام) الحيـاه هـذا التّصور بعـد أبيهـا، إنّمـا تتصور حقيقه لاـ خيالاًـ أو مبالغه، لأنّ أباها كان لهـذا الكوكب الأرضىّ ومن فيه وما فيه سراجاً وهّاجاً أضاء لها السبيل وخلّصها من التيه والشرور، وعلّمها دروب السعاده والسلام.

فحقيق بفاطمه وحقّ لها أن تقول فيه ما تقول.

ويتولى وصيُّه (علىٌّ) غسـله وتجهيزه، وجاء بعدئـذ وقت الصـلاه عليه حيث يدخل علىٌّ، وجماعه من أهل البيت (عليهم السـلام) ويقفون بازاء

[صفحه ۱۰۴]

الرسول حيث يتلو علىٌّ قوله تعالى: «إنّ الله وملائكته يصلّون على النبىّ يا أيُّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً» ويردد من حضر الآيه نفسها ، ثم يأمر على بقيه

المسلمين بالدُّخول على الرسول جماعةً بعد جماعه يرددون الآيه نفسها، وكانت تلاوه هذه الآيه على الرّسول هى بمثابه الصّلاه عليه.

ثم تولّى علىٌّ وبعض أهل البيت (عليهم السلام) مواراته فى قبره الشّريف وبعد دفنه ازدادت أتراح فاطمه وأخذ الأسى مأخذه من نفسها، فراحت تنشد الأبيات المحزنه لتتعزّى بها:

قل للمغيّب تحت أطباق الثرى

إن كنت تسمع صرختى وندائيا

صُبت علىّ مصائبٌ لو أنّها

صُبّت على الأيام صرن لياليا

قد كنتُ ذات حمىً بظلّ محمدٍ

لا أختشى ضيماً، وكان جماليا

فاليوم أخشع للذّليل وأتّقى

ضيمى، وأدفع ظالمى بردائيا

فإذا بكت قُمريه فى ليلها

شجناً على غصن بكيت صباحيا

فلأجعلنّ الحزن بعدك مؤنسى

ولأجعلنّ الدّمع فيك وشاحيا

ماذا على من شمّ تربه أحمدٍ

أن لا يشمّ مدى الزّمان غواليا

نعم هكذا عاشت فاطمه مأساتها، فهى قد تجلببت بجلباب من الحزن، وجعلت منه سلوةً لها ومؤنساً ما دام شخص محمد قد غُيّب فى جدثه، وقد تحقّق ما أعلنته فاطمه، وتغنّت به، حيث روى عنها: أنّها ما وُجدت مبتسمةً بعد أبيها على الإطلاق حتّى زارها الموت حيث التحقت بعميدها محمد، ليكفكف دموعها، ويضمّد جراحها.

هبوب العاصفه

ودّعت الأُمّه قائدها الحبيب محمداً (صلى الله عليه وآله)، وانقطع الوحى عن زيارتها، ولم يبق لديها إلا أن تلتزم بحبل الله الوثيق: كتاب الله العزيز وعتره فقيدها الغالى محمد، لأنّ أهل البيت: هم ترجمان الوحى، والصوره الحيّه للرساله الإسلاميه.

ولكن الأُمّه فوجئت بإعصار من المحن كادت أن تحلّ بها قارعه لولا رحمه الله سبحانه بها.

وقد كان فى طليعه هذه المحن الكثار

التى هزّت كيان الأمّه : إقصاء وصىّ رسول الله على بن أبى طالب عن مركزه القيادى ودوره الطّليعى فى الأمّه.

ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ، وإنّما عوملت بضعه المصطفى هى الأُخرى معاملةً قاسيه. فبدلاً من أن تكفكف السُّلطه الجديده دموع فاطمه وتضمّد جراحها بعدما ألمّ بها من ألم وكآبه بعد فقدها لركنها الوثيق أبيها محمد (صلى الله عليه وآله)، فبدلاً من ذلك، فإنّ السُّلطه الجديده وقفت من فاطمه موقفاً مخزياً ترك فى جبين الأُمّه لطخةً سوداء إلى يوم القيامه، لأنّ فاطمه التى أراد لها الرسول (صلى الله عليه وآله) أن تكون مدرسه ومناراً تشع على العالم الهدايه والنُّور أصبحت تعيش وطأه من العسف والهوان بعد أبيها.

ونحن انطلاقاً من المصلحه الإسلاميه العليا لا نريد فى حديثنا هذا

[صفحه ١٠٧]

كما يبدو أول وهله أن نثير قضيّه مذهبيّه أو عصبيه أو غير ذلك، وإنّما نريد أن نتحرّى الحقيقه ونجلى قضيه تاريخيه احتلّت عدداً ضخماً من صفحات تأريخ الأُمّه الإسلاميه. ونحن حين نجلى هذه الحقيقه إنّما نبسطها بصفتها التأريخيه والفكريّه لأنّ مثل هذه الصّفحات من تأريخنا لا تمنعنا نحن المسلمين أن نجتمع على صعيد واحد بعيداً عن الفرقه والشنآن لأنّها أصبحت قضيّه نظريه تاريخيّه فحسب فى واقعنا المعاصر.

ونحن حين نثير مثل هذه القضيّه لا نثيرها بصفتها مثار نزاع بين جماعتين إسلاميّتين، وإنّما نوردها لأنّ طبيعه الموضوع تفرض ذلك، فالحديث عن الزهراء (عليها السلام)، وليس أحدٌ من المسلمين ينكر تأريخياً ما أصاب فاطمه بعد أبيها، ولكنّ الإختلاف فقط يتناول تفسير تلك الأحداث المريره وما

صحبها من ملمّات.

ولقد واجهت الصّديقه الزّهراء (عليها السلام) حادثين بعد فقد أبيها، ولكنّهما متّصلان اتصالاً وثيقاً ببعضهما، وكانا بمثابه العاصفه الهوجاء التى ألمت بالأُمّه الإسلاميه بعد قائدها محمد.

أُولاهما إقصاء أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) عن مركزه القيادى فى الأُمّه الإسلاميه. إذ كانت السيده الزهراء (عليها السلام) ترى فى هذه الحادثه مأساه كبرى تعيشها الرساله الإسلاميه والأمّه بصوره عامّه، لأنّ إقصاء علىٍّ عن دوره الطليعى لم يكن مجرّد تغيير إنسان، وإنّما كان بمثابه خروج عن الخط الذى رسمته السماء لأهل الأرض، وستجنى الأُمّه ثمارهُ السيئه عاجلاً لأنّ الأمه سيتولاها رجال لا يملكون من المؤهّلات الكافيه التى ترفعهم إلى مستوى القياده والحكم فى الأُمه، وبالتالى سيتحول الحكم إلى مجالاتٍ للوصول إلى أطماع شخصيّه ومصالح آنيّه على حساب الشرع المقدس.

ومن ثم ستجنى الأمّه الفرقه والإختلاف. وفعلاً وقع ذلك بعد فتره وجيزه من تاريخ الأُمّه فى وقت كانت فيه بأمسّ الحاجه إلى من يحاكى الرسول (صلى الله عليه وآله) فى قيادته وحكمه، ولا وجود لمن يناظر علياً فى ذلك إطلاقاً، وفضلاً عن ذلك، فإنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) لو انضوت الأُمّه تحت لوائه لسدّت كلّ ثغره فى وجه الإختلاف

[صفحه ١٠٨]

والإنحراف الّذى طرأ على الأُمّهّ فيما بعد لأنّ علياً (عليه السلام) خرّيج مدرسه الرّساله والوحى، وهذا ما جعل فاطمه الزهراء (عليها السلام) تقف موقفاً مشرّفاً فى ذلك الظّرف الدّقيق من حياه الأمّه المسلمه فى جانب علىٍّ، لا لأنّه بعلها وإنّما حدا بها إلى أن تقف ذلك الموقف الصُّلب وأن تتحمل المعامله القاسيه من الحاكمين: أنّها وضعت نصب عينيها النقاط التاليه:

١ إنّها ترى علياً أفضل

شخصیه عرفتها الأمه بعد رسول الله (صلی الله علیه وآله) وهو أقدر من سواه علی تطبیق الرساله وحفظها ونشرها فی بقاع الأرض، ولعلّها تستدلُّ علی ذلک یقول الرسول الأکرم: «أنا مدینه العلم وعلیٌّ بابها» وقوله: «من أراد أن یحیا حیاتی، ویموت موتی، ویسکن جنه الخلد التی وعدنی ربی، فلیتولّ علی بن أبی طالب، فإنّه لن یخرجکم من هدیً ولن یدخلکم فی ضلاله...» [۳۸] .

۲ إنّها بنت الرسول الذی عاش من أجل الرّساله، ولذا فقد رأت أنّها ملزمه قبل غیرها بحفظ الشّرع الإسلامی المقدّس من التلاعب، کما أنّها أصبحت ملزمه بحفظ الأُمّه التی صنعها الوحی من الإختلاف والوهن مما جعلها تعمل علی تحرّی الأسباب التی تکسب الأُمه والشرع مناعهً تجاه الملمات، ولکنّها لم تجد غیر علیّ بن أبی طالب أهلاً لذلک، کما اتّضح من سابق صفاته الجلیله.

۳ إنّها تری أنّ الأُمه ما لم تلتزم جانب علیٍّ، فلسوف تخالف معین الرساله الإسلامیه بمخالفتها رسولها القائد محمداً (صلی الله علیه وآله) وهی تری بعد أنّ صدی صوته ما زالت تردّده الآفاق یوم أعلن مراراً وتکراراً: «إنی خلّفت فیکم الثقلین: کتاب الله وعترتی أهل بیتی، ما إن تمسّکتم بهما لن تضلُّوا أبداً...».

وقوله: «من کنت مولاه فهذا علیٌّ مولاه...».

وقوله مخاطباً علیاً: «أنتَ منی بمنزله هارون من موسی إلاّ أنه لا نبیذ بعدی...».

وهی تری أنّ هذه الأقوال حجّه فما لم تلتزم الأُمّه بروحها خرجت عن طاعه الله ورسوله وکتاب الله یهتف: «ما آتاکم الرّسول فخذوه وما نهاکم عنه فانتهوا...»

[صفحه ۱۰۹]

فإن لم تلتزم الأُمّه بهذه الاقوال خرجت عن حصن الطاعه لله ورسوله، بل خرجت عن حکومه الله تعالی فی الأرض، وهذا

ما جعل الصّدّيقه الزّهراء (عليها السلام) تعيش المأساه بكلّ أبعادها البعيده والقريبه يوم رأت عليّاً يقصى مرغماً عن مكانه الذى بواه الله فيه.

وثانيهما: تأميم قريه فدك من قبل الحكومه القائمه؛ وهذه الحادثه جعلت فاطمه (عليها السلام) تجد فيها خير متنفس لها لإلقاء الحجّه على الأُمه وتذكيرها بأيام محمد (صلى الله عليه وآله) وقراراته بهذا الشأن: «شأن القياده وشأن الإلتزام بنقاء الشّريعه».

ونحن لا نريد أن نتعرّض لتصريحات فاطمه الزهراء (عليها السلام) بهذا الشأن قبل أن نبيّن حقيقه فدك، ونحدد أبعاد مشكلتها واحتجاجات الصّديقه الزهراء بشأنها.

وقفه على اطلال فدک

وفدك هذه أرض حجازيّه تقع على مقربه من مدينه الرسول (صلى الله عليه وآله)، وهى أرض زراعيه غنيه بمائها ونخيلها [۳۹] .

وكانت ملكيه لليهود حتى السّنه السابعه للهجره، حيث أصبحت بعد هذا التاريخ داراً للإسلام، وذلك بعد أن تجلّت مكائد اليهود ودسائسهم ونقضهم للعهود التى أبرمها الرسول (صلى الله عليه وآله) معهم.

وحين ظهر سوء طويّتهم واتصالاتهم المفضوحه مع المعسكر الوثنى واشتراكهم فى حرب المسلمين إلى جانب قوى الضّلال، صمم الرسول (صلى الله عليه وآله) على محاربتهم لأنّهم أصبحوا خطراً فعليّاً على الدّوله الإسلاميه الفتيّه وركيزه من ركائز التآمر على سلامه الكيان الإسلامى.

وحين علم اليهود بتصميم النبى وإعلانه محاربتهم، استحوذ عليهم الذّعر ودبّ الفزع فى نفوسهم قبل أن يسير إليهم الرسول بخيل أو رجال، وقد طلبوا من رسول الله الصُّلح تاركين له قريه «فدك».

ولما كانت الأرض التى يفرُّ عنها أعداء الإسلام دون أن يوجف عليها بخيل ولا ركاب ينطبق عليها حكم ملكيه الدّوله [۴۰] فى الإصطلاح الإقتصادى أو الأنفال فى الإصطلاح الفقهى فقد أصبحت أرض فدك ملكاً للرّسول (صلى

الله عليه وآله) بصفته رئيس الدوله الإسلاميه، وحكم مثل هذه الأرض ليس موضوعاً اجتهادياً.

[صفحه ۱۱۱]

وإنما هو موضوع فى إطار مذهبى رصين، رسم القرآن الكريم حدوده وطابعه كما ورد ذلك فى قوله تعالى: «وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتُم عليه من خيلٍ ولا ركابٍ ولكنّ الله يُسلط رُسله على من يشاء والله على كلّ شىء قدير – ما افاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرّسول ولذى القُربى واليتامى والمساكين وابن السبيل..» [۴۱] .

ولكن «فدك» لم تبق مجرد ملكيه للدّوله الإسلاميه، وإنما أعطت السماء فيها تعليماً خاصّاً جعل الرسول يهبها لبضعته الزهراء (عليها السلام) وذلك تطبيقاً لقوله تعالى: «وآتِ ذا القربى حقّه...» [۴۲] .

ولأنّ الزهراء تمثل طليعه قربى محمد (صلى الله عليه وآله) ولذا وهبها قريه فدك تأكيداً لمدلول التشريع الإلهى المبارك.

وما أن ودّعت الأُمّه الإسلاميه قائدها الحبيب محمداً إلا وأعلنت الحكومه الجديده على لسان زعيمها (أبى بكر) نبأ تأميم فدك وإعادتها ملكيه للحكومه، بعد أن كانت لفاطمه فى وقت قد صدر فيها حكم إلهى على لسان محمد الذى وهبها للزهراء.

ولكن هذا القرار الذى اتخذته الحكومه الجديده حمل الزهراء (عليها السلام) على عدم الإعتراف به، فهبّت لنقضه أمام الأُمه الإسلاميه وممثّلى الحكومه لفضح بدايه التلاعب على حساب التشريع الإلهى المقدّس.

[صفحه ۱۱۲]

الحجج الناصعه

وغادرت فاطمه الزهراء (عليها السلام) بيتها وسط جمع من النّساء الفضليات لكى تجلب النظر وتثير الإهتمام للجماهير المسلمه، فدخلت المسجد مسجد أبيها (صلى الله عليه وآله) وهنا بدأت تلقى حججها بأُسلوب ملؤه حكمه ورويّه حيث قابلت أبا بكر بكلمه تعارف الناس عليها، فخاطبته وكأنّها تستفسر عن

شىء تجهله: «يا أبا بكر من يرثك إذا متّ؟».

قال: أهلى وولدى.

قالت: فمالى لا أرث أبى رسول الله؟

وحين فوجىء أبو بكر بهذه الحجّه النّاصعه راح يبحث عن مبرر لتأميم إرثها من أبيها.

فقال: يا بنت رسول الله، إنّ النبى لا يوّرت [۴۳] .

وقيل: أجابها: «إن الأنبياء لا تورّث، ما تركوه فهو صدقه». واستشهد بحديث انفرد به عن رسول الله فقال: «سمعت رسول الله يقول: لا نورّث ما تركناه فهو صدقه»..

وهو حين تشبّث بهذا الحديث أراد أن يبرّر فشله أمام الحجّه التى وجه بها،

[صفحه ۱۱۳]

وهو يعلم بمكانه الرسول (صلى الله عليه وآله) لدى فاطمه (عليها السلام) فأراد أن يبطل حجّتها بحديث رواه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولكنّ أبا بكر لم ينته من إلقاء كلماته الدّفاعيه حتى فوجىء بحجه آخرى أبلغ من سابقتها حيث ردّت عليه ابنه المصطفى (صلى الله عليه وآله) بقولها: «ما شأن سليمان ورث داود؟». انطلاقاً من قوله تعالى: «وورث سليمان داود».

ثم استطردت قائله:

«ألم يقل زكريا: «... إنّى وهن العظم منّى واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك ربّ شقيّاً وإنّى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقراً فهب لى من لدنك وليّاً يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله ربّ رضيّاً» [۴۴] .

وحين تلت هذه الآيات الكريمه فنّدت قول الخليفه لأنّها أثبتت له إثباتاً لا يتحمّل أىّ ريب: أنّ سليمان ورث أباه داود، مع أنّ داود كان نبياً، وسليمان حين ورث أباه ورثه بالملك لا بالنبوّه لأن النبوّه لا تورث، فالنبوّه لو ورثت لورثناها من أبينا آدم خلفاً عن سلف.

والآيه الثانيه التى استدلت بها تحمل نفس

المفهوم فزكريّا (عليه السلام) حين طلب إلى ربّه أن يرزقه ولداً لكى يرثه، إنّما أراد بالإرث هنا إرث المال، ولذا طلب من ربّه أن يكون ولده مرضيّاً، وليس من المنطق كما تدل الآيه : أنّ زكريّا أراد من ربّه أن يرزقه ولداً يرثه فى النّبوه بدليل أنّه بعد أن دعاه أن يرزقه هذا الوارث طلب إليه أن يكون مرضيّاً، لأنّه إذا أراد من ربّه أن يرزقه ولداً يرثه فى نبوّته، فهل يكون هذا النبىُّ غير مرضىٍّ حتى يطلب أن يجعله مرضيّاً [۴۵] .

وهكذا فإنّ الآيه تدل دلاله واضحه على أنّ الإرث هنا إرث مادىّ فحسب .

وحين واجه أبو بكر هذه الحجّه البالغه، عرف أنّ الزّمام قد أُفلت من يده، فأصرّ على أنّ النبىّ لا يورّث، ولكنّ إصراره هذا على كون الرّسول لا يورّث إصرار فى غير محلّه بعد أن فوجىء بحجج الزهراء البالغه فلا بدّ له من حجه أُخرى

[صفحه ۱۱۴]

يدعم بها موقفه هذا، فقال: «أنى لأعلم إن شاء الله أنّك لن تقولى إلا حقّاً ولكن هاتى بيّنتك».

فأسرعت (عليها السلام) لتأتى بعلىّ بن أبى طالب (عليه السلام) وأُم أيمن بركه بنت ثعلبه، فشهدا: أنّ «فدكاً» قد أورثها الرّسول لفاطمه، ولكنّ أبا بكر لم يعترف بهذه الشّهاده، مدّعياً أنّ نصابها غير كامل، فطالب بامراه أُخرى أو رجل آخر، ولكنّ فاطمه لم تأت بغير ذين.

وأنا أعجب من أبى بكر كيف لا يتّخذ من شهاده علىٍّ بن أبى طالب (عليه السلام) حجّه على صحّه موقف فاطمه على الأقل فى وقتٍ هو يعلم قيمه علىٍّ عند الله. ورسوله، فهو هارون الأُمّه

والمطهّر من الرّجس، ومدينه علم الرّسول، بغضّ النّظر عن الصّدّيقه الزهراء أَم أبيها وبضعته والمطهّره من الرّجس. والإمرأه الصّالحه أُمُّ الصّالحه أُمُّ أيمن المبشره بالجنه [۴۶] .

ومن المؤسف حقّاً أنّ أبا بكر حين يعلن: أنّ معاشر الأنبياء لا يورّثون، يأتى بعائشه وحفصه لتشهدا له فى صحّه الحديث، ولكن لا أدرى لماذا لا توازى شهاده علىٍّ (عليه السلام) شهاده إحديهما؟ فضلاً عن شهاده أُمّ أيمن المرأه الصالحه

وإلى جانب هذا كلّه: إنّ مطالبه أبى بكر فاطمه الزهراء بإحضار الشُّهود ليست منطقيّه لأنّها مالكه لفدك فعلاً، وأبو بكر ادّعى ادّعاءً أنّها لا حقّ لها فى تملُّكها، ولذا أصدر حكم التأميم بشأنها مع أنّ القاعده المنطقيه الثابته تقول: «البيّنه على من ادعى» فلماذا لم يأت أبو بكر بالبيّنه؟ وقت كان مسؤولاً بإتيانها عقلاً ومنطقاً وعرفاً.

لكنّ الخليفه مع هذا قد أصرّ على عدم اقتناعه بشهاده علىٍّ وأُمّ أيمن.

وللقارىء الكريم أن يحكم على هذه الواقعه المعروضه أمام عينيه وليتحرّ الحقيقه بنفسه.

ويقينى: أنّ الحجج التى أدلت بها الزهراء (عليها السلام) أمام الخليفه أبى بكر

[صفحه ۱۱۵]

كانت كافيةً لإدانته وتغيير موقفه منها. ولكنّه أسفاً تمادى بعدم اعترافه بحقّها فى إرثها من أبيها.

وإلى جانب مواقفها وحججها هذه نورد بعض المؤاخذات الأُخرى على موقف الخليفه أبى بكر، تجليةً للحقيقه وتأكيداً للمنطق فنقول:

ولو فرضنا جدلاً أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يمنح فاطمه الزّهراء فدكاً بصفتها من ذوى القربى حسب مدلول آيه «وآت ذا القرى حقّه». وإنما منحها فدكا بصفته حاكماً للدّوله الإسلاميه، ورئيس الدّوله الإسلاميه له الحقُّ

فی التّصرف فی ملکیّه الدّوله طبقاً لما یراه وفی إطار المصلحه الإسلامیه العلیا، وقد رأی أن یمنح فاطمه الزهراء (علیها السلام) کأن تکون من سائر الناس فدکاً کحق خاص لا ملکیّه خاصّه لأنّ ملکیّه الدّوله الأنفال لا تملک ملکیه خاصه. ولنفرض لأنّ فاطمه الزّهراء (علیها السلام) قد تصرّفت بحقها فی الأرض دون أن تخل بشروط سیطرتها علیها لأنّ من شروط تملُّک الفرد المسلم للأرض: أن یقوم بعمارتها: من زراعه أو إقامه مشروع نافع علیها، أمّا إذا لم یؤدّ حقّ ما حازه بأمر الدّوله الإسلامیه من الأنفال فإنّ للدّوله الحق فی سلبه منه لتمنحه لمن یقوم بدور الإحیاء الفعلی للأرض، وهذا یعنی: أنّ الأرض التی تعود ملکیتها للدّوله فی المذهب الإقتصادی الإسلامی وحازها بعض الأفراد، فإنّ عقد الحیازه یظلّ قائماً ما دام الفرد المسلم قائماً برعایه الأرض وعمارتها، أمّا إذا لم یؤدّ هذه الوظیفه فإنّ العقد یفسخ بعدها لیستثمر الأرض منتج آخر [۴۷] .

وفاطمه الزهراء (علیها السلام) قد أثبتت الأدلّه التاریخیّه: أنّها کانت ملتزمه التزاماً تامّاً بشروط حیازه الأرض، فقد کان لها وکیل لإدارتها وزراعتها والعنایه بها فما هی الاسباب التی دعت أبا بکر أن یسلب هذه الأرض منها، وهی ما زالت قائمه بشروط التملُّک والحیازه لها طبقاً لما رسمه الإسلام من شروط لحیازه الأرض الّتی تصدق علیها صفه ملکیّه الدّوله «الأنفال»؟

ألیس ذلک تلاعباً علی حساب المذهب الإقتصادی الإسلامی، بل علی حساب

الشّرع المقدّس؟ الّذی لا یسمح بتأمیم حقوق المواطنین الخاصّه: «النّاس مسلّطون علی أموالهم، لا یحلُّ مال امرىءٍ إلّا عن طیب نفسه». علماً بأنّه قد علّل سلبه لأرضها بقوله: «إنّ الأنبیاء لا یورّثون».

وهذا ما يلفت النظر إلى أنّ ابا بكر لو كان يعلم أنّ المصلحه الإسلاميه العليا تقتضى هذا التأميم والمصادره لصرّح به، ولكنّه لم يجد مبرراً لهذا القرار، فأعلن عدم جواز تورُّث الأنبياء.

وبعد إجلاء هذه الحقيقه فأنا غير واثق مطلقاً من أنّ أبا بكر (رض) كان جاهلاً من أنّ الحق كان بجانب الصّدّيقه فاطمه، لا سيّما وهو يمتاز بحنكته وعبقريّته، فمن المستحيل أن تغيب عنه تلك الحقائق النّاصعه، ولكنّه لا يستطيع أن يدلى بتصريح يصدّق فيه الزّهراء (عليها السلام).

وعقيدتى أنّ ابا بكر كان مقيّدا بقرارات السّقيفه الّتى أوصلته للحكم، وهو إن تخلّى عنها فاعترف لفاطمه بفدك، لنحّاه من جاء به عن المنصب، كما أنّ اعتراف أبى بكر لفاطمه بحقّها فى فدك سيجُره إلى الإعتراف بكلّ مطاليبها المقبله، وفى طليعتها أحقيّه علىٍّ (عليه السلام) فى قياده الأُمّه الإسلاميّه، ولذا فإنّ حنكه الخليفه جعلته يصنع شتّى المبررات لعدم الإعتراف لفاطمه بحقّها فى فدك، لأنّ ذلك سيكون اعترافاً ضمنيّاً بصدق لهجه فاطمه فى كلّ مطالبها المقبله.

وهكذا فإنّ الباحث التأريخى المنصف يجب أن لا يحمّل تبعات المأساه الخليفه أبا بكر بقدر ما يحمّله مؤتمر السقيفه ذاته لأنّه هو المسؤول أولاً وآخراً قبل غيره عن كلّ ما حدث بعد الرّسول (صلى الله عليه وآله).

[صفحه ۱۱۸]

تقديم الموقف

وقد ساد الإعتقاد لدى البعض من المؤرّخين من أنّ أبا بكر (رض) إنّما أصرّ على منع الزهراء (عليها السلام) حقّها فى فدك لأنّه خشى أن يستعمل لأغراض سياسيّه، حيث أنّ عليّاً وفاطمه يستغلّانه فى تقويه حزبهما المعارض لإسقاط حكومه الخليفه أبى بكر، ولذا استعمل الخليفه معهما الحرب الإقتصاديه لإضعاف الحركه المعارضه.

وهذا

الرأی فی عقیدتی قد أخطأ الحقیقه، وهو لعمری رأی أرید به تبریر موقف الخلیفه والتخفیف من شدّه النّقد التی وجهت سیاسته بها، ولإیقاف سیل المؤاخذات الّتی شُنّت علی موقفه الصُّلب من الصّدّیقه فاطمه علی ما حملته من حجج ناصعه وأدلّه صائبه، وأنا حین أشکّ فی صحّه هذا الرأی لا أقف فقط عند حدود الشّک وحده وإنّما أُؤکد رأیی بالنقطتین الآتیتین:

۱ انّ ممّا لا شکّ فیه أنّ علیّ بن أبی طالب لا یمکن أن یطلب غایه نبیله بسبُل معوجّه وأسالیب ملتویه، وهو الذی یحمل شعار: «لا یُطاع الله من حیث یعصی».

فهو لا یمکن أن یطلب الوصول إلی قیاده الأُمّه عن طریق ابتیاع ضمائر أو دجل، أو ضم أصوات إلی جانبه حتی یستفید من فدک اقتصادیّاً فی تنشیط حرکته، بغیه عزل الحکومه یومذاک.

[صفحه ۱۱۹]

لکنّه أراد من فدک حین تطلبها فاطمه قوهً لهما ولأولادهما لیس غیر، ولیس أدلّ علی ذلک من سیاسه علیٍّ (علیه السلام) أیّام حربه مع معاویه، فقد کان بوسعه أن یشتری الضمائر ویجمع المرتزقه لتعزیز موقفه فی المعترک، ولکنّه لم یفکر بذلک إطلاقاً لأنّه یری فیه ارتکاباً لعمل یتنافی وشرع الله سبحانه فی وقت کان بیت المال تحت تصرُّفه، فکیف یتّخذ من فدک أُسلوبه لإعزاز حرکته؟

۲ أکّدت الأدلّه التأریخیه أنّ الصّدّیقه الزّهراء (علیها السلام) حین رجعت من مناظراتها للخلیفه أبی بکر وجدت علیّاً، وهو یتوقّع عودتها بفارغ الصّبر، وحینئذٍ ألقت کلمتها أمام علیٍّ لتوضح له نتیجه جولتها مع الخلیفه (رض) حیث أکدت له: أنّ أبا بکر قد ردّها ولم یعبأ بحججها، وقد کانت تتحدّث لعلیٍّ بحرقه أظهرت فیها غضبها وسخطها

على الحكم القائم.

ولما اختتمت كلمتها بقولها: « [۴۸] ويلاى فى كلّ شارق، ويلاى فى كلّ غارب. مات العمد ووهن العضد، شكواى إلى أبى، وعدواى إلى ربى اللهم إنّك أشدُّ منهم قوةً وحولاً وأشدُّ تنكيلًا».

وتألّم علىٌ لحديثها فراح يستعمل كلّ ما فى وسعه للتخفيف من غضبها وألمها فخاطبها بقوله: «لا ويل لكِ بل الويل لشانئك، ثم نهنهى عن وجدك يا أبنه الصّفوه، وبقيّه النبوه، فما ونيت عن دينى ولا أخطأت مقدورى، فإن كنت تريدين البلغه فرزقك مضمون وكفيلك مأمون، وما أُعدّ لكِ أفضل ممّا قطع عنكِ فاحتسبى الله...».

ومخاطبه علىٌ لفاطمه بقوله: «فإن كنت تريدين البلغه، فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون».

دليل على أنّ عليّاً وفاطمه ما ابتغيا وراء فدك إلا قوتاً لهما ولأولادهما، وهذا ما يتّضح من قوله علىٌ (عليه السلام) لها حيث يؤكّد أنّ رزقها مضمون، وإن حاول الحاكمون منعه وأنّه سيضمن عيشها وعيش أولادها ما دام حيّاً وتصريح علىٌ هذا يكشف لنا الغايه التى تنشدها فاطمه من المطالبه

[صفحه ۱۲۰]

بفدك، فإنّها لو كانت تبتغى هدفاً سياسيّاً وراء الحصول على فدك لخاطبها علىّ بعد عودتها من مناقشه الخليفه بأُسلوب غير هذا ولجرى بينهما حديث يخالف هذا.

ونستطيع أن نقرّر هذه الحقيقه إذا استعرضنا حديثاً للإمام علىٍّ بشأن فدك وفى أيام خلافته وبعد وفاه الصّدّيقه الزهراء (عليها السلام) حيث يوضح فيه أنّ فدكاً كانت فى حيازته وأهل بيته تدرُّ عليهم الرّزق:

«بلى كانت فى أيدينا فدك من جميع ما أظلّته السّماء، فشحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين، ونعم الحكم الله وما أصنع بفدك وغير فدك والنّفس مضانُّها فى غدٍ جدث».

ألا تراه

أخی القارىء لا يقيم وزناً لفدك ولا لغير فدك، وهمُّه أن يصلح الدُّنيا بعدله وأن يتهيّأ لحياته الأخرى بخير زاد لكی يلقی ربّه بنفس راضيه مرضيّه، فهل تنتظر من شخص هذا مقياسه فی الحياه الفوز برضوان الله : أن يشترى الضّمائر ويجمع الأصوات حوله لكی يصل إلی الحكم، وهو القائل (عليه السلام): «ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندی من عفطه عنز».

وهو القائل أيضاً: «والله ما كانت لی فی الخلافه رغبه ولا فی الولايه أربه» [۴۹] .

[صفحه ۱۲۱]

وهذه التّصريحات من علیٍّ (عليه السلام) تؤكد لنا: أنّه لا يعبأ بالخلافه، بل بالدُّنيا برمّتها فكيف يهتم بالوسائل التی توصل إليها بل كيف يمكن أن يسخّر ما تدرُّه فدك من أرباح لأغراض سياسيه؟

وبعد كلّ هذا ربما يعترض البعض علی موقف فاطمه فيقول: لماذا إذن تقف فاطمه هذا الموقف الصُّلب فی مطالبتها بفدك، فلو لم يكن هناك هدف آخر تبتغيه من ورائه، لما طالبت هذه المطالبه الحقيقيه به؟

ولأجل أن نبرز الحقائق التی دفعت الصّدّيقه فاطمه الزهراء (عليها السلام) للمطالبه بفدك، نضع أمامنا النقاط الآتيه:

۱ إنّها رأت أنّ تأميم (فدك) قد هيّأ لها فرصه ذهبيّه فی الإدلاء برأيها حول الحكومه القائمه وكان لابدّ لها أن تُدلی بتصريحاتها أمام الجماهير، وقد هيّأت لها قضيّه فدك هذه الملابسات المناسبه، فحضرت (دار الحكومه) فی المسجد النبوی وألقت بتصريحاتها التی لا تنطوی علی أی لبس أو غموض.

۲ تبيان أحقيّه علیٍّ فی قياده الأُمّه بعد الرسول (صلی الله عليه وآله) وقد تجلّی ذلك فی خطبتها التی ألقتها فی مسجد أبيها (صلی الله عليه وآله) علی مسمع ومرأیً من

المسلمين وبضمنهم الحكومه الجديده، فكان من بعض أقوالها:

«أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبى وابن عمى؟».

وقولها: «وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض». حيث أوضحت أنّ عليّاً (عليه السلام) أعلم الناس بعد محمد بمعرفه الرّساله وأحكامها وقوانينها، وهو لذلك أحق برعايه شؤون الأُمّه التى صنعها الوحى المقدّس.

٣ كشف ألاعيب الحكومه الجديده على الشّرع المقدّس واجتهاداتهم التى لا

[صفحه ١٢٢]

علاقه لها بأهداف الرساله وتزمُّتهم وإصرارهم على آرائهم بعد بطلانها، وقد اتّضح ذلك كله فى حججها التى واجهت أبا بكر بها بشأن فدك كما رسمناه سابقاً.

وهذه النقاط الثلاث هى التى استهدفتها فاطمه (عليها السلام) فى مطالبتها الحثيثه بفدك ليس غير، وليس لها وراء ذلك هدف مادىٌّ رخيص كما يعتقد البعض من مؤرّخى حياتها، فهى لعمر الحق قد تصرّفت ما من شأنه أن يحفظ الرّساله من شبح الإنحراف الّذى تنبأت بوقوعه بعد انتخاب الحكومه الجديده فاتخذت من فدك خير فرصه لخدمه المبدأ وإلقاء الحجّه على الأُمّه تأديه للمسؤوليّه ونصراً للرّساله وحفظاً لبيضه الإسلام.

[صفحه ١٢٦]

فى ذمه الخلود

غاب شخص محمد (صلى الله عليه وآله) عن عينى فاطمه بضعته، ودفنت معه تلك العواطف الفيّاضه الّتى كان يفيضها عليها.

غاب عنها مَن كان يكثر تقبيلها حتى بعد زواجها من علىٍّ (عليه السلام)، وغاب عنها مَن كان يدعوها (أُم أبيها).

لقد ودّعت كلّ ذلك بعد أن ودّعت أباها الحبيب، وادلهمّ الخطب عليها، وتغيّرت الأجواء. وتلبّدت الآفاق آفاق حياتها بمحن كأنّما هى على موعد مع موت الرّسول وغياب شخصه الكريم.

وكان فى طليعه ما فوجئت به فاطمه الزّهراء (عليها السلام) بعد فقدها لأبيها : إقصاء بعلها ووصىّ

أبيها علىّ بن أبى طالب (عليه السلام) عن مركزه القيادىّ فى أَمّه الوحى.

وتجتمع المآسى على قلب فاطمه، فتحرم من ملكيتها التى وهبها أبوها لها حيث تصادر ويجرى عليها حكم التأميم الجائر، وهكذا تتجسّد المأساه على الصّدّيقه الطّاهره، وتعرف أنّ السرّ فى ذلك كان بسبب موت القائد محمد (صلى الله عليه وآله) ولذا لا بدّ لها من أن تعيد شريط حياتها الماضيه مع أبيها لتعطيه حقّه ولكن فى إطار من اللوعه والبكاء والأسى، حيث صار ديدنها أن تبكى على أبيها بعد أن تتذكر أيّامها النديّه التى قضتها تحت ظلاله الوارفه، ويزداد بكاؤها حتى يضرب بها المثل فى حنينها إلى عميدها، ويضيق أهل المدينه ذرعاً بما يجرى فى بيت الرّساله، فيفاوضوا عليّاً (عليه السلام) بأنها ويطلبوا منه أن تبكى فاطمه: إما ليلها أو نهارها، ولكنّها تستمر فى لوعتها حتى طاب لها يوماً أن تسمع مؤذّن أبيها «بلالاً» وهو يرفع صوته بالاذان لكى يذكّرها بأيام حبيبها الرّاحل محمد (صلى الله عليه وآله)، ويستجيب «بلال» لطلبها، ويرفع صوته بالاذان، وما أن يذكر بلال أسم محمد حتى يرتفع صوت فاطمه بالحنين إليه، وتخرّ إلى الأرض مغمىً عليها مما اضطر بلالاً إلى قطع أذانه، فيضجُّ المسلمون بالبكاء مواساةً لفاطمه (عليها السلام). وتبدو آثار هذه اللوعه تلوح على شخص الزّهراء حيث خارت قواها ودبّ الوهن فى جسمها، وأصبحت لا تقوى على النُّهوض، فاستسلمت للفراش، واستسلامها للفراش كان إيذاناً بوقوع مأساهٍ جديده لهذه الأُمّه الفتيّه.

وخيّم الوجوم على بيت الرّساله من جديد، بل تعمق الوجوم وتأصّلت المأساه حين استفحل المرض على الزّهراء (عليها السلام)، وراح يلتهم صحتها بنهمٍ وقسوه حتى يئس

[صفحه ۱۲۷]

بيت الرّساله من

بقائها أكثر من أيام قليله يعلن بعدها وقوع المأساه الجديده مأساه افتقاد فاطمه الزّهراء غرس النبوّه ومدرسه الرّساله .

وتبدأ جموع المسلمين والمسلمات تنهال على بيت عليٍّ لزياره الزّهراء بل لتوديعها وكان فى طليعه الوفود وفد الحكومه الجديده بقيـاده الخليفه الأـول أبى بكر عبـدالله ابن أبى قحـافه ووزيره عمر بن الخطـاب، جـاءا ليطمئنا على صـحتها ويعتـذرا لها فى نفس الوقت بصدد قضيه «فدك» وأحداثها، وما أن يدخل الوفد على فاطمه إلا وتولّى بوجهها إلى الحائط إعلاناً لنصبها على الحكومه القائمه.

وخاطبها أبو بكر طالباً عفوها، ولكنّها ذكّرتهم بقول أبيها رسول الله فيها: «فاطمهُ بضعه منّى، فمن أغضبها أغضبنى».

فاعترف بصدق قوله هذا لها حيث أعلنت بعد ذلك صـراحةً: أنّها ساخطه عليهما وأنّها سترفع شكواها إلى ابيها بعد موتها، وحين يواجه أبو بكر هذا الإصـرار من الصّدّيقه الزّهراء على غضـبتها عليها، يستولى عليه الجزع والأسى، وتجود عيناه بالدموع. ويعودان بعدها إلى دارهما وهما يتلاومان

وتتوالى الوفود على بيت الزهراء، ويسـتقبل بيتها الكريم وفـد نساء الأنصار، وبعـد أن يسـتقرّ المجلس بالوفـد الجديد، تبدأ النساء يستفسـرن عن صحتها، فترد فاطمه على زائراتها بعبارات مجروحه، تئُم عن ألمها وحزنها من المواقف المخجله التى وقفها «القوم» منها فى قضيه «فدك»، كما تئُم أيضا عن سخطها على بعض الأنصار الذين وقفوا منها فى مواقفها مع «الخليفه الأول» موقفاً سلبياً، فضلاً عن سكوتهم إزاء عمليّه إقصاء علىّ بن أبى طالب عليه السلام عن مركزه القيادى فى الأُمه.

وإليك نص كلامها مع الوفد النّسائى كما عن ابن أبى الحديد واحتجاج الطبرسى وغيرهما : حيث

سألها النسوه: كيف أصبحت من علتك يا بنت رسول الله ؟:

«... أصبحت والله عائفةً لدنياكنّ، قاليةً لرجالكنّ، لفظتهم بعد أن

[صفحه ۱۲۸]

عجمتهم [۵۰] وشنأتهم بعد أن سبرتهم [۵۱] ، فقبحاً لفلول الحدّ، واللّعب بعد الجدّ، وَقرعِ الصّفاه، وصدع القناه، وخطَل الآراء، وزَلل الأهواء [۵۲] ، «ولبئسَ ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هُم خالدون» لا جَرم والله لقد قلّدتُهم ربقتَها، وحمّلتهم أوقتها [۵۳] ، وشننتُ عليهم غارَتها، فجدعاً وعقراً وبُعداً للقوم الظّالمين [۵۴] ، ويحهم أنّى زعزعوها عن رواسى الرّساله، وقواعد النبوّه والدّلاله، ومهبط الرُّوح الأمين، والطّبين بأمور الدُّنيا والدّين [۵۵] «ألا ذلك هو الخسرانُ المبينُ». وما الّذى نقموا من أبى الحسن؟ نَقِموا منه والله نكيرَ سفيه، وقلّه مبالاته بحتفه، وشدّهَ وطأته، ونكالَ وقعته، وتنمُّره [۵۶] فى ذات الله عزّ وجلّ . وتالله، لو مالوا عن المحجّه اللائحه، وزالوا عن قَبول الحجه الواضحه، لردّهم إليها، وحملهم عليها، ولسار بهم سيراً سُجُحاً [۵۷] لا يُكلَم خشاشهُ [۵۸] ولا يكِلُّ سائرُه، ولا يملُّ راكبُه، ولأورَدهم منهَلاً نميراً، صافياً رويّاً فضفاضاً تطفح ضِفتاه ولا يترنّق جانباه، ولأصدرهم بِطاناً [۵۹] ونصَحَ لهم سرّاً وإعلاناً، ولم يكن يَحلىَ من الغنى بطائل [۶۰] ولا يحظى من الدُّنيا بنائل غير ريّ الناهِل [۶۱] وشبعه الكافل. ولَبانَ لهم الزاهدُ من الراغِب، والصّادقُ من الكاذب «ولو أنّ أهل القُرى آمنوا واتّقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السّماء

[صفحه ۱۲۹]

والأرض ولكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون، والّذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيّئاتُ ما كسبوا وما هم بمعجزين».

ألم هلمّ فاستمع، وما عشت أراكَ الدّهرُ عجباً،

وإن تعجب فعجبٌ قولهم. ليت شعرى، إلى أىّ سنادٍ استندوا، وعلى أىّ عمادٍ اعتمدوا، وعلى أيّه ذرّيه أقدموا واحتنكوا [۶۲] «لبئس المولى ولبئس العشير، وبئس للظالمين بدلاً» إستبدلوا والله الدّنابى بالقوادم [۶۳] والعجزَ بالكاهل [۶۴] فرغماً لمعاطس قوم «يحسبون أنهم يحسنون صُنعاً ألا إنّهم هم المُفسدونَ ولكن لا يشعرون» وَيحهم «افمن يهدى إلى الحقّ أحقُّ أن يُتّبع أمّن لا يهدّى إلاّ أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون» أما لعمرى، لقد لقحت، فَنِظره رَيثَ ما تُنتج، ثم احتلبوا ملأ القعب دماً عبيطاً وذُعافاً ممقراً [۶۵] هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبّ ما أسس الأوّلون، ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً، واطمئنُّوا للفتنه جأشا [۶۶] وأبشروا بسيف صارم، وسطوه معتدٍ غاشم وهرج شامل واستبدادٍ من الظّالمين يدع فيأكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا حسرةً لكم، وأنىّ لكم، وقد عُمّيت عليكم «أنلزمكموها، وأنتم لها كارهون».

وبهذه الكلمات الوضّاءه قابلت الزهراء (عليها السلام) وفد نساء الأنصار، وهذه الكلمات بحقٍّ قبس من نور النُّبوه السّاطع، وثمره من ثمار الوحى التى تلقّاها بيت الرّساله ومهبط الوحى، ففاطمه الزّهراء (عليها السلام) وهى فى آخر أيامها والمرض قد استبد بها ما نسيت دروس الجهاد، فهىَ ومن على وسادتها تعلن لوفد الأنصار رأيها الصّريح فى الواقع المرّ الذى آلت إليه الأُمّه بعد افتقاد قائدها محمد (صلى الله عليه وآله).

والباحث المتتبّع يستطيع أن يلمس فى حديثها هذا النقاط الآتيه:

۱ إعلانها عن سخطها على الأنصار وغيرهم ممن استسلموا لواقع يجب استنكاره وتغييره.

[صفحه ۱۳۰]

۲ إعلانها: أنّ عليّاً هو الخليفه الشّرعى لأبيها محمد (صلى الله عليه وآله).

۳ تبيان صفات علىٍّ (عليه السلام) التى رشّحته ليكون أهلاً لقياده

الأمّه، سيّما وهو أدرى بشؤون الشّريعه من سواه.

۴ شرح الأسباب التى دعت الجاحدين وذوى المصالح الآنيه إلى إقصاء علىٍّ عن مقامه القيادىّ.

۵ إعلانها عن واقع غيبى تصير إليه الأُمّه قريباً من تفرُّق لجمعها واستبداد الظّالمين بأُمورها.

۶ إعلانها أسفها للحاله التى صار، ويصير إليها النّاس بعد أبيها محمد(صلى الله عليه وآله).

وعاد وفدُ نساء الأنصار ليبلّغ الرجال مبادىء فاطمه التى أعلنتها دون اكثراث أو مواربه.

وتزداد صحه فاطمه سوءاً يوماً بعد يوم، وقد حان الوقت لتعلن وصاياها لأمير المؤمنين علىٍّ (عليه السلام) حيث قالت:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هـذا ما أوصت به فاطمه بنت محمـد، أوصت بحوائطها السّبعه إلى علىّ بن أبى طالب فإن مضـى فإلى الحسين، فإن مضى فإلى الأكابر من بمحمد».

وكتبَ علىٌّ (عليه السـلام) هذه الوصيّه وشـهّد بها المقداد بن الأسود والزُّبير بن العوام. كما أوصت فاطمه الزهراء (عليها السلام) أن لا يغسّلها بعد موتها غير علىٍّ وأسـماء بنت عميس، كما أوصت مؤكده أن لا يشيّعها «القوم» الذين غصبوها حقّها بعد موتها، حيـث قـالت: لعلىٍّ فى آخر أيامهـا: «أمنفّذ انت وصيّتى وعهـدى أو والله لأعهـدنّ إلى غيرك؟»، فقـال علىٌّ (عليه السـلام) «بلى أُنفّذها». فقالت عليها السـلام: «إذا أنا متُّ فادفنى ليلاً ولا توذنّ بى ابا بكر وعمر» [۶۷] كما أنّها أوصته بولديها الحسن والحسين خيراً.

وتحسُّ الزهراء باقتراب أجلها، فتقول لأسماء: «إنّى قد استقبحت ما يصنع بالنّساء: إنّه يداح على المرأه الثّوب فيصفها لمن رأى».

[صفحه ۱۳۱]

وهذه البادره من فاطمه حين تعلن لأسـماء من أنّها تكره أن توصف بعد موتها وأثناء حملها إلى قبرها فتودُّ ألاّ يعرف الرائى عنها شيئاً أبداً، حين

تعلن الزّهراء (عليها السلام) هذه الحقيقه، فإنّه ليس عجيباً ولا مستغرباً منها، فهى قد أعلنت بالأمس وفى عهد ابيها الزاهر حين سُئلت عن أحبّ شيء تراه للمرأه فأعلنت قائله: «أن لا ترى الرّجل المحرم ولا الرجل المحرم يراها».

بهذا المبدأ المشرق من التّقوى تعيش الزّهراء (عليها السلام) وتوصى أن تعيشه بعد وفاتها حتى يضم رفاتها الطّاهر تراب الأرض.

وحين ترى أسماء بنت عميس تبرُّم الزهراء (عليها السلام) من عمليه حمل المرأه إلى قبرها بالشكل المعتاد يومذاك مع شرعيته تصف لها صوره نعش رأته فى الحبشه أيام هجرتها يُصنع من جريد النخل، وقد قامت أسماء بتصويره عمليا أمامها، فسرّت الزهراء لذلك وابتسمت، ولأول مره حيث اختفت عن ثغرها الإبتسامات منذ فقدت أباها الكريم محمداً (صلى الله عليه وآله).

وفى آخر يوم من أيامها تصبح الزهراء (عليها السلام) وقد بدا بعض التحسُّن على صحتها فيطمئنّ عليٌّ (عليه السلام) ويغادر البيت إلى المسجد ليؤدّى مهمّته فى حفظ الرّساله وشرعها القويم، وتتوضّأ الزّهراء (عليها السلام) للصلاه فتطلب إلى أسماء بنت عميس أن تأتيها بشيء من طيبها الذى تتطيّب به وملابسها التى تصلّى فيها، وتضع رأسها على وسادتها وهى تقول لأسماء: «اجلسى عند رأسى، فإذا جاء وقت الصّلاه فأقيمينى، فإن قمت، وإلّا فأرسلى إلى عليٍّ».

ويحلُّ وقت الصّلاه وتخاطب أسماء الصّدّيقه الزّهراء بقولها: «الصلاه يا بنت رسول الله».

ويخيّم الفزع على أسماء لأنّ الزّهراء لم تجبها بشيء وتبادر إليها فتكشف عن وجهها وهى تصيح: «يا بنت محمد المصطفى... يا بنت أكرم من حملته النّساء.. يا بنت خير من وطأ الحصى...».

فتراها وقد فارقت الحياه، ويدخل الحسنان فى هذه اللحظات الحاسمه من حياه بيت الرّساله ويسألان عن

أَمّهما، فتفاجئهما أسماء: أنّها قد فارقت الدُّنيا، وما اشد الصّدمه عليهما حينذاك لقد وقع الحسن على أَمّه ليقبّلها القبله

[صفحه ۱۳۲]

الأخيره، وهو يقول: «يا أُمّاه كلّمينى قبل أن تفارق روحى بدنى». ويقع الحسين (عليها السلام) عليها وهو يقبّل رجليها ويقول: «يا أُماه أنا ابنك الحسين كلّمينى قبل ان ينصدع قلبى»، وتلعب اللوعه دورها ويهيج الأسى فى بيت الرّساله وتستولى الأحزان عليه من جديد، وتطلب أسماء إلى الحسنين أن يخبرا أباهما بما حدث لأُمّهما.

ويسرعان إلى أبيهما والبكاء والحسره يعمران قلبيهما فيدنيان من مسجد جدّهما (صلى الله عليه وآله) وتجيش اللوعه فى قلبيهما بعنف، فيرفعا صوتيهما بالبكاء.

ويفاجأ المسلمون ببكاء الحسنين، وظنُّوا أنّهما تذكّرا جدّهما، فراح البعض يهدّىء من لوعتهما، ولكنّهما أعلنا النبأ المفزع نبأ افتقاد شجره الإمامه وغرس النبوّه حيث قالا: «أو ليس قد ماتت أُمُّنا فاطمه؟».

ويسمع علىٌّ هذا النبأ، فتضطرب نفسه، وتهزُّ المفاجأه كيانه، وهو يقول: «بمن العزاء يا بنت محمد؟ كنت بك أتعزّى، ففيم العزاء من بعدك؟».

وحين يعلن هذه الكلمات يرسم حدود قيمه المرأه المسلمه لدى زوجها إذا عاشت وإياه على صعيد المصير الواحد والهدف الواحد والرّساله الواحده، ثم ينشد علىٌّ (عليه السلام):

لكلّ اجتماع من خليلين فرقةٌ

وكلُّ الذى دون الفراق قليل

وإنّ افتقادى فاطماً بعد أحمد

دليل على أن لا يدوم خليل

وحين ينشد هذين البيتين يعلن تجلُّده على المصاب الأليم، إذ أنّ لكلّ اجتماع فرقه، وهو حين يعلن هذه الحقيقه ينهل بذلك من منهل الوحى: «كلُّ من عليها فان» وهذا ليس غريباً على علىّ بن أبى طالب (عليه السلام) لأنّ فكره وسلوكه

وعواطفه قد صقلها الإسلام فعاد إسلاماً يسير على الأرض.

ويدوّى أصداء النبأ المؤلم فى آفاق عاصمه الإسلام «المدينه المنوره» وتمتلىء نفوس المسلمين أسىً وتزحف جموعهم إلى بيت الرّساله حامله تعازيها إليه، ولساهم فى عمليّه تجهيز الزهراء (عليها السلام) لحملها إلى مثواها الأخير، وحين تسرع الجموع الغفيره للإشتراك فى مراسيم تجهيز الزهراء (عليها السلام) فإنّما قد أملى ذلك عليها عوامل أساسيّه.

أوّلها الإلتزام بمبدأ الأُخوه الإسلاميه الذى يفرض مشاركه المسلم لأخيه المسلم،

[صفحه ۱۳۳]

انطلاقاً من قول الرّسول الأكرم (صلى الله عليه وآله): «مثل المؤمنين فى توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى». وقوله (صلى الله عليه وآله): «من لم يهتّم بأُمور المسلمين فليس منهم» وقد جاءت جموع المسلمين استجابه لهذا المفهوم الوضّاء.

ثانيها إنّ معرفه المسلمين لقيمه فاطمه الزّهراء (عليها السلام) عند الله ورسوله دفعتهم للمساهمه فى تجهيزها بعد موتها سيّما وأنّ أقوال الرسول (صلى الله عليه وآله) ما زالت ترنُّ فى آذانهم حيث يقول: «فاطمه بضعه منّى...».

وغير ذلك من مئات التّصريحات التى أولى بها الرسول القائد (صلى الله عليه وآله) بشأن تقييم فاطمه (عليها السلام) ولهذا السبب هرعت الجموع المسلمه لتشارك فى تجهيز جزءٍ من قائدها محمد (صلى الله عليه وآله) يتمثّل ببضعته الطّاهره.

وقد عمّ الوجوم أجواء المدينه وكافه بيوتها ومجالات عملها وحضر كبار الصحّابه كابى بكر وعمر وغيرهما للمشاركه فى علميّه التّشييع والصّلاه على الصّدّيقه الطّاهره.

وبعد ساعات من الوجوم والالآم والكآبه صرّح ناطق بلسان البيت العلوىّ بأنّ دفن الزهراء (عليه السلام) تأجّل هذه العشيّه، وكان الناطق أبا ذر الغفارى رحمه الله تعالى وما أن تستمع

الجماهير إلى نبأ تأجيل الدّفن إلاّ وتتفرّق وهى على موعد آخر للتّشييع والدّفن.

ويبادر علىٌّ لتنفيذ وصايا الزهراء برمّتها فيعمد هو وأسماء بنت عميس إلى تغسيلها، والحسنان يريقان الماء على جسدها الطاهر، واللوعه تأخذ بمجامع قلوبهم جميعاً وبعد أن أدرجها علىٌّ (عليه السلام) فى أكفانها وقبل أن يعقد الرداء نادى: حسناً وحسيناً وزينب وفضّه وأُمّ كلثوم ليلقوا النّظره الأخيره على أُمهم الطاهره فاطمه الزهراء (عليها السلام) فضجُّوا بالبكاء عليها والحنين إليها.

وكان الحسنان يقولان: «واحسرةً لا تنطفى أبداً من فقد جدّنا محمد المصطفى وأمُنا فاطمه الزهراء».

وبعد لحظات من التّوديع المشوب بالحسره والآهات عقد علىٌّ عليه السلام رداء الكفن وقد هاجت به أحزانه فأنشد يقول:

[صفحه ۱۳۴]

فراقكِ أعظم الاشياء عندى

وفقدكِ فاطم أدهى الثكول

سابكى حسرةً وأنوح شجواً

على خلٍّ مضى أسنى سبيل

ألا يا عين جودى وأسعدينى

فحزنى دائم أبكى خليلى [۶۸].

ويمضى من الليل شطره، فيأمر علىٌّ (عليه السلام) بحملها إلى مثواها، فيحملها علىٌّ والحسن والحسين وعقيل وعمّار والزُّبير وأبو ذرّ وسلمان والمقداد وبريده وجماعه آخرون من بنى هاشم بعد الصّلاه عليها، ويعدُّون لها قبراً فى بيتها [۶۹] وينزلها علىٌّ (عليه السلام) فيه وبعد أن ينفض يديه من تراب القبر تهيج به الحسره ويرسل دموعه على شفير قبرها، وهو يقول:

«السلام عليكَ يا رسول الله عنّى وعن ابنتك النازله فى جوارك والسّريعه اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيّتك صبرى ورقّ عنها تجلُّدى، ألا إنّ لى فى التأسّى بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعزٍّ، فلقد وسدتك فى ملحوده قبرك وفاضت بين نحرى وصدرى نفسك، فإنا لله وإنّا

إليه راجعون. فلقد استرجعت الوديعه وأَخذت الرّهينه، أمّا حزنى فسرمد، وأمّا ليلى فمسهّد إلى أن يختار الله لى داركَ التى أنت بها مقيم، وستنبئك ابنتك فأحفها السُّؤال واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهدُ ولم يخلف الذّكر، والسّلام عليكما سلام مودّع لا قالٍ ولا سئم، فإن أنصرف فلا عن ملاله وإن أُقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصّابرين...» [٧٠] .

بهذه الكلمات الطافحه بالالآم يودّع علىٌّ (عليه السلام) زهراءه الحبيبه، إنّها كلمات تهزُّ النُّفوس وتخفق لها القلوب وتدمع العيون؛ إنّها الكلمات الحارّه، كلمات الأسى التى تعلوها الشكوى للقائد محمد (صلى الله عليه وآله) مما آل إليه أمر علىٍّ وأمر الزّهراء بعد أبيها.

ولم يجد علىٌّ (عليه السلام) عزاءً غير أن يتأسّى بمصابه الأول، بمصاب الحبيب محمد (صلى الله عليه وآله) لأنّ مصيبه افتقاد محمد أشدّ وقعاً فى نفس علىّ (عليه السلام) من افتقاد فاطمه (عليها السلام) ولذا وجد فى مصابه بمحمد خير معوانٍ له على مصابه الجديد، ولكنّه يقرن هذا التاسّى المرّ بحزن دائم وليل مسهّد لا تنطفىء فيه نار اللوعه والحسرات أبداً، حتّى يلتحق بأحبّائه فى دار الخلود.

[صفحه ١٣٩]

ويفارق علىٌّ (عليه السلام) قبر الصّدّيقه الطّاهره، ولكن بعد أن أعلن أنّه يودّع القبر لا عن سأم ولا كراهيه، ولا ملل، ولكنّه استجابه لتعليم الرّساله بالتزام الصبّر، ويفارق وهو أشدُ ما يكون ثقه بأنّ ربّه سيلحقه بدار الخلود مع محمد (صلى الله عليه وآله) وزهرائه الطّاهره (عليها السلام).

اضواء على تراث الزهراء

تمهيد

تُعرف قيمهُ الإنسان بما يقدّمه للأجيال التى تعاصره أو تعقبه من عطاء حضارى يُدلها على السّبيل الذى يجب أن تلتزمه فى حياتها،وتتفاعل معه، ويرفعها إلى مستواها اللائق تحت الشّمس.

وأقول: العطاء

الحضارى، لأنّ النّوع الإنسانى مجبول على التّفاعل مع الكون بما فيه من قوىً وطاقاتٍ بدافع حبّ الإستطلاع والتملّك، ومع أبناء جنسه بدافع غريزه التجمع الفطريه المركوزه فى كيان الإنسان.

وهذا التفاعل بشتّى شطريه: «مع الكون أو الإنسان» يحتاج إلى التّنظيم والصّقل، ابتعاداً عن الإضطرابات والنّزاع والحروب والبغضاء بين أبناء النّوع الإنسانى، وهذا التّنظيم لا يتمُّ بطبيعه الحال بصفه ميكانيكيه عن طريق استعمال أدوات خاصّه تتحقّق على يديها المعجزه معجزه التّنظيم فى كيان المجتمع الإنسانى وإنّما يتمُّ ذلك عن طريق واحد: هو الفكر، هو التشريع، هو التقاليد التى يتبنّاها النّاس وينضوون تحت لوائها، لأنّها وحدها التى تنظّم حقوق الفرد والمجتمع وواجباتهما.

ولمّا كانت الحضاره المفاهيم عن الكون والحياه والإنسان ونحوها هى

[صفحه ۱۴۰]

وحدها التى تستطيع أن تنهض بهذه الأعباء الجسيمه، فلا بدّ أن يكون افتراضنا وقعيّاً ومنطقيّاً، حينما قلنا: إنّ قيمه الإنسان تتمثّل بعطائه الحضارى.

وتحت نقطه أُخرى يجب أن نلتفت إليها بهذا الصّدد، إنّ الإنسان الّذى لا يتبنّى مبدءاً فى حياته يعيش من أجله ويخضع لمتطلّباته ويكافح فى سبيل تطبيقه أو تثبيته أو نشره فى الأرض، هذا الإنسان لا تختلف حياته عن حياه البهائم على الإطلاق حيث أصبح همُّه أن تمتلىء معدته أو يؤنّق لباسه فيعيش كما يحلو له، وهذا الصّنف من النّاس صفعهم القرآن وهو منهج خالق الإنسان بقوله «... والذين كفروا يتمتّعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنّار مثوىً لهم» [۷۱] .

ولهذا ترى القاده من أهل البيت (عليهم السلام) نهجوا السّبيل الذى جعلهم يعيشون من أجل المبدأ الإسلامى القويم حيث أخضعوا كلّ متطلّبات حياتهم لصالح منهج الله سبحانه،

فانطلقوا يتحدّثون باسم المنهج ويسلكون ما رسمه ويفكرّون فى حدود معالمه القويمه.

والزهراء (عليها السلام) مدرسه الإمامه وغرس النبوّه كانت على المستوى ذاته، فأوقفت حياتها الرُّوحيه والفكريّه والجسميّه خدمةً للرّساله وذوداً عن حياضها.

وقد ضربت فى ذلك أروع الأمثله وأنصعها، وممّا يجلى هذه الحقيقه النّاصعه: الرُّجوع إلى تراثها الفكرىّ الضخم الذى خلّفته لأجيال الأُمّه الإسلاميه ضاربةً لهم أروع الأمثله فى الذّود عن حياض الرساله وتبيان معالمها القويمه. ولعلّ الباحث فى حياه الصّدّيقه الزهراء لا يجد فى تراثها الحضارى الضّخم أعظم من خطبتها التى ألقتها فى مسجد أبيها، والتى لو ورثناها وحدها منها لدلّت بوضوح وجلاء على عظمه شخصيّه الزهراء (عليها السلام) لأنّها قد جسّدت كلّ آرائها ومناهجها التى استقتها من منهل الوحى المقدّس.

والمتتبّع التّأريخى لحياه الزهراء لا يمكن أن يفصل خطبتها عنها، لأنّ خطبتها أضخم رصيد لفهم شخصيّتها على الصّعيد الواقعى والمنطقى ولذا فليس بدعاً من الأمر أن نخصّص فصلاً خاصّاً لألقاء الأضواء على بعض جوانب خطبه

[صفحه ۱۴۱]

الزهراء (عليها السلام) لمعرفه أبعاد شخصيتها الفذّه ومدى هظمها لمنهج السّماء المبارك، واستيعاب معالمه الرئيسه.

وحين نؤكّد هنا أهميّه خطبه الزهراء لا نريد بذلك، أن نجرّد الزهراء عن باقى تراثها الحضارىّ الضخم، ذلك لأنّ التأريخ قد أتحفنا بكثير من النُّصوص التى باستطاعتنا أن نستقى تراثها الحضارىّ منها، ولكنّنا وجدنا أنّ أبرز شىء فى تراثها: خطبتها التى ألقتها فى مسجد أبيها فى مطلع خلافه أبى بكر.

كما أنّ هذه الخطبه قد جمعت كلّ تراثها وفهرسته فى آنٍ واحد، وهذا ممّا حدا بنا أن نلقى أضواءً على بعض جوانب الخطبه الرائعه التى جمعت كما يتّضح أروع المفاهيم الإسلاميه

فی الحکم والمجتمع ومعالم التّشریع الإسلامی الرّصین. وسنورد بعض نصوصها إبقاءً لغرضنا فی البحث.

[صفحه ۱۴۳]

ابعاد الجاهلیه

«... فرأی الأُمم فرقاً فی أدیانها، عُکّفاً علی نیرانها، عابدهً لأوثانها، منکرهً لله مع عرفانها، فأنار الله تعالی بأبی محمد ظُلمها، وکشف عن القلوب بهمها وجلی عن الأبصار غممها، وقامَ فی النّاس بالهدایه، وأنقذهم من الغوایه، وبصّرهم من العمایه، وهدادهم إلی الدّین القویم، ودعاهم إلی الصّراط المستقیم...».

هذا مقطعٌ قصیر من خطبه الزهراء (علیها السلام) والذی نحن بصدد بسط مفاهیمه النّاصعه.

والباحث المتتبع حین یستقریء هذه الکلمات الوضّاءه یقطف أشهی الثّمار منها، فیستنبط مفهوماً إسلامیاً رائعاً عن الجاهلیّه التی رزحت البشریّه تحت أعبائها الثقیله، قبل بزوغ شمس الإسلام الحنیف علی ید الرسول العظیم محمد (صلی الله علیه وآله).

فالزهراء (علیها السلام) تفهرس لنا حیاه البشریّه برمّتها قبل أن یصدع أبوها القائد برسالته السّماویّه المبارکه، فهناک الّذین فرقوا دینهم شیعاً وأخضعوه لمتطلبات شهواتهم ورغباتهم کالیهود والنّصاری.

وهناک العاکفون علی الأوثان الخاضعون للأصنام التی صنعوها بأیدیهم واتخذوها آلههً من دون الله سبحانه، معتقدین بقدرتها علی الخلق والإبداع والرّزق والتوفیق والنّصر.

[صفحه ۱۴۴]

وهذا ما کانت علیه الجزیره العربیّه حیث دان العرب لهذا النوع من التدّین، فملؤا بیت الله الحرام برکام من الأحجار والصُّخور، دعوها آلههً تقرّبهم بزعمهم إلی الله زلفی.

وإلی جانب هذا المنهج المادیّ الطائش نشأت عباده النیران والإنصیاع لها والسّیر وفقاً لمنهج خرافی هابط یعزز مفهوم هذه العباده الخرقاء، وقد رزحت بلاد فارس تحت هذا النّوع من التدیُّن الأجوف علی ید الدّین المجوسیّ.

وإلی جانب هذه الأنواع من الأدیان الوضیعه نشأ خلیط من الأدیان، سارت علیه الدّوله البیزنطیه التی

تمثل المعسكر الغربى للعالم يومذاك حيث خلطت مفاهيم الكنيسه المسيحيّه مع المفاهيم الوثنيّه الماديّه مما كون خليطاً جاهليّاً جديداً فى عالم الأديان الترابيه.

وعلى ضوء ما رسمته الصدّيقه الزهراء (عليها السلام) هنا نستطيع أن نستنبط النقطتين الآتيتين:

١ إنّ الأديان والمناهج الفكريه والإجتماعيه التى تتمخض عن تفكير الإنسان، أو التى أضافها الإنسان إلى بعض الشرائع السالفه، كلّ ذلك يؤلّف جاهليه واحده، وإن تعدّدت أشكالها وألوانها، لأنّ الجاهليه فى منطق الزهراء كما يبدو وهو الإبتعاد عن منهج الله الذى بشّر به الرُّسل والأنبياء عليهم السلام وتطبيق سواه على واقع الإنسان الكفرىّ والعملىّ، سواءً أكان ذلك ديناً وثنياً ماديّاً أو خليطاً من مفاهيم سماويّه وأُخرى وضعيّه، حيث عبّرت الزهراء (عليها السلام) عن الواقع بما فيه الدّين اليهودى والمسيحىّ بالظُّلم والغمم والبهم والغوايه والعمايه، وهذا يدلُّنا بوضوح على أنّ الدّيانتين السابقتين خاضعتان للأنحراف أيضا، وإلّا لماذا وصفتهما الزّهراء (عليها السلام) بالعمايه والغوايه ونحوها من النُّعوت دون استثنائهما؟

فاليهوديّه والنّصرانيّه كانتا فى ذلك العهد قد صفّيت حساباتهما، وانحرفتا عن السّمه الإلهيه الأصيله.

٣ حين تعلن الزهراء (عليها السلام) أنّ المناهج كلّها قد انحرفت عن منهج الله سبحانه وأُصيبت بداء الغوايه والعمايه على حدّ تعبيرها يدلُّنا هذا على أنّها إنّما أرادت أن

[صفحه ١۴۵]

تعلن للجاحدين أنّ أباها لم يأتِ برسالته السّمحاء إلا عن طريق واحد، هو طريق الوحى المقدّس طريق السّماء والإصطفاء والنبوّه وليس عن طريق بلورةٍ وتفاعل للمفاهيم الدينيّه السّائده، وصبّها فى قالب جديد، ذلك لأنّ المفاهيم الدينيّه السّابقه قد انحرفت جميعاً عن منطق الحق والإستقامه؛ فكيف

تقوى إذا مزجت وبلورت على خلق نظام متناسق كرساله الإسلام المقدّسه وهذا ما يجعل العقول البشريّه تطمئن إلى كون رساله محمد (صلى الله عليه وآله) وتعاليمه وتلقيناته قد تلقّاها من السماء بعيداً عن أوضار الجاهليه وآفاق الأرض وانحرافاتها.

وحين ترسم الزهراء (عليها السلام) هذه الحقيقه النّاصعه تنطلق فى مقطع آخر من خطبتها الرائعه لتبيان الملابسات التى اتّسمت بها الجاهليّه فى الجزيره العربيه، فهى قد أعطت القاسم المشترك للجاهليّات المتمثّل برفض منهج الله واستبداله بنتاج العقول البشريّه القاصره، ثم انطلقت لتبيان السمات الأُخرى التى تختص بها جاهليّه الجزيره العربيه، فضلاً عن اشتراكها مع غيرها بسمه الخروج عن حكم الله ومنهجه، فتقول مخاطبه العرب: «... وكنتم على شفا حفره من النار، مذقه الشّارب ونهزه الطّامع وقبسه العجلان، وموطىء الأقدام؛ تشربون الطرق، وتقتاتون القدّ، أذلةً خاسئين تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله بأبى محمد...».

وفى هذا المقطع الجديد من خطبه الزهراء (عليها السلام) تنعكس أمامنا صوره واقعيه لظلامات الناس فى الجاهليّه التى أطبق ليلها على الجزيره العربيه قبل أن يشع نور الهدايه الساطع.

ونستطيع هنا أن نميز النقاط الآتيه:

١ إبتعاد العرب نهائياً عن ظلال الحق والواقع، مما جعلهم يقفون على شفير الهاويه، وذلك نتيجه عدم استظلالهم بنور الهدى الذى جاءهم على يد الرسول الكريم إبراهيم وابنه إسماعيل (عليهما السلام) وتحويلهم رساله السماء وتعاليمها الى عباده لأوثان صنعوها من الحجاره، وملأوا بها بيت الله الحرام بحجه أنها تقربهم الى الله زلفى.

٢ تفرّقهم المرير وعدم قدرتهم على التجمُّع حتى على أساس قومى، فكانت

الحروب الدّاميه تدور رحاها بينهم، ومنها ما يستمرُّ عشرات السنين بين قبائلهم المتناحره على الماء

والكلأ، مما جعل الإستيلاء عليهم أمراً لا يحتاج إلى بذل كثير من جهد: «مذقه الشّارب، ونهزه الطّامع، وقبسه العجلان، وموطىء الأقدام».

فهم هدف لكلّ غازٍ ومستعمر وفاتح، فقد غزاهم الأحباش واستعمروا بعض أراضيهم، أُسوه بالفرس والرُّومان، فالذّله والمسكنه والوهن كانت صفه ملازمه للعرب فى جزيرتهم، لا حول لهم ولا طول فى إقامه مجتمع أو إنشاء أُمّه أو دفاع عن حمىً أو وطن من الغزاه.

٣ حالتهم المعاشيه منحطّه لا نظير لها، نظراً لصحراويه أرضهم، وقلّه مواردها المائيه مما جعلهم يشربون المياه الآسنه التى لا تصلح أن تكون صالحه لشرب البهائم فضلاً عن الإنسان، سيّما وهى من مياه الأمطار التى تجتمع فى بُقع واطئه من الصّحراء، مكوّنه واحاتٍ وقتيه يسرع إليها الناس لسدّ حاجاتهم وحاجات مواشيهم، وقد تتعرض دوماً لخوض الإبل وبرازها وبولها وهذا ما وصفته الزّهراء (بالطرق).

ثم تعرّج عليها السلام لتتحدث عن غذاء القوم فى جاهليّتهم، فتصفه وصفاً دقيقاً بقولها: «وتقتاتون القدّ» إذ كان العرب يقتاتون جلد المعزى لسوء حالتهم المعاشيه.

وحين تنزل أُمّه إلى المستوى الذى يجعلها تتناول جلد الماعز غداءً تسدُّ به رمقها، فإنّها قد بلغت على هذا الاساس مستوىً اقتصاديا لا مثيل له فى قاموس الإنحطاط.

والزهراء (عليها السلام) حين تصوّر لنا حياه العرب، فإنّما تصوّرها بصفه جماعيّه لا اجتماعيّه، لأنّ المجتمع العربى الجاهلىّ لا يخلو من فئه يعدُّ أفرادها بالاصابع قد بلغت مستوىً من الثّراء، وهؤلاء يمكن العثور عليهم فقط فى مكّه المكرّمه، أما سائر أقاليم الجزيره العربيه فلا تخرج على الإطلاق عن الإطار الذى رسمته الزهراء آنفاً، فالحياه بصفه عامّه حياه طرقٍ وقدٍّ، وهكذا كان حديث الزهراء (عليها السلام) حديثاً اجتماعيّاً

بحتاً يصف الانسان العربى وظروفه فى ظلال الجاهليّه الهوجاء، وقبل حدوث العمليّه التحريريّه الكبرى التى حقّقتها رساله الإسلام.

وحين ترسم الزهراء هذه الحقيقه التأريخيه الناصعه أمام مخاطبيها والأجيال الإسلاميه، تنطلق بعد ذلك لرسم معالم الشريعه الإسلاميه بكل دقه وإيجاز:

[صفحه ۱۴۷]

فلسفه الإسلام فى منطق الزهراء

اشاره

«... فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشّرك، والصّلاه تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاه تزكيه للنّفس ونماء فى الرّزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدّين، والعدلَ تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّه، وإمامتنا أماناً من الفرقه، والجهاد عزّاً للإسلام وذلاً لأهل الكفر والنّفاق، والصّبر معونهً على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر مصلحهً للعامه، وبرّ الوالدين وقايهً من السُّخط، وصِلَه الأرحام منسأهً فى العمر ومنماهً فى العدد، والقصاص، حقناً للدّماء، والوفاء بالنّذر تعريضاً للمغفره، وتوفيه المكاييل والموازين تغييراً للبخسه، والنّهى عن الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنه، وترك السّرقه إيجاباً للعفّه، وحرّم الله الشّرك إخلاصاً له بالربوبيّه: «فاتّقُوا الله حقّ تقاته، ولا تموتُنّ إلا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عَنهُ، فإنّما يخشى الله من عباده العلماءُ...»

فى هذا المقطع الوضّاء من الخطبه ترسم الزهراء (عليها السلام) الحقيقه الكبرى التى امتاز بها الإسلام عن سواه من الشرائع: فى كونه عقيدهً ونظاماً ومنهجاً فهرس الحياه الإنسانيّه برُمّتها، وبرمج متطلّبات النّوع الإنسانى بهيكل تشريعى ضخم، طرق باب كلّ مشكله من مشاكل الحياه الإنسانيه، وتوفّر على حلّها بما يتناسب والمصلحه وبما يتماشى والحكمه.

[صفحه ۱۴۸]

وهذه الحقيقه الكبرى التى امتاز بها منهج الله تعالى قد أغفلها الكثيرون من أبناء الأُمّه الإسلاميه، تأثراً بالحضاره الغربيّه الغازيه التى فصلت الدّين عن الحياه. وعلى هذا الأساس ردّد

أبناؤنا صدى أفكار أعدائهم فراحوا يسمُّون دينهم بدين الكنائس والمساجد، فليس بمقدوره بل وليس من اختصاصه أن ينشىء أُمّةً، أو يخلق مجتمعاً لأنّ وظيفته بزعمهم محصوره فى إطار المساجد والطُّقوس العباديه.

ونحن بدورنا حين نستقرىء جانباً من خطبه الزّهراء (عليها السلام) يتّضح لنا أنّها حين تحدّثت عن فلسفه الإسلام وإطاره العام لم تكن لتستهدف اقناع مخاطبيها أنّ فى الإسلام نظاماً يهذّب الفرد، وينظّم الجماعه، ويقيم الدّوله، وإنّما كان ذلك أمراً بديهيّاً فى حديثها، بل من الأُمور التى لا يرتاب فيها مسلم، مهما انخفضت درجه إيمانه بالإسلام يومذاك، ولذا فإنّ الزّهراء (عليها السلام) استعرضت معالم الإسلام وتعليماته كوسيله لتبيان حقيقه أُخرى ترتبط بالحقيقه الأُولى، إذ كان همُّها أن تبيّن الأهداف السّاميه التى من أجلها كان التّشريع الإسلامى بهذا الشكل لا بسواه، بل إنّها أرادت أن ترسم العلل التى من أجلها حدّدت معالم الرّساله الإسلاميه بهذه الصيغه المعلومه لا بسواها.

ولا بدّ لنا أن نلّم إلمامةً سريعه بالمفاهيم الإسلاميه التى طفحت بها هذه التحفه التى منحتها الزّهراء لأجيالنا الإسلاميه المتعاقبه وبمقدورنا أن نستنبط النقاط التاليه على ضوئها:

الجانب العقيدى

يعتبر جانب العقيده فى كلّ رساله أو مذهب اجتماعى الحجر الأساس الذى تبتنى عليه معالم الرساله وتحدّد على ضوئها أُطرها ومقوّماتها...

وانطلاقاً من هذه الحقيقه الثابته، إنطلق الإسلام فى تثبيت جانب العقيده فى نفوس الجماعه من أتباعه، وأنفق وقتاً وجُهداً كبيراً خدمه لهذا الجانب فى موكب دعوته الهادر. ولهذا توفرّ القرآن الكريم وهو دستور المنهج الإلهى على دراسه واسعه جدّاً للعقيده، أوقف خلالها زهاء ثلاثه أرباعه، خدمةً لها وتثبيتاً لمعالمها. وقد نبض بهذا العامل القرآن المكّى خصوصاً إذ كان الإيمانُ بالله

ورسوله واليوم الآخر هى الأوتار الحسّاسه التى أهتمّ فى الضّرب عليها. وبعد تثبيت هذه القواعد الرّصينه انطلق الوحى المقدّس لرسم معالم التّشريع الإجتماعى والإقتصادى والعسكرى وغيره، لكى تكون هذه الجوانب قد امتلكت قاعدتها الصُّلبه التى تستند عليها فى تحقيق أهدافها فى حياه النّوع الإنسانى.

وإبرازاً لهذه الحقيقه دشّنت الزهراء (عليها السلام) حديثها عن الإسلام مبتدئه بالإيمان: «فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشّرك...»

فهى تؤكد لنا أنّ الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر الذى أوجب الله الإلتزام به كعقيدهٍ رصينه للمسلم يمثّل المناعه الطبيعيه التى يمتلكها المسلم لدرء وباء الشّرك الذى يزلزل العقيده القويمه ويهدّد كيانها بالإنهيار، فيصاب العقل والفكر والرّوح بعاهه يفقدها التوازن، لأنّ الشرك والإيمان لا يمكن أن يجتمعا فى كيان إنسان واحدٍ أبداً، لأنّهما مفهومان لكلٍّ منهما معالمه التى تسيطر على العقل والروُّح، فإذا دخل الشّرك عقليه المسلم فإنّ ذلك يعنى أن قوى الإيمان قد انسحبت من المنطقه التى احتلّتها قوى الشّرك فى ذهنه، ولذا كان الإيمان الرّصين إبادةً لجراثيم الشّرك بالله سبحانه فى عقليه المسلم.

والمشرك على هذا الأساس من يستهدى فى حياته الفكريه أو العمليه منهجاً غير منهج الله تعالى، أو من يخلط بين مفاهيم الرساله الإسلاميه وغيرها من نتاج الجاهليّه الهوجاء.

وحين تفتتح الزّهراء (عليها السلام) حديثها عن الإسلام بالحديث عن الإيمان وفلسفته وبصفته الركيزه الأُولى التى يقوم عليها المبدأ الإسلامى الحنيف، تنطلق بعد ذلك لتحديد معالم الإسلام فتختتم حديثها عنها بالتحدُّث عن الإيمان أيضاً: وحرّم الله الشرك، إخلاصاً له بالربوبيه فاتقوا الله حقّ تقاته، ولا تموتُنّ إلا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنّما يخشى الله من

عباده العلماء...».

فهی تعلن حرمه الشّرک الذی لا تتحقق العبودیه المطلقه لله فی کیان المرء إذا دخل فی نفسه، ثم تعلن فلسفه تحریمه التی تنسجم ومتطلّبات الإیمان الصّحیح، وأن تحریمه کان حفظاً لمبدأ العبودیه المطلقه لله سبحانه، وتأکیداً لربوبیّته فی الأرض: فی

[صفحه ۱۵۰]

الفکر والعمل والعواطف، ثم تنطلق لتحذّر من مغبه الشّرک: «فاتقوا الله حقّ تقاته، ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون...».

حیث ألزمت الامه والأجیال القادمه بالسّیر علی منهج الله بعیداً عن المتاهات والزّیغ، ولا یتُّم ذلک الا بالسّیر وفقاً لمفهومی الحلال والحرام الاسلامیین، لأنهما وحدهما اللّذان یمثلان المقیاس الثابت الّذی یزن المرء بهما سلوکه وتصرفاته وکافه ألوان نشاطه فی حیاته.

وهذان المفهومان قد عبّرت عنهما الزّهراء بأمر الله ونهیه کما دلّ علیه قولها : «وأطیعوا الله فیما أمرکم به ونهاکم عنه فإنما یخشی الله من عباده العلماء...».

الاطار المذهبی

وبعد هذا التحلیل الدّقیق لمفهوم الإیمان ومقوّماته، تنطلق الزهراء (علیها السلام) لتشید البنیات الفوقیه لهذا الإیمان الرّصین، البنیات الفوقیه التی تنسجم مع قاعده الإیمان وتنهل من معینه لکی تخلق الفرد الصّالح والمجتمع السّعید والإنسان العزیز، وفقاً لمناهج عملیّه تنسجم مع الفطره وتوائم المیول النفسیّه والروحیّه والجسدیّه. وحین تنطلق الزهراء (علیها السلام) لتبیان الهیکل العام للمذهب الإسلامی فی المشاکل الفردیه والإجتماعیه إنّما تنطلق لاستعراضه بصفته حقیقه متفقاً علیها ولذا راحت ترسم هذا التّشریع تأصیلاً لهذه المفاهیم وتثبیتاً لأُطرها، وهذه الحقیقه تجعلنا نکون أکثر وثوقاً من أنّ الأُمّه الإسلامیه فی مطلع تاریخها کانت تفهم الإسلام بصفته رساله کبری تقوم علی فلسفه للکون والحیاه ودستور للإجتماع والإقتصاد وطریقه فی الحکم والسّیاسه ومنهج للعمل والتفکیر ومبدأ ثابت تبتنی علیه الحیاه الإنسانیه للفرد والأُسره

والمجتمع والـدّوله، أما الفصام النّكد الذى وجد اليوم فى ذهنيّه أكثر أبناء الأمّه الإسـلاميه بين الدّين والحياه فإنّما هو بدعه غربيه ومؤامره صليبيه ستنجلى ظلمتها بعد حين «ويأبى الله إلا أن يُتم نوره ولو كره الكافرون» [۷۲] .

[صفحه ۱۵۱]

لأنّ تباشـير الوعى لهـذه الحقيقه حقيقه هـذا الـدّين وهـذه الرساله الخاتمه لاحت فى الأُفق وراح كثير من شـباب أُمتنا الإسـلاميه يعون الإسـلام كمـذهب اجتماعى وكيان تشـريعى ضـخم امتدّ إلى جميع مجالات الحياه، ولوّنها بصـبغه خاصه بعيده عن الصّفه الترابيه التى اصـطبغت بهـا المـذاهب الوضـعيه الجائره عن الفطره، ونحن حين نبحث فى حياه الزّهراء بل تراثها الإسـلامى العظيم إنما نقدّم بذلك دليلاً عمليّاً لمن يجهل حقيقه الإسلام ليتّضح له بصفته ديناً وتشريعاً عقيده ومنهجاً ونظاماً.

وهـا نحن أُولاء نلقى أضواءً كاشـفه على مقطع عظيم من خطبه الزّهراء (عليهـا السـلام) وهى تسـتعرض للأُمه وأجيالهـا القـادمه حقيقه الرّساله الإسلاميه:

والصلاه تنزيها لكم عن الكبر

فالصّلاه فى منطق الزّهراء (عليها السـلام) رفع للإنسان من حضـيض التكبّر إلى مستوى التّواضع، وهى حين تعلن هذه الميزه التى اتّسـمت بها الصّلاه فإنّما تجسّد لنا واقع الصّلاه وقيمتها على الصّعيد العبادى والإجتماعى، فالصّلاه ابتداءً صله روحيه بين الإنسان وخالقه، تتّخذ طابعاً خاصّاً من الدُّعاء والتجرُّد، ولوناً متميزاً من السُّلوك، فحين يقف المرء أمام خالقه الكبير يعلن اعترافه بربوبيّته وحاكميّته المطلقه. وبعد هذا الإعتراف يعلن مطالبه من ربه، ممثله بطلب عونه: «إيّاك نعبد وإيّاك نستعين».

والإعتراف بالعبوديه لله سـبحانه وتعالى يرسم للمسـلم الواقعى صورهَ حياه مثاليّه متعدده الجوانب، مطبوعه بطابع الخضوع المطلق للعزيز الحكيم، فهى ليست اعترافاً بالله كخالق للكون والحياه فحسب وإنّما هى عمليّه يعلن

الإنسان فيها أنّ الوجود كلّه لله سبحانه. وأنّ الحاكميّه المطلقه فى خلقه له وحده، فلا مشرّع لهذا الإنسان غير الله سبحانه، فهو وحده الذى يعلم ما يصلحه وما يفسده وما يرفعه وما يضعه.

وبعد هذا الإعتراف بالله سبحانه وصفاته المقدّسه، يقف المرء أمام ربِّه، وبهذا اليقين المطلق ليسأله العونَ والهدايه، وهذه العمليه تتكرر خمس مرات فى كلّ يوم لتكون مصدراً لتربيه النّفس والوجدان على الخضوع لله سبحانه، الخضوع

[صفحه ۱۵۲]

المستمر، ولتطبع حياه الإنسان كلّها بطابع هذا الخضوع. ومن ثم فإنّ تكرار هذه العمليه يشكّل مناخاً صالحاً لصقل نفسيّه المسلم ومشاعره صقلاً ينسجم وأوامر الله ونواهيه لينطلق المسلم بعدها، وهو أكثر قدره على تطبيق منهج السّماء وحمله والتبشير به.

وقد رسم القرآن الكريم هذه الحقيقه حين أعلن: «إنّ الصلاه تنهى عن الفحشاء والمنكر».

وهنا تتجلّى الحقيقه التى تجعل من الصّلاه مفتاحاً لخلق لون خاص من السُّلوك بعيد عن المتاهات والإنحرافات والطّيش والضياع كما تخلق مناعةً طبيعيه لمواجهه جراثيم الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

وبعد اتّضاح قيمه الصّلاه الكبرى فى خلق الشخصيّه الإسلاميه، نقف على الحقيقه الكبرى التى رسمتها الزهراء (عليه السلام) أمام الأجيال الإسلاميه المتعاقبه حيث جعلت الصّلاه الفريضه الأُولى التى تعقب الإيمان بالله سبحانه فى برمجتها لمعالم الرّساله الإسلاميه العظيمه.

وينكش لنا السُّر بعد ذلك الذى جعل الزهراء (عليها السلام) تعتبر الصّلاه عمليّه تهذيب من الكبر والخيلاء، ولأنّ المرء يشعر فى قراره نفسه أنّه وكلّ موجود فى هذا الكون البديع يقفون على صعيد العبوديّه المطلقه لله وحده .

والإنسان فى الوقت الذى يستشعر العبوديه لله وحده فى نفسه يحسُّ بالتّحرُّر المطلق من كلّ عبوديّه

لغير الله تعالى، فالإنسان وسائر أبناء جنسه يعيشون فى إطار يحمل منتهى العبوديّه لله الكبير المتعال، وفى الوقت ذاته يعيشون على صعيد واحد من الكرامه والسؤدد، فلا بدّ إذن أن تلغى كلُّ معالم الخيلاء والتكبُّر من المجتمع الذى يعيش فى إطار الرساله الإسلاميه الكريمه، وعمليّه الإلغاء لصفه التكبُّر فى نفسيات الأفراد بعضهم على البعض الآخر، لا تتمّ إلا عن طريق الشعور بالخضوع لله وحده، وهذا الخضوع يتجسّد سلوكاً ثابتاً فى نطاق الصّلاه التى رسم الإسلام حدودها، وبيّن معالمها وإطارها، ولهذا السّر عينه تنطلق الزّهراء (عليها السلام) لتؤكّد للأُمّه بامتدادها التأريخى: أنّ الصّلاه تنزّه الفرد والمجتمع من أدواء الخيلاء والغرور والاحتيال، انطلاقاً مما تبثُّه الصّلاه من إشعاعات روحيّه واجتماعيه فى نفسيّه الإنسان المسلم ومجتمعه.

[صفحه ۱۵۳]

والزكاه تزكيه للنفس ونماء فى الرزق

وحين تستقى الزهراء (عليها السلام) معالم التّشريع من منبعه الأصيل كتاب الله العزيز كذاك تستقى الصُّوره التى سطر بها القرآن الكريم معالم التشريع، فقد اعتاد القرآن مثلاً أن يذكر مفهوم الزكاه بعد ذكره لمفهوم الصّلاه، وهذه الصّيغه تتعدّد فى كثير من آيات التشريع المبارك، ولهذا السّر عينه راحت الزّهراء تجلّى فلسفه الزّكاه، بعد ان ذكرت فلسفه الصّلاه، وانطلاقاً من التلقين القرآنى لمثل هذه التعليمات الإلهيه الجليله، وإذا اتضّح لنا هذا فإنّما يتجسّد أمامنا المدى البعيد الذى أثّره القرآن الكريم بنفسيّه الصّدّيقه الزّهراء (عليها السلام) فهى تمثّل شخصيّه إسلاميّه رسم القرآن الكريم كلّ معالمها حتى فى مثل هذه الأمور.

كما أنّ هذه الحقيقه تعكس لنا صورةً حيّه عن أهل البيت (عليهم السلام) ومدى تطبيقهم لمعارف التّشريع الإلهى على سلوكهم فى اصوله ودقائقه ومعالمه وتفصيلاته، والزهراء (عليها السلام) بعد ذلك

تعلن فلسفه الزّكاه، فتقول عنها: إنّها تزكيه للنّفس الإنسانيه، ولكنّها لم تحدّد بعد ذلك مفهوم التزكيه هذا ومداه ومنطلقه وحدوده، فما الغايه التى استهدفتها الزّهراء (عليها السلام) من ذكر مفهوم التزكيه هنا؟

خلق الله الإنسان وخلق معه غرائز وطاقاتٍ لا يمكن التغاظى عن إشباعها بأىّ حال من الأحوال وتأتى فى طليعه هذه الطّاقات غريزه حبّ التملُّك، فالإنسان مجبول على تملُّك ما تناله قواه من ثروات أنّى كان نوعها وقد تستبدُّ هذه الغريزه بالإنسان فتجعل من حياته حياةً جافّةً سلبيةً لا تحمل فى رحابها أىّ نوع من أنواع الرّحمه والعطف، فتزدحم الحياه بالصّراع العنيف بين الدُّموع والإبتسامات، ويحدث التّناقض المرير بين أصحاب الثّراء الفاحش وسواهم من الفقراء والمعدمين.

وهذا ما يجرى فعلاً فى المجتمعات الرّأسماليه الجائره اليوم حيث تستبدُّ غريزه التملُّك لدى الأفراد فتتحوّل الحياه إلى شبح من الأنانيّه والإستئثار، ضحيته الأخلاق والرّحمه والعطف ومحصله الصّراع والإضطراب النفسى والإجتماعى، واستبداد هذه الغريزه يزداد شدّه وخطراً إذا وجد مقياسٌ، يجعل

[صفحه ۱۵۴]

من الحياه مجرّد لذّه ماديه ومنفعه بهيميه خالصه محدوده بإطار الحياه الموقوته، وهذا ما ينطبق فعلاً على الحياه الّتى جسّدتها الحضاره الغربيه الهوجاء.

ويتطرّف لون جديد من الحضاره تحت مطارق العسف والإستئثار، فيعلن: أنّ علّه هذا الفساد الإجتماعى، إنّما هو غريزه حب التملُّك، ولذا وجب أن تمحى هذه الغريزه من برامج الحياه الإنسانيه مهما غلا الثمن وعظمت التضحيات ولذا وضعت برامج الكبت والقتل الجماعى، ومصادره الحريات، تحرّياً عن هذه الغريزه الفطريه.

ولكنّ هذا المذهب الإجتماعى المتمثل بالنّظام الاشتراكى قد تعرّض للتحوير والتّبديل غير مرّه بحجه التدرُّج فى التغيير الإجتماعى، ولكنّ الحقيقه:

أنّ الفطره هى التى حتّمت هـذا التبـديل المتكرّر، بل إنّ غريزه التملّك هى التى وقفت سدّاً منيعاً فى مواجهه المشاريع التى أَريد منها أن تلغى هذه الغريزه من قاموس الحياه الإنسانيه.

ووقوع النّظـام الإـشتراكى فى هـذا الخطـأ كان نتيجهً للتّصور الخاطىء الـذى تُصوّر إزاء قضـيه التملُّك، فاعتقـد خاطئاً أنّ أساس المحنه إنّما كان بسـبب وجود غريزه التملُّك التى جسّدتها الحضاره الرأسماليه التى امتدت سيطرتها على الإنسانيه زمناً غير قصير .

وهـذا التّصُّور خـاطىء لاـ طائل تحته، لأنّ المشـكله إنّما نشأت بسـبب المفهوم المادّى للحياه الـذى تبنّته الرأسـماليه، فجعلت من الفرد كائناً همُّه أن يجمع المال، ويكرّس طاقته لتكديس الثّروات بصفتها منشأ للسّعاده واللذه والمنفعه بزعمها [٧٣] .

وحين تخطىء الإـشتراكيه هـذه الحقيقه، تبحث عن سـببٍ آخر، فتعتقـد أنّ المشـكله منشؤهـا غريزه التملُّك لاـ غير ولـذا وجب محوها أنّى كان الثمن .

ويأتى دور الإسـلام بصـفته مـذهباً اجتماعياً يتناول نشاطات الأفراد وميولهم بصوره شامله، فلا بـدّ له من رأى مذهبىٍّ صـميم إزاء هذه المشكله، ولا بدّ له بعد ذلك أن يعطى الدّواء النّاجع والحلّ الحاسم للواقعه التى يواجهها، سيّما

[صفحه ١٥٥]

وهو منهج الله، خالق هذا الإنسان ومدبّر أُموره والمطّلع على ما تنطوى عليه خلجات نفسه.

ليعلن: أنّ منشأ هـذه المشـكله إنّما هو المقياس المادّى الذى دانت به الحضاره الغربيه وليست المشـكله كامنه فى غريزه التملك عينها لأنّ غريزه التملُّك أصيله فى كيان الإنسان، لا يمكن محوها إلّا إذا بُدّل هذا الإنسان إلى غير هذا الإنسان.

ولما كانت المشكله تحمل هذا اللون من الثُّبوت والإستقرار، فلا بدّ أن يبحث الإنسان عن تطوير

جديد للمفاهيم عن الحياه، ليخفّف من وطأه هذه الغريزه، فينشأ للإنسان مفهومٌ جديدٌ للسّعاده واللذه والمنفعه.

وفعلاً، حقّق الإسلام هذه المعجزه بإعلانه مفهوماً جديداً للسّعاده، ومفهوماً جديداً عن الحياه، ومفهوماً جديداً عن اللذه والنفعه.

وحين يعلن الإسلام هذه المفاهيم، فإنّما يعلن: أنّ المشكله لا تحلُّ إلاّ عن طريق واحد: هو طريق الإعتراف بغريزه التملُّك كحقيقه فطريه والعمل على توجيه هذه الغريزه عن طريق تربيه روحيّه ونفسيّه على أُسس منهجيّه رصينه، يُصمّمُها خالق الفطره لأنّه أعلم بصلاحها من سواه.

وكانت إحدى المقوّمات التى رسمها الإسلام الحنيف لتوجيه غريزه التملُّك توجيهاً تربوياً ينتفع منه الفرد والمجتمع بعيداً عن عنفوان الأنانيّه والإستئثار، كانت إحدى هذه المقوّمات المتينه: فرض ضريبه الزّكاه على الاغنياء الذين يتمتّعون بحق المواطنه الاسلاميه فى نطاق الدّوله الإسلاميه، وهذه الزكاه تمثل ضريبه سنويه لا يمكن الهروب عن دفعها إطلاقاً ما داموا يعيشون فى مستوىً لائق من العيش.

ومن الحكمه البالغه: أنّ الإسلام حين يفرض هذه الضريبه لم يجعلها مجرد ضريبه يلزم الاغنياء الإتيان بها فحسب . وإنّما أضفى عليها طابعاً روحيّاً حين أعلن كونها عبادةً من العبادات الأُخرى كالصّلاه والصّيام، والإنسان مسؤول عن دفعها أمام ربّه الذى «يعلم خائنه الأعين وما تخفى الصُّدور». ومن ثم ينطلق الإسلام ليعطى هذه الفريضه صفه قانونيه صارمه يعاقب عليها القانون الإسلامى فى الدُّنيا عقاباً صارماً، وحين يلزم الإسلام أتباعه بأداء فريضه الزّكاه إنّما يستهدف توجيه غريزه التملُّك توجيهاً يجنى الفرد والمجتمع ثماره بحيث تكون

الثورات ملكاً لجميع أبناء الأُمّه لا يستبدُّ بها فردٌ من النّاس أو فئه على حساب الآخرين.

وتعطينا هذه الصُّوره الوضّاءه من منهج الله سبحانه

تلقيناً تجعلنا نؤكّد أنّ الفرد والمجتمع فى المنهج الإسلامى لا حدود بينهما، وإنّما تتشابك مصالحهما، فيعمل الفرد من أجل المجموع، ويعمل المجموع من أجل الفرد، وفقاً لنظام رصين بعيد عن الإصطدام والإعتساف، ولا تتحقّق هذه الفضيله بل هذه المعجزه إلا بتزكيه النفوس من عنفوان الأنانيّه والأثره التى فرضت الزّكاه لتحقيقها فى كيان الإنسانيه.

وهذا السّرُّ ذاته هو الذى دعا الزهراء بنت محمد (صلى الله عليه وآله) لتعلن كون الزكاه تزكيةً للنّفس، فإنّها لعمر الحق تزكيه للنُّفوس البشريه من أنانيّتها واستئثارها ودوافعها الفرديّه الجافّه، وتحويلها إلى طاقات إنسانيّه هادفه تخدم المجموعه الإنسانيه.

وثمت حقيقه أُخرى نلمسها من كشف الزّهراء (عليها السلام) لفلسفه الزّكاه، تلك الحقيقه، تتمثّل فى أنّ النُّفوس البشريّه سيختفى ما تنطوى عليه من بغضاء وأحقاد، سيّما نفوس المحرومين، فهم حين يرون اصحاب الثروه يدفعون لهم نصيبهم منها متمثّلاً بضريبه الزّكاه، فستكون نظرتهم لهؤلاء نظره حبٍّ واكبار، يتحوّل التناقض والعداء بعدها إلى إخاءٍ وإخلاص ومحبّه.

وحين تكشف الزهراء (عليها السلام) الوجه الأول من فلسفه الزّهراء تكشف بعد ذلك الوجه الثانى لها، فتقول: «ونماءً فى الرّزق» فليست الغايه من الزكاه تزكيةً للنفوس من الأنانيّه والبغضاء فحسب وإنّما لها غايه تتعلّق بمحيط الإنسان نفسه فينمو رزقه وتزداد ثروته وتكثر خيراته.

وحين تعلن الزهراء (عليها السلام) هذه الحقيقه لم تقلها عفواً أو شططاً، وإنّما تلتمس هذه الحقيقه من كتاب الله سبحانه حين يعلنها بقوله: «ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السّماء والأرض» [۷۴] .

[صفحه ۱۵۷]

والزكاه عباده يعد منكرها فى عداد الكافرين، ومن يمنع قيراطاً منها، فليمت إن شاء يهودياً

أم نصرانياً كما ورد فى السُّنه الشّريفه .

وحين تملك الزكاه هذا المقام الرفيع بين معالم التّشريع الإسلامى، فلا بد إذاً أن تكون فى طليعه شروط الإيمان والتّقوى، ولما كانت البركات منوطه بالإيمان، فقد انكشف لنا السرُّ الذى أعلنته الزّهراء (عليها السلام) من أنّ الزكاه نماءٌ فى الرّزق، ذلك لأنّها عنوان الإيمان والخضوع الحقيقى لله سبحانه، فلا بدّ أن يكافىء الله عباده بالتفضُّل عليهم من رزقه بعد استجابتهم لندائه المقدّس.

والصيام تثبيتا للاخلاص

وبعد هذا البيان الذى تصوّر الزهراء (عليها السلام) فيه فلسفه الزّكاه، تكشف لنا فلسفه الصّيام الذى يعتبر لبنةً فى البناء التشريعىّ الإسلامى الضّخم فتقول: «والصّيامَ تثبيتاً للإخلاص».

فترسم أمامَ الأجيال الإسلاميه الرّائده هذه الحقيقه الناصعه التى أراد لها الله سبحانه أن تتحقّق بفضل فريضه الصّيام صيام شهر رمضان المبارك.

والصّوم الذى فرض الإسلام طبيعته وحدّد إطاره: هو إقلاع عن المتطلّبات الجسميه: من أكل وشرب وجماع، وفيه تتحقّق عمليّه قهر أعنف الغرائز فى كيان الإنسان، فتقهر غريزه المعده التى تتطلّب الإشباع الدّائم، والغريزه الجنسيّه التى تتطلّب سدّ حاجتها بإلحاح متواصل. ولا يقف الأمر عند هذا الحد، وإنّما يتعدّاه إلى صوم الجوارح، فللعين صومٌ عن رؤيه المحرمّات، وللأُذن صومٌ عن سماع المحظورات، وللّسان صوم عن قول المنكرات، ولليد والرّجل كذلك صومٌ عن الإعتداء أو السّرقه أو السّير فى درب لا يقرُّه حكم الله تعالى.

وهذه الأُمور الأخيره وإن لم تكن مباحةً فى غير شهر رمضان، إلا أنّ شهر الصّوم قد أُعطى تمييزاً عن غيره من سائر الأيام، فربّما قد تحدث هذه الأمور لدى البعض من النّاس، ولكنّها لا تضرُّ بصلاه أو زكاه أو نحوها، إلا الصّيام فإنّ وجود مثل هذه المنكرات يخرج الإنسان عن كونه

صائماً.

وثّمه نقطه أُخرى تلوح لنا كشعاع ينبثق من فريضه الصّيام، هى: أنّ المسلم الذى استطاع أن يكبت أشدّ غرائزه إلحاحاً وأعظمها خطراً فانتصر عليها هازئاً

[صفحه ۱۵۸]

بالمادّه وأوضارها، إنّ إنساناً هذا شأنه سيملك من الطّاقات ما يجعله أقدر على مواجهه طواغيت الارض وقلع معالمهم فى حياته وواقعه، بل إنّ إنساناً قهر نفسه ومتطلّبات جسده، هو أقدر على أن ينتصر لمبدئه الذى استجاب هو لندائه فمنع نفسه عن لذاذاتها ومشتهياتها ليدكّ صروح أعدائه، وإن ادلهم الخطب وازدحم الدّرب بالمخاطر.

يمتنع المرء عن الطّعام والشّراب، وهو قادر على تناولها بعيداً عن أعين الناس فى خلواته فى وحدته، ولكنّه يقهر نفسه ولذاذاته لأنّه يستشعر بتقوى الله فاطر الأرض والسّماء، وحينئذ يبرهن على فاعليّه إيمانه وعلى مدى إخلاصه لله سبحانه.

أجل إنّ فى الصوم تتحقق أبعاد الإخلاص لله سبحانه فتتجسّد واقعاً ملموساً لأنّ الصوم لا يتطرّق إليه الرّياء [۷۵] لأنّه ترك لأعز شىء فى الحياه هو الطعام هو اللذه المطلقه هو متطلّبات الجسم.

والصوم بعد ذلك دوره تربويه يتلقّى الإنسان فيها مختلف الدُّروس الجديده، فتخلق لديه عاداتٍ جديده حتّى المعده نفسها تعتاد على التّقسيم الجديد فى وجبات الطّعام، فكيف بالسلوك؟

إنّ إنساناً اعتاد ترك الكذب والغيبه والنّميمه، والنّظر المحرّم والسخريه لمده شهر واحد، أصبح يملك من القدره على الإستمراريه فى هذا السلوك الإسلامى زمناً. وهو شهرٌ فى كلّ سنه ليس بالأمر الهيّن، إنّه يؤلّف نسبه مئويه جدُّ كبيره من العمر يعيشها الإنسان فى كنف الإستقامه وفى رحاب مدرسه إسلاميه تصهر السُّلوك المعوج وتبيد جراثيمه. والصوم حين يمتلك هذه المزايا التى تنعكس إلى شدّ العبد بربه شداً وثيقاً، هو الذى أملى على

الزّهراء (عليها السلام) وهى خرّيجه مدرسه الوحى أن تعلن عن كون الصّيام تثبيتاً للإخلاص، فهو تثبيت لإخلاص الإنسان لربّه بعد استجابته لندائه، وتركه لكلّ لذاذاته تقرُّباً له وانقياداً لتلقيناته المباركه، وعلى هذا التقدير يصبح الصوم اختباراً لدى استجابه المرء لأوامر ربه الكبير المتعال، وحين يستجيب المرء لذلك فقد حاز التثبيت لإخلاصه، وربح بعد ذلك مرضاته تعالى.

والحج تشييدا للدين

وبهذه العباره القصيره تكشف الزّهراء عن فلسفه الحج وأهدافه الساميه، فهو تشييد للرساله وإقامه لصروحها الشامخه. ولا بدّ أن تحمل هذه العباره الجليله سرّاً كامناً خلفها، إذ لماذا تعلن الصّدّيقه (عليها السلام) كون الحج تشييداً للدّين دون غيره من الفرائض، بل لماذا أعطت الزهراء هذه الفريضه هذا المقام الرفيع دون غيرها من الفرائض الإسلاميّه؟ فالحجُّ فى حقيقته مؤتمر إسلامى كبير يضم ممثلين عن مختلف الشعوب الإسلاميه على سطح هذا الكوكب الأرضى.

والإنسان المسلم الذى يحضر هذا المؤتمر الإسلامى السنوى المعقود عند أشرف بقعه فى الأرض «الكعبه المشرّفه» يبذل المال ويبذل الوقت الوجهد ولكنّه سيعيش واقعاً إسلامياً ويحيا مناخاً إسلامياً يشعُّ بالوحده وتسوده المساواه المطلقه والتقارب الروحى والتعارف والإخاء.

وحين يعيش الحجيج هذه الإشعاعات التى تنبثق من فريضه الحج فإنّما يعيشون الإسلام حقيقه واقعه بصوره مصغره مرّه فى كلّ عام، فهم يعيشون الوحده التى حمل الإسلام لواءها بكلّ أبعادها حيث يجتمعون فى بقعه واحده ويرددون نداءً واحداً، ويحملون هدفاً واحداً، هو رضوان الله تعالى، وتسودهم المساواه بكلّ أبعادها أيضاً، فتلغى الفوارق كما أراد لها الإسلام فى واقع الحياه حيث يتحقق هذا الشّعار بالزىّ الواحد الذى يرتديه الأبيض والأسود، العربىّ والأعجمىّ، الرجل والمرأه، الكبير والصغير، الغنىُّ والفقير، الرئيس والمرؤوس؛ فاللباس موحّد، والهتاف موحّد، والعمل واحد، والفعّاليّات واحده؛ وهذه المراسيم

تمثل المساواه التى رسم الإسلام حدودها بأعلى صورها وأنصع ألوانها، ثم تتحقّق الاخوّه بأجلى مظاهرها، فلا اغتياب ولا سباب، بل ولا جدال، وعلى هذا الأساس يتحقّق مفهوم الأُخوه ويتجسّد حقيقه ملموسه لا حديثاً او لفضاً مطلقاً.

وإلى جانب هـذه الصُّوره المصـغّره للمجتمع الـذى يعمل الإسـلام على إرساء قواعده وتشـييد معالمه، ينشأ التّفاهم والتّعارف بين ممثّلى الشعوب الإسلاميه،

[صفحه ۱۶۰]

فيلتقى الفارسـىُّ بالهنـدىّ والعربىّ بـالتركىّ وغيرهم لكى يتعرّفـوا على مشـاكلهم، فيهتـدوا لعلاجهـا، ويبحثوا فى وسائـل عزّتهم، ويزيلوا ما يعيق نهضـتهم من أشواك، فيسـتفيد كلُّ شـعب من أشـقّائه ليسـير العمل متناسقاً لبلوغ الغايه التى أرادها الله لهذه الأُمّه لتكون كمـا أراد الله لهـا «خير أُمّهٍ أُخرجت للنّاس» وحين تنكشف لنا الفوائـد الجليله التى شـرع الحـجّ من أجلها من تحقيق لواقع إسلامى مصغّر أو فهم للمشاكل المشتركه وغير المشتركه لدى الشعوب الإسلاميه.

حين ينكشف لنا هذا المغزى الرّصين من تشريع الحجّ نكون قد فهمنا الدّافع الذى حمل الزهراء (عليها السلام) لتعدّ الحجّ تشييداً للدّين.

فهو لعمر الحق تشييد للدّين إذا جنى المسلمون ثماره التى شرعه الله سبحانه من أجلها. ولعلّنا وفقنا لعرضها قبل قليل.

[صفحه ۱۶۱]

والعدل تنسيقا للقلوب

ثم تنطلق الزهراء (عليها السـلام) لتبيان الغايه التى شُـرّع العدل من أجلها، لماذا العدل فى القضاء بين المتخاصـمين، ولماذا العدل بين الأجناس، ولماذا العدل فى الحكم، ولماذا العدل بين الغنّى والفقير؟؟

تجيب الصّدّيقه الزّهراء (عليها السـلام) فتقول: شُـرّع ذلك لتنسـيق القلوب. وجمع شـتاتها وتأكيد إخائها وتحقيق صفائها وتوادّها وائتلافها، ولكن إلى أىّ مدىً سيحقّق هذا العدل الذى جعله الإسلام ركناً من أركان بنائه التّشريعىّ الضّخم التنسيق والصفاء، فى قلوب أبناء النّوع

الإنسانى ؟؟

جلجل نداء الإسلام فى الآفاق معلناً إلغاء الفروق، وإلغاء الطّبقات، وإلغاء كلّ أنواع التّمايز بين أبناء الجنس البشرىّ. ولأجل تحقيق هذه الشّعارات أعلن أحكاماً سياسيّه واحده، وأحكاماً جنائيّه واحده واجتماعيه واحده يخضع لها كلُّ إنسان دون تمييز على أساس الطّبقه أو الجاه أو المال أو اللون أو الجنس أو القبيله، فإذا سَرَقَ أعلى الناس جاهاً أو أكثرهم مالاً أو أعزّهم قبيلهً، فإنّ حكم قطع اليد ينطبق عليه كما ينطبق على أقلّ الناس حظاً من المال أو الجاه، كما يقف إمامُ الأُمّه وقائدها للترافع أمام القضاء الإسلامىّ إلى جانب أمهٍ حبشيّه.

وقد تجلّى ذلك على لسان خاتم الرُّسل محمد (صلى الله عليه وآله) حيث يقول موضّحاً حدود العداله الإسلاميه : «لو سرقت فاطمهُ بنت محمد لقطعتُ يدها».

وعلى ضوء هذا المفهوم الرّصين للعدل الإسلامى تحقّق أروع إخاء فى تاريخ البشريّه بين شتّى الأجناس ومختلف الطّبقات، حيث كان المجتمع الإسلامى يحتضن البدوىّ الفقير إلى جانب المكىّ المتموّل، ويحتضن الفارسىّ إلى جانب العربىّ، ويحتضن الرومىّ كما يحتضن الحبشىّ.

وحين تتحقّق العداله بين المجموعه البشريّه على هذا الأساس تدرأ الأخطار التى تتصدّع المجتمعات بوقوعها، وتختفى كلُّ اشباح الفرقه والعصيان والتصدُّع الإجتماعى والثّورات والتّكتُّلات الجانبيه.

وما الثّورات العسكريّه والرّجات السياسيّه والإضطرابات الإجتماعيّه التى

[صفحه ۱۶۲]

ترزح المجتمعات تحت وطأتها اليوم إلا حصيلهً لفقدان عنصر العداله فى الحضارات التى تنظم حياه الأفراد والمجتمعات اليوم .

وحين يملك عنصر العدل هذه الفاعليّه فى خلق المجتمع المتراصّ المتوادد، فقد انكشفت لنا الغايه التى من أجلها أعلنت الزّهراء (عليها السلام) كون العدل تنسيقاً للقلوب.

أجل، إنّ العدل تنسيقٌ للقلوب، لأنّه السبيل الأوحد الذى

يجد الإنسان فيه كرامته وقيمته إزاء غيره من الناس. وحين يعلم الإنسان أنّ فى الواقع قوّةً تتمثّل بعنصر العدل تحفظ له كيانه وحقوقه بين الآخرين، كان حرّياً بهذا الإنسان أن ينحاز إلى هذا العدل الذى حفظ حقّه وقيمته دون أن يبحث فى وسائل العصيان أو التمرُّد أو التكتُّل الجانبىّ، لأنّ هذه الأمور لا تقوم فى واقع الحياه الإنسانيه ما لم يختفِ عنصر العدل فى الواقع الإنسانى مما يضطر الإنسان لنفض غبار الذُل والظُّلم بأساليب تختفى فيها لغه التفاهم والرّحمه، الأمر الذى يفرّق الجماعات ويوهن الأُمم ويقوّض الدّول.

[صفحه ۱۶۳]

و طاعتنا نظاما للمله و امامتنا امانا من الفرقه

وهنا تُبرز الزهراء (عليها السلام) مفهوماً إسلاميّاً، ما اختلفت الأُمّه الإسلاميه فى شىء كاختلافها فيه، ذلك: هو المفهوم السياسىّ الإسلامىُّ الذى يبتنى على أساسه الكيان الدُّولى والإدارىّ لهذه الأمّه.

ومع الإيجاز الذى سلكته الزّهراء (عليها السلام) فى تبيان معالم الرساله الإسلاميه، إلّا أنّها قد أبرزت هذا المفهوم بجانبيه: التشريعىّ والتطبيقىّ، لأنّ المفهوم السياسىّ كما هو معلوم يمتلك السُّلطه التى تموّنه بالتّشريع والأحكام التى تستند الدوله عليها فى فعالياتها، كما أنّ المفهوم السياسىّ أيضاً يمتلك إلى جانب ذلك القوّه الفاعليّه التى تتولّى مهمّه التنفيذ لعنصر التشريع.

وقد عبّرت الزهراء (عليها السلام) عن العنصر الأول عنصر التّشريع بالفقره الأولى من عبارتها: «وطاعتنا نظاماً للملّه».

حيث أعلنت: أنّ طاعه أهل البيت عليهم السلام سيحفظ الشّرع المقدس من كلّ اختلاف أو تصدُّع، وسيسير على نسقٍ واحد، بعيداً عن الآراء والظنون المرتجله التى تبعد الشرع عن حقيقته.

وهنا تبرز عظمه الزهراء (عليها السلام) حتى فى حديثها المسترسل حيث تقول: «وطاعتنا» فهى لم تقل: محبّتنا أو مودّتنا أو حبُّنا، وإنّما أعطت هذا

المفهوم جانبه الثابت غير الخاضع للجدل والتأويل، إذ أنّها لو استعملت لفظه: الموّده أو المحبّه، لأمكن صرف اللفظ هذا إلى غير معناه، لقيل مثلاً محبه أهل البيت واجبه ولكن لا يعنى عدم جواز اتّباع غيرهم والخضوع له سياسياً أو إداريّاً. والزهراء حين تعلن أنّ طاعه أهل البيت على الصّعيد التّشريعىّ أمر فرضه الله سبحانه كما فرض الإيمان والصلاه إنّما تقرّر بذلك حقيقه منطقيّه ثابته نطق الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) بها وأكدّتها عشرات المواقف بشهاده كبّار الصحابه والتابعين.

وقد اتخذ ذلك الطّابع الإلزامى الصّارم على لسان الرسول القائد يوم أعلن أمام الألوف المحتشده وبعد عودته من حجّه الوداع إمامه علىٍّ (عليه السلام) بقوله: «من كنتُ مولاه، فهذا علىٌّ مولاه...».

[صفحه ۱۶۴]

ومهما يحاول بعض الكُتّاب والباحثين فى صرف لفظ هذا الحديث عن معناهُ الحقيقىّ، فإنّهم غير قادرين مهما أُوتوا من قوّه استدلاليّه على إبراز مفهوم غير مفهوم الطّاعه والإنقياد أو يزيغون عن الحق.

وآخر ما اجتمعت عليه كلمه هؤلاء الباحثين هو القول بأنّ الحديث أراد مجرّد المحبّه والعطف لا غير. ولكنّنا مع استغرابنا لهذه التآويل نقول: إنّ الله سبحانه وتعالى قد جعل المؤمنين إخوه، وقد جعلهم نفساً واحده كقوله تعالى: «إنّما المؤمنون إخوه» «ولا تلمزوا أنفسكم...».

فاذا كان الله سبحانه قد قرّر هذا المفهوم التشريعىّ الثابت فى خلق الأُمّه المتحابّه المتراصّه، فما معنى استيقاف الرسول (صلى الله عليه وآله) لتلك الجموع الإسلاميّه الغفيره فى غدير خم ليقول لها: من كنت محبوباً عنده فليحبّ علياً [۷۶] .

ألم يكن هذا القول عبثاً ما دام القرآن والرّسول قد قرّرا سابقاً مبدأ الأُخوه الذى يؤلّف مفهوماً

أوسع من المحبّه، بل إنّ مبدأ الأخوه إذا تمكن فى النفوس البشريّه، منحها أعظم تيّار عاطفىٍّ من المحبّه والوداد.

وثّمه نقطه أُخرى يجدر أن نشير إليها، تلك: هى أنّ الرسول القائد (صلى الله عليه وآله) قد أعلن وجوب طاعه أهل البيت (عليهم السلام) وعدم التمذهب بمذهب غيرهم فى مئات المواقف وقد رواها الخاص والعام وفى طليعتها قوله (صلى الله عليه وآله): «إنى تركتُ فيكم: ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدى، كتاب الله حبل ممدودٌ من السّماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى ولن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما...». وقوله (صلى الله عليه وآله): «ألا إنّ مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينه نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق...».

وحين يعلن الرسول (صلى الله عليه وآله) ذلك، فإنه يعلنه بدافع الحرص على المصلحه الإسلاميّه العليا لكى تبقى هذه الأُمّه «خير أُمّه أُخرجت للناس» وهذا ما دفع الزهراء لتلعن بأنّ طاعه أهل البيت «نظاماً للملّه».

أجل، إنّها حفظ للشريعه، وتنسيق لأحكامها، وصون لها من الظُّنون والتخمينات والآراء والتّمذهب على حسابها، أجل لو قُدّر لهذه الأُمّه أن تسلك

درب أهل البيت (عليهم السلام) فى معرفه أحكامها واستلهام معرفتها، لما وجدنا للتّمذهب سبيلاً ولا للإختلاف فى الفتيا والأحكام مجالاً فى قاموس حياتنا، ولكنّها ويا للأسف الشّديد جنايه الأجداد قد جنى ثمراتها الأحفاد.

ثم تكشف الزهراء (عليها السلام) الشّطر الثّانى من المفهوم السّياسى فى الإسلام، فتقول:

«وإمامتنا أماناً من الفرقه».

وإذا كانت الزهراء قد قصدت الجانب التشريعى من المسأله الإداريه لشؤون الأُمّه فى العباره الأُولى «وطاعتنا نظاماً للملّه»، فإنّها ترسم الآن الشقّ الثانى من

الموضوع ذاته ، فتعلن كون إمامه أهل البيت (عليهم السلام) وقيادتهم لهذه الأمّه مفروضاً من الله سبحانه كسائر الواجبات، ولكنّ علّه هذا الفرض الجديد تتجلّى فى تخليص الأُمّه من شبح التّمزق والتخرب والإنقسامات المصلحيّه، لأنّ إقصاء أهل البيت (عليهم السلام) وهم معدن الحكمه وخريجو مدرسه الوحى عن مركزهم القيادىّ يجعل من الممكن قيام صراع سياسىّ على الحكم والإداره، لأنّ سائر الناس بعد أهل البيت يرون أنفسهم جميعاً أهلاً لقياده الأُمّه. أمّا إذا تولّى أهل البيت هذا المقام الرّفيع فإنّ أحداً من الناس غير قادر على بلوغ مقامهم الذى بوّأهم الله سبحانه فيه من معرفه تامه لمعالم الشّريعه الإسلاميه أو من عصمه نفسيّه تحفظهم من كلّ شطط أو خطأ فى أحكامهم وقراراتهم ومن كلّ إثم فى سلوكهم وفعالياتهم وإذا كان لأهل البيت (عليهم السلام) هذا المقام الرفيع فى الأُمّه الإسلاميه، أصبح بمقدورهم أن يقودوا الأُمّه الإسلاميّه الى شاطىء السّعاده الذى هيّأهُ الله سبحانه لهذه الأُمّه الكريمه، وإذن فإن الزهراء (عليها السلام) وهى غرس النبوّه قد ضربت على الوتر الحسّاس من المسأله حين تعلن: أنّ إمامه أهل البيت (عليهم السلام) ابتعاد عن الفرقه والإختلاف على الصعيد السياسى والإجتماعى.

[صفحه ۱۶۶]

والجهاد عزا للاسلام و ذلا لاهل الكفر والنفاق

والجهاد عمليّه تحريريّه: يتولاّها المعسكر الإسلامى لتخليص الإنسانيّه من السّيطره الجاهليّه بشتّى أنواعها ومستوياتها.

وهذه العمليّه التحريريّه تجرى فى أعلى المستويات، حيث تعبّأ فيها قوى الإيمان الماديه والفكريه والرُّوحيه لإنجاح هذه العمليّه. وغالبا ما يبرز فيها عنصر القوّه العسكريّه لإحراز النّصر وتحقيق العمليّه التحريريه الكبرى، وإحراز النّصر هذا ليس نصرا لمعسكر الإيمان فحسب بل هو فى الحقيقه نصرٌ لمن يعيش تحت السّيطره الجاهليّه من

أبناء النوع الإنسانى.

والجهاد الى جانب معطياته التبشيريه والتوسّعيه لعدد الواقفين تحت رايه الله تعالى، الجهاد إلى جانب هذه المعطيات، فرض عبادى تتولّاه الأُمه الإسلاميه، استجابةً لنداء الإسلام المفروض عليها، لا يجوز ان تتقاعد عنه بأىّ حال من الأحوال اللهم إلّا إذا أصيبت بوهن فكرىٍّ تصبح معه غير قادره على فهم فريضه الجهاد وحدودها ومتطلّباتها فحينئذٍ والعياذ بالله تتجاهل أو تجهل هذا الفرض المقدّس فتنسحب عن مسؤولياتها فى التأريخ البشرىّ.

وربّما تتعرّض لغزو جاهلىّ أهوج يفقدها حتى اصالتها وطابعها كما هى عليه اليوم .

والزهراء (عليها السلام) حين تعكس لنا صورةً حيّه عن فريضه الجهاد، إنّما تعكسها لهذه المعطيات الكبيره التى تهبها لتاريخ الأُمّه المجيده. ولكن الزّهراء (عليها السلام) حين تستقرىء لنا الغايه التى شرع الجهاد من أجلها تضع أمام الأجيال نقطتين هامّتين تكشف عن طريقهما الحقيقه التى شرع الجهاد من أجلها بأقصر وأفضل السُّبل، فهى مع شدّه إيجازها لكنّها قد كشفت حدود فلسفه الجهاد.

فالجهاد فى نظر الزهراء يحقّق النّصر المؤزر للرساله الإسلاميه أولاً ويكسبها العزّه والظهور على كل المناهج الجاهليه المعوجّه ويهزم قوى الضّلال وينكس رايتها السوداء لتحلّ محلها رايه التوحيد الناصعه التى تحتضنا القلوب وتتغنّى بها الافواه.

[صفحه ۱۶۷]

وإلى جانب هذه النقطه الإيجابيّه يتحقق مكسب آخر، ولكنّه ذو وجهين حيث يتمخّض عن الجهاد إذلال المعسكر الجاهلىّ وتوهين مكائده خارج الديار الإسلاميه كما يتمخّض عن هذا الجهاد المقدّس صفعه شديده لأهل النّفاق الذين يؤلّفون حزباً لتظاهر مطاياه باعتناق المبدأ الإسلامى، ولكنّهم يخفون التحزُّب لغيره من الحضارات الجاهليّه، وهم يتربّصون بالمسلمين الدّوائر وقد يتّصلون بأسيادهم فى المعسكر اللا إسلامى، معلنين أنّهم

معهم، وسيكونون أداةً تخريبيه فى داخل المعسكر الإسلامىّ، ولكنّ هذه الفئه القلقه تقف على شرفه لترى نتائج المعركه بين الإيمان والضّلال، وما أن تعلن الأنباء انتصار معسكر الإيمان العتيد على خصومه إلا وظهرت سيماء الذّله والمسكنه على أهل النفاق وخابت آمالهم وتمنّياتهم وخسروا الوعود التى وعدهم ساداتهم بها، كلُّ ذلك بفضل المسؤوليه العظيمه التى يتحمل الجهاد تبعاتها فى إذلال أعداء الإسلام ومعسكره العتيد.

وهذه الميزه التى يتجلّى بها الجهاد هى التى أملت على الزّهراء (عليها السلام) لتكشف النقاب عن الغايه التى شرع من أجلها، فهو على حدّ تعبيرها قد جعله الله عزاً للإسلام، وذلاً لأهل الكفر والنّفاق.

والصبر معونه على استيجاب الاجر

وتكشف لنا الزهراء (عليها السلام) حقيقه كبرى تتجسّد على يديها كلّ الآمال، وكلُّ الأهداف التى رسمتها الرساله الإسلاميه لهذا الإنسان تلك الحقيقه هى: الإراده والإقدام على تحقيق متطلّبات الشرع، فبغير الإراده والصّبر فى العمل لا يمكن لإنسان أن يحقّق مطالب الرساله الإسلاميه. إذاً، فالصّبر فى منطق الرساله : الجسر المعقود بين الواقع النّظرىّ للشّريعه والواقع العملى لها، حيث تتجسّد الأفكار على يديه واقعاً محسوساً يبرز فى فكر الفرد وسلوكه وكافه ألوان نشاطه، وقد يصبح الأمر من القضايا البديهيّه المسلم بها إذا قلنا: أنّ الصبر المرادف للإقدام ومواصله العمل والإستمرار فى بذل الجهد من أجل تطبيق معالم الشّريعه الإسلاميه قد جعله الإسلام على لسان دستوره الخالد ركناً أساسيّاً من أركان المجتمع الذى يقف تحت رايه التّوحيد المقدّسه كما جاء ذلك فى قوله

[صفحه ۱۶۸]

سبحانه: «والعصر إنّ الانسان لفى خسر الاّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصّبر...».

والصبر فى منطق الحضاره الإسلاميه يلتزم جانبين فى حياه المجتمع المسلم

والفرد المسلم، فهو صبر على الطاعه، وصبر على المعصيه.

ولما كان الإسلام أساساً لا ينهض إلاّ على هذين المفهومين الكبيرين فى تحديد معالم تشريعه، إذاً، فقد أصبح للصّبر بشطريه الإيجابى والسلبىّ من واقع الشّريعه الإسلاميه عظيم الأثر فى تحقيق أهداف الرساله كعامل مساعد أو كعنصر يدخل فى إطار كلّ الفعّاليّات التى ينهض الفرد أو المجتمع المسلم بأعبائها.

وحين يملك الصّبر هذا المقام الرّفيع فى التّشريع الإسلامى، فقد أصبحنا أكثر إحاطه بالغايه التى دفعت الزهراء (عليها السلام) لتعطى هذا المفهوم: هذا الجانب الكبير من الإهتمام، حيث ضربت على الوتر الحسّاس من المسأله بإعلانها: أنّ الصّبر معونه على استيجاب الأجر، أجل فهو عنصر مساعد فعّال يجعل المرء المسلم أكثر قدره على كسب الأجر والرّضوان.

والامر بالمعروف والنهى عن المنكر مصلحه للعامه

الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر عمليّه كبيره تحمل فاعليّه ضخمه فى إصلاح كلّ الإنحرافات التى يتعرّض لها المجتمع الإسلامى عن معين الرّساله الإلهيه.

وهو على هذا التقدير عمليّه علاجيّه تنمحى على أساسها كلُّ الآثار المرضيه التى تصيب جسم الأُمه الإسلاميه بمرور الأزمان، لأنّ الأمّه الإسلاميه ليست بدعاً من الأمر، فهى أُمّه كبقيه الأُمم: ترتفع وتنخفض تنهض وتهجع، تتحرّك وتسكت، ولمّا كانت هذه الأُمّه: هى «الأُمّه الوسط» التى أرادها الله سبحانه أن تكون شاهده على النّاس متميزه عن غيرها من الأُمم، تحمل هويّه السماء وتتلمذ على الوحى لتتخرّج أجيالها، وهى تحمل شاره «خير أُمّه أُخرجت للنّاس».

حين يكون لهذه الأُمّه الإسلاميه هذا النصيب الأوفر، الذى خصّها الله سبحانه فيه، فلا بدّ أن يمنحها بلطفه منهجاً تعود على أساسه إلى عزّتها، إن ادلهمّت بها الخطوب واجتمعت عليها المحن، وفعلاً قد امتدّت يد الرّحمه إلى هذه الأُمّه فأتحفتها بمنهج الأمر

بمالعروف والنّهى عن المنكر، لتتّخذ منه قاعدةً

[صفحه ۱۶۹]

عمليّه ضخمه يبتنى على أساسه مجدها وكرامتها كلّما تكالبت عليها أُمم الجاهليّه لتزحزحها عن مقامها الذى يوّأها الله فيه.

وبعد أن دلّها الله تعالى على طريق سؤددها لم يترك أمر سلوكه من قبل الأُمه اختياريّاً، وإنّما منحه الصّفه الإلزاميه. والصّفه الإلزاميه أعلى الدّرجات للتكليف فى التّشريع الإسلامى.

ولكن هذه السّمه الإلزاميه أُعطيت الصفه الكفائيه. وعلى هذا الأساس أصبح الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر واجباً كفائياً. إن قام به شخص أو جماعه من الناس سقطت مسؤوليته عن الجماعات الإسلاميه الأُخرى، والقيام بمسؤوليه الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر هنا يتطلب تحقيق المطالب التى شرع من أجلها، فليس المراد بالأمر والمعروف أن يقوم به شخص أو جماعه من الأُمه الإسلاميه، وبمجرّد قيامهم بالعمل ودون تحقيقهم لمتطلّباته، يسقط الواجب عن الأمه بحال، إذ ليس المراد هذا، وإنّما يتحقّق سقوط المسؤوليه عن الأُمه الإسلاميه بتحقيق هذا الشخص أو هذه الفئه كل مستلزمات الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر: من إلغاء للمنكر وإقامه للمعروف.

فلو ظهرت لدى بعض أفراد الأُمه الإسلاميه عاده ممارسه الميسر، وقام جماعه من المسلمين فى إنكار هذا المنكر بالسبل التى رسمها الإسلام: من حكمه وموعظه أو نحوها، فإن استطاع هؤلاء أن يأخذوا على أيدى هؤلاء المنحرفين، ويمنعوهم عن التمادى فى هذا المنكر، سقطت مسؤوليه الأمر بالمعروف وإنكار المنكر عن الأُمه كلها.

أما لو فشل المخلصون الذى تصدّروا لمهمه الأمر بالمعروف، فى تحقيق هذا الجانب الإصلاحى، وجب على الأُمه الإسلاميه برمّتها أن تتولّى هذه المهمّه حتى يتحقّق الإصلاح أو تسقط المسؤوليه عن الأُمه بعد قيامها بالمهمّه، وعدم استطاعتها لاستفحال المنكر مثلاً،

أو لوجود ظروف تمنع إنكاره [۷۷] وحينئذٍ ينطبق عليها تعليم السماء القائل «لا يكلّف الله نفساً إلّا وسعها» [۷۸] .

[صفحه ۱۷۰]

وأما إذا تقاعدت الأُمّه الإسلاميه عن تحقيق مطالب الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر بحجه أنّ المسؤول عن ذلك هم العلماء أو الخطباء أو غير ذلك، فقد أصبحت مأثومه برمّتها، سيّما وأنّها لا تملك دليلاً على هذا التّبرير الفارغ، وأنّى لها بالدّليل الذى يؤكد لها: أنّ العلماء أو الخطباء أو غير ذلك هم المسؤولون فقط عن هذه المهمّه الإصلاحيه الكبرى، بل ما ذنب هذه الفئه المخلصه لكى تتحمّل كلّ مشقّه فى سبيل تحقيق شعار الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر إذا كانت غير مكلّفه تكليفاً شرعيّاً فى كتاب أو سنّه؟. والأدلّه الشرعيّه التى وردت فى الكتاب والسنّه تدلُّ دلاله واضحه على أنّ هذه المسؤوليّه مسؤوليّه الأمر بالمعروف مكلّفه بها كلُّ الجماعات التى تحمل شاره التبعيه لرساله محمد (صلى الله عليه وآله)، فالقرآن الكريم يعلن: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...» [۷۹] .

وقوله تعالى «كنتم خيرَ أُمّهٍ أُخرجَت للنّاس تأمرونَ بالمعروف، وتنهونَ عن المنكر...» [۸۰] .

وهذا يدلّ على أنّ صفه الأمر بالمعروف صفه ملازمه لمعسكر الإيمان، وكذلك إنكار المنكر، رجاله ونسائه لا تنفكّ عنهم بأى حال من الأحوال.

كما أنّ السُّنه الشّريفه تدل على هذه الحقيقه لقول الرسول (صلى الله عليه وآله): «ما زال الناسُ بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر».

وقد ورد كذلك عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: «لا تتركوا الأمرَ بالمعروف والنّهى عن المنكر، فيولّى عليكم شراركم ثم تدعون، فلا يستجاب لكم...».

وهذا النّداء موجّهٌ لجميع أفراد

الأمه دون استثناء أو تخصيص، ولم يول التشريع الإسلامى هذه العمليه عمليه الأمر بالمعروف هذه العنايه إلّا لأنه سياج متين وإطار حديدى يحفظ المجتمع من كل أدران الجاهليّه التى ترفض منهج الله سبحانه وتقصيه عن واقع الإنسان فهو مصلحه لطبقات الأُمه كافّه، وكيف لا

[صفحه ۱۷۱]

يكون كذلك، وهو الذى: تقام به الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحلّ المكاسب، وتمنع المظالم، وتعمّر الأرض وينتصف للمظلوم من الظالم، ولا يزال النّاس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البرّ، فاذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسلّط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر فى الأرض ولا فى السّماء [۸۱] .

وإذا كانت هذه المهام الكبار من منع للمظالم واعمار الأرض والعداله بين الناس والضرب على أيدى الظلمه من التلاعب بمقدّرات الأُمه وإقامه للفرائض وإحلال للمكاسب.

اذا كان الأمر بالمعروف يتحمّل هذه المسؤوليه الجسيمه فى إنقاذ المجتمع وإصلاح أوده، فقد تجلّت الغايه التى من أجلها أعلنت فاطمه الزهراء (عليها السلام) كونه، مصلحه للعامّه، فهو مصلحه للعامّه؛ لعامّه أبناء الأُمه، به تحفظ حقوقها وتدوم كرامتها ويقوم اعوجاجها، فهو الى جانب كونه تشريعا عباديا كلّف الله به الإنسان المسلم إلّا أنّ ما يدرّه من أرباح وما يحقق من نتائج إيجابيه وما يوفّره من مصالح، كلُّ ذلك تجنيه الأُمّه الإسلاميه برمّتها، ولهذا الهدف أصبح على حد تعبير الزّهراء (عليها السلام) مصلحةً للعامه يتفيئون ظلاله ويرتفعون على أساسه إلى مستوى الكرامه والعزّه مهما تراكمت المحن وادلهمّت الخطوب

و بر الوالدين وقايه من السخط

وهنا تلتفت الزهراء (عليها السلام) إلى الخليّه الأُولى التى ينشأ منها المجتمع الإنسانى، هذه الخليه: هى الأُسره، ولا تتناول الزهراء الأسره برمّتها، وإنّما تتناول

العمود الفقرىّ والأساس الـذى تستند عليه فى بناء كيانها، فتناولت البرّ بالوالـدين الأب والأم، لما لهما من فاعليّه ضـخمه فى بناء الكيـان الإجتمـاعى، والوالـدان وإن اختلفـا فى عملهمـا فى إطـار الأُسـره إلاّ أنّ هنـاك تمازجاً عضوياً بين عملهما البنّاء، فالوالد يتناول البيت من الخارج فيكدح ويثابر لكسب الرّزق وإدخال السـرور على أُسـرته، والأُم تتناول البيت من الدّاخل بحكم تركيبها الفسيولوجىّ والنفسىّ

[صفحه ۱۷۲]

والروُّحىّ الذى وفرّتها مسؤوليّه تناول البيت من داخله، فهى تنجب الأطفال وتتولّى رعايتهم وتسـهر لمصـلحتهم وتدبير البيت من الدّاخل لتكمل عمل الوالد الخارجىّ.

وحين يكون عمل الوالدين هذا شأنه على مرّ الأجيال والعصور، فلا بد للإسلام وهو منهج الله الخالد أن يقيّم عملهما هذا، فإذا به يرفعهما إلى أعلى الآفاق: «وقضى ربُّك ألا تعبدوا إلاّ إياه وبالوالدين إحسانا إمّا يبلغنّ عندكَ الكبر أحدُهما أو كلاهما فلا تقل لهما أُفّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً...» [۸۲] .

فيشترط برهما ورعايتهما وعدم إيذائهما بأدنى الأُمور حتى بالإشاره أو التضجر.

وحين يقرّر الإسـلام وجوب رعايه الوالدين، فقد أصـبح عقوقهما أمراً محظوراً يستلزم غضب الله وسخطه، ولهذا السّر عينه راحت الصّدّيقه الزّهراء (عليهـا السـلام) ترسم هـذه الحقيقه حين أعلنت أنّ برّ الوالـدين يتحقّق على يـديه الإبتعـاد عن مغبّه سـخط الله وإغضابه الذى يجر إلى الدّمار والبوار.

وصله الارحام منساه فى العمر و منماه فى العدد

وهنا تتّسع الـدّائره لتكون أكثر شـمولاً وأوسع مداراً حيث تلتفت الزهراء (عليها السـلام) إلى أرحام الإنسان وأقربائه لتقرر مفهوماً اجتماعيـاً رائعاً يقضـى بالتّكاتف والتّكامل الإجتماعى والتوادد، ليكون عوناً على تحقيق المجتمع المتراص الموحّـد الـذى يصـبو الإسلام إلى تحقيقه، وهل فى الأرض من إنسان لا ينتمى إلى قوم أو عشيره؟ فإذا توثّقت

عرى الصّلِه بين الأرحام تحقّقت المعجزه الإجتماعيه الكبرى فى الواقع الإنسانى، لأنّ النّاس كلّهم فى واقع الأمل أرحام ينتهون إلى أصل واحد وأب واحد، والزهراء (عليها السلام) حين تعلن هذا المفهوم الإسلامى فإنّما تستقيه من منبعه

[صفحه ۱۷۳]

الأصيل: كتاب الله العزيز، حيث يعلن هذا المفهوم الشامخ بقوله: «واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً...» [۸۳] .

ولكنّ الزهراء (عليها السلام) لا تريد أن تستعرض مفهوم صِلِه الأرحام فحسب وإنّما شاءت من وراء ذلك تبيان فلسفه تشريعه، فأعلنت أنّه «منسأه فى العمر، ومنسأه فى العدد».

حيث رسمت واقعاً غيبيّاً واجتماعياً فى آن واحد، فأوضحت أنّ المكافأه التى يصيبها الإنسان المسلم الذى يرفع شعار صِلِه الأرحام فى حياته، هى زياده له فى عمره كجائزه له من خالق هذا الوجود سبحانه.

وهذا ما قرّره الإمام الصّادق (عليه السلام) بقوله: «ما نعلم شيئاً يزيد فى العمر إلّا صِله الرحم» [۸۴] .

ثم تعلن الزّهراء (عليها السلام) المنقبه الثانيه التى تتحقّق فى ظلال صله الأرحام فتقول: «ومنماةً فى العدد».

ولعلّ الزياده فى العدد هنا تتأكّد من طريقين: إمّا عن طريق غيبىّ يتُّم بإفاضه البركه والزياده فى النّسل من الله سبحانه، أو عن طريق التّكاتف وجمع الكلمه ورصّ الصُّفوف الذى يتُّم عند الإلتزام بمبدأ صِله الأرحام الشامخ.

والقصاص حقنا للدماء

وهنا ترسم الزهراء (عليها السلام) حقيقةً كبرى من حقائق التّشريع الإسلامى الرّصين، تلك: هى مفهوم القصاص، فالرساله الإسلاميه وإن كانت فى أساسها ديناً يربّى النّفس ويصقل الوجدان ويقوّم السُّلوك حتى يحمل إنسانه على تطبيق متطلّبات الرساله بصوره تلقائيه إلا أنّه لا يقف عند هذا الحدّ، لأنّه يعلم أنّ المجتمع الإنسانى

مهما ارتفع إلى مستوى المثاليّه والنبل، إلاّ أنّه لا يخلو من طفيليات يهمُّها التّلاعب بمقدّرات الرساله وأتباعها، ولذا وضع إلى جانب التربيه التى يسبغها على أبنائه رصيداً تشريعياً يمثّل عمليّه علاجيّه لمن يحاول التلاعب بمقدّرات الأُمّه

[صفحه ۱۷۴]

ومبدئها القويم، وفى طليعه هذا الرّصيد التّشريعى رسم الإسلام بنود القصاص التى تفضى بالمعاقبه بالمثل، فالأنف بالأنف، والأُذن بالأُذن، والنّفس بالنّفس، وهلّم جرّاً، وهذا التّشريع الإسلامى الرّصين يكسب المجتمع مناعه فعليه على مواجهه التّلاعب والإعتداء، سواءً أوقع ذلك خطأ أم عمداً.

وحين يضع الإسلام هذه القاعده فى دستوره، فإنّما وصفها حقناً لدماء أبنائه وحفظاً للتّوازن والإستقرار فى مجتمعه، لأنّ الإنسان إذا وجد نظاماً يكفل له صدّ الإعتداء عليه ويأخذ بثأره، فإنّه يلجأ إليه دوماً دون اللجوء لمفهوم الثأر الجاهلى أو الإخلال بالأمن الذى يؤدّى غالباً إلى فقدان الهدوء والطمأنينه وتمزيق الوحده الإجتماعيه وقيام البلبله والصّراع الدائم.

وهكذا أفصحت الزهراء (عليها السلام) عن فلسفه، تشريع حكم القصاص، فعبّرت عنه بأنّه حقنٌ للدّماء فهو لعمر الحق الوسيله الوحيده التى تُحقن الدّماء على أساسها وتصان حرمتها، أمّا إذا تُرك الحبل على الغارب للمعتدين دون الإقتصاص منهم فقد وقعت الكارثه، وقد فسّر هذا السّر كتاب الله العزيز بقوله: «ولكم فى القصاص حياةٌ يا أُولى الألباب» [۸۵] .

والوفاء بالنذر تعريضا للمغفره

وهنا بادرةٌ لطيفه تواجهنا بها الزّهراء (عليها السلام)، وهى تقطع أشواطاً بعيدةً فى حديثها عن معالم الرساله الإسلاميه المقدسه، فالنّذر فى حقيقته لم يكن فرضاً كلّفت الرساله الإسلاميه أتباعها بإتيانه كبقيّه الفرائض [۸۶] ، وإنّما هو عمل يباح للمرء تعاطيه أو ممارسته، والنّذرُ فى واقعه لا يباح إلاّ إذا كان لله سبحانه، وسوى ذلك

فإنّه محظور على المرء ارتياده.

وحين يمارس الإنسان المسلم هذا العمل، فإنّما يعنى أنّه قد قيّد نفسه بنفسه بأداء فريضه لم يفرضها الله سبحانه، لأنّه هو نفسه قد أعلن طواعيّه هذا اللون من السُّلوك دون تكليف من السماء.

[صفحه ۱۷۵]

وحين يكون النّذر بمثابه سلوك يكلّف المرء به نفسه تقرُّباً إلى الله، فإنّ الوفاء به كوعد يقطعه الإنسان على نفسه يحقّق للإنسان ثواب الله ورضوانه، وهذه الحقيقه عينها قد حملت الزّهراء (عليها السلام) على إعلان فلسفه الوفاء بالنذر وأهدافه بقولها: «إنّه تعريض للمغفره والرّضوان».

و توفيه المكائيل والموازين تغييرا للبخسه

وهنا التفاته حكيمه من الزهراء (عليها السلام) حين تنتقل لمفهوم اقتصادى كبير لا يستغنى عنه مجتمعٌ من المجتمعات إطلاقاً وهو يتعلّق بالبيع والشّراء والمكيال والميزان، لأنّ المعاملات الإقتصاديه فى المجتمعات الإنسانيه لا تخرج عن هذه الإطارات الثابته.

وحين تملك المكاييل والموازين اليد الطّولى فى توجيه المعاملات الإقتصاديه المهمّه فى المجتمعات الإنسانيه، فقد أصبح لزاماً عليها أن تهتم بموازينها حفظاً لاستقامه البيع والشّراء، وابتعاداً عن التّلاعب وابتزاز الأموال والعبث بالمصالح الخاصّه أو العامه. والإسلام الحنيف بوصفه التّشريع الإلهى القويم الذى فهرس الحياه الإنسانيّه برمّتها، قد التفت إلى هذه الواقعه وأعطى رأيه الحاسم فيها، فأعلن على لسان دستوره الخالد تهديداته وإنذاراته للمتلاعبين بالأوزان والمكاييل بقوله: «ويل للمطفّفين – الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفونَ – وإذا كالوهم أو وزَنوهم يُخسِرون» [۸۷] .

كما أصدر تعليماته بضروره الإلتزام بالعدل بالكيل والوزن بقوله تعالى «وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان» [۸۸] .

وحين يملك مفهوم توفيه المكاييل والموازين هذه القدره الإيجابيه على حفظ التّوازن والعدل فى المجتمع ورفع الحيف والتّلاعب بالأموال عن الناس، فقد أصابت الزهراء (عليها

السلام) كبد الحقيقه بهذا الإعلان الرّصين الذى أوضحت فيه فلسفه تشريع توفيه المكاييل والموازين الهادفه إلى تخليص المجتمع من المظالم وابتزاز الأموال.

[صفحه ۱۷۶]

والنهى عن شرب الخمر تنزيها عن الرجس

واحتساء الخمر عادةٌ جاهليه، أعلن منهج الله سبحانه وتعالى على لسان أنبيائه وكتبه منع تعاطيها بأىّ شكل من الأشكال، والإسلام وهو الحلقه الخاتمه من حلقات الرّساله الإلهيه المباركه للنّوع الإنسانى قد أعلن هذه الحقيقه، فحمل دستوره الخالد بنداً تشريعيّاً ينص على اعتبار شرب الخمر أمراً محظوراً على النّوع الإنسانى.

وحين يعلن الإسلام رأيه الحاسم فى الخمر، فإنّما استهدف بذلك أن يحجب مجتمعه المبارك عن كثير من ألوان السُّلوك الشّاذ الذى يتمخّض عن احتساء الخمر: من ذهاب للعقل والشُّعور، وانهيار للأعصاب، وذهاب للمال، ووقوع للعداوه والبغضاء بين جماعه المحتسين للخمر.

والإسلام وهو منهج الله سبحانه ليس فى منطقه أمر محظور سوى ما يجلب الضّرر للإنسان، فرداً كان أم جماعه وسواءً أكان الضرر عقليّاً أم جسميّاً أم اجتماعيّاً، ولما كان الخمر يجرُّ إلى كثير من المشكلات كالعداوه بين الناس أو اذهاب للمال دون مبرر أو غير ذلك، فقد حكم الإسلام بتحريمه تحريماً قاطعاً على لسان كتابه المجيد: «... إنّما الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ رجسٌ من عمل الشّيطان فاجتبوه لعلّكم تُفلحون - إنّما يُريدُ الشيطان أن يوقع بينكم العداوه والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدّكم عن الصّلاه، فهل أنتم مُنتهون» [۸۹] .

فتحريمه كان بسبب ما يجرُّه من قبائح الأعمال التى تمثّل سلوكاً شيطانيّاً لا يقرُّه منطق منهج الله تعالى.

والزهراء (عليها السلام) ترسم بهذه العباره الرائعه فلسفه تحريم الخمر حين تقول: إنّ تحريمه بمثابه تنزيه وتخليص للإنسان عن كلّ عواقبه الوخيمه التى تمثّل نشاطاً جاهليّاً وعملاً

شیطانیّاً نجساً لا یرتضیه منطق الإسلام الحنیف الذی یتماشی مع الفطره، ویوائم المصلحه.

[صفحه ۱۷۷]

واجتناب القذف حجابا عن اللعنه و ترک السرقه ایجابا للعفه

مهما ارتفعت المجتمعات البشریّه إلی آفاق المثالیه، فإنّها لا یمکن أن تخلو من نفرٍ لم یبلغوا درجه الإستقامه بعد، وقد یبدو داء الإعوجاج فی فکرهم أو فی سلوکهم أو فی عواطفهم فیصبحوا علی هذا الأساس عضواً مغایراً فی طابعه للطّابع الاصیل فی المجتمع، وقد ینعکس هذا الإعوجاج فی کثیر من ألوان نشاطهم فی المجتمع وبأنماطٍ مختلفه وفی مجالات متباینه.

والمجتمع الإسلامی وإن کان هو المجتمع الوحید الذی یقف تحت رایه خالق الوجود سبحانه إلا أنّه لیس بدعاً من الأمر لأنّه لا یخلو من نفرٍ لم تنضج العقیده فی نفوسهم بعد، ولم تصقل عقلیّاتهم ونفسیّاتهم بالمفاهیم الإسلامیه المقدّسه فیندفعوا بعد ذلک لیزاولوا نشاطاً مخالفاً لما یرسمه الإسلام الحنیف من تعلیماتٍ وأحکام.

ومن هذه النشاطات التی شدّد الإسلام علی محاربتها قذف المحصنات والسّرقه، لأنّ هذین النّشاطین کلیهما اعتداءٌ علی الآخرین، فالأول اعتداء علی عرض، والآخر اعتداءٌ علی الملکیّه خاصّه کانت أم عامّه .

وقذف المحصنات هو تهمه یثیرها نفر من المغرضین حول بعض المسلمات المحصنات إحداثاً للبلبله وإیقاعاً للفتنه. وقد منع الإسلام هذه المفسده وشدّد علی مرتکبیها وجعل اللعنه نصیبهم.

وعلی هذا الأساس، فإنّ التخلُّص من غضب الله ولعنته یتحقق باجتناب القذف، وهذه الحقیقه قد أشارت لها الزّهراء (علیها السلام) فی هذا المقطع القصیر من خطبتها بقولها: «واجتناب القذف حجاباً عن اللعنه».

ولعلّ الزّهراء أرادت بذلک الإشاره إلی قول الله تعالی بهذا الشأن الذی ورد فی کتابه العزیز: «إنّ الذین یرمون المحصنات الغافلات المؤمناتِ لعنوا فی الدُّنیا والآخره ولهم عذاب عظیم...» [۹۰] .

[صفحه ۱۷۸]

فباجتناب القذف ورمی المحصنات تحجب اللعنه وینجلّی سخط الله سبحانه.

والسّرقه عملیّه لابتزاز أموال الغیر بصوره سرّیه أو بطریقه القوّه، وقد حکم الإسلام الحنیف بإبطال هذه الجریمه الإجتماعیه ومحو شبحها من قاموس الحیاه الإنسانیه؛ وشدّد علی مرتکبیها بقوله: «والسّارق والسّارقه فاقطعوا أیدیهما جزاءاً بما کسبا نکالاً من الله والله عزیزٌ حکیم...» [۹۱] .

وحین یعلن الإسلام هذا التّشریع الصّارم بحقّ السّارق بصفته معتدیاً علی أموال النّاس بغیر حقٍّ، فإنّما أراد أن یجعل من مجتمعه مثلاً رائعاً للعفّه والطّهاره التی ینبغی أن تطبع حیاه المجتمع الإسلامی المبارک.

وعلی هذا الأساس الرّصین أعلنت الزهراء (علیها السلام) فلسفه منع السّرقه وعدم مزاولتها کسلوک شاذ، بکونها إیجاباً للعفّه والنبل والطّهاره والخلق الإسلامی الکریم. وهذا ما تجلّی بقولها: «وترک السّرقه إیجاباً للعفّه».

[صفحه ۱۸۱]

نهایه المطاف

وبعد أن عشنا قلیلاً فی ظلال جزءٍ صغیر من خطبه الزّهراء (علیها السلام) الرّائعه، یطیب لنا أن نثبت هنا الخطبه کاملهً، إتماماً للفائده وإبرازاً لعظمه الزّهراء، فقد خطبت فی الجموع الإسلامیه المحتشده فی مسجد أبیها محمد (صلی الله علیه وآله) قائلهً: [۹۲] .

«الْحَمْدُ للّهِ عَلی ما أنْعَمَ، وَلَهُ الشُّکْرُ علی ما ألْهَمَ، وَالثّناءُ بِما قَدَّم، مِنْ عُمُومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها، وسُبُوغ آلاءٍ أسْداها [۹۳] ، وَتَمامِ مِنَنٍ أوْلاها؛ جَمَّ عَنِ الإحْصاءِ عَدَدُها؛ [۹۴] وَنَأی عَنِ الجَزاءِ أمَدها؛ وَتَفاوَتَ عَنِ الإدارک أبَدُها، وَاسْتَدْعَی الشُّکْرَ بِإفْضالِها، وَاسْتَحْمَدَ إلیَ الْخلائِقِ بِإجْزالِها، وثَنّی بِالنّدبِ إلی أمثالِها.

وأشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ الله وَحدَهُ لا شَریکَ لَهُ کَلمَهً جَعَلَ الْإخلاصَ تَأْویلَها، وَضَمَّنَ الْقُلوُبَ مَوْصُولَها؛ وأنارَ فی التَّفَکُّرِ مَعْقُولَها، الْمُمْتَنِعُ عَنِ الأبْصارِ رُؤیَتُهُ، وَمِنَ الْألسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ الأوْهامِ کَیْفِیَّتُهُ، ابْتَدَعَ الْأشیاء لا

مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَهَا، وَأَنْشَأها بِلا احْتِذاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَها [۹۵] ، كَوّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأها بِمَشِيئَتِهِ، مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ مِنْهُ إلى تَكْوِينِها، وَلا فائِدةٍ لَهُ فِي تَصْوِيرِها، إلاّ تَثْبِيتاً لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبِيهاً

[صفحه ۱۸۲]

عَلى طاعَتِهِ، وَإظْهاراً لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّداً لِبَرِيَّتِهِ، وَإعزازاً لِدَعْوَتِهِ. ثُمَّ جَعَلَ الثّوابَ عَلى طاعَتِهِ، وَوَضَعَ العِقابَ عَلى مَعْصِيَتِهِ ذِيادَةً لِعِبادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وحياشةً لَهُمْ إلى جَنَّتِهِ [۹۶] .

وَأَشْهَدُ أنَّ أبى مُحَمّداً صَلّى الله عَلَيْهِ وآلهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أنْ أرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أنِ اجْتَباهُ، وَاصطَفاهُ قَبْلَ أنِ ابْتَعَثَهُ إذِ الْخلائِقُ بِالغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِتْرِ الأهاوِيلِ مَصُونَةٌ، وَبِنهايَةِ الْقِدَمِ مَقْرُونَةٌ، عِلْماً مِنَ الله بِمايِلِ الأُمُورِ، وَإحاطَةً بِحَوادِثِ الدُّهورِ، وَمعْرفةً بِمَواقِعِ المَقْدُورِ.

إبْتَعَثَهُ الله إتماماً لأمْرِهِ وَعَزيمَةً عَلى إمْضاءِ حُكْمِهِ، وَإنْقاذاً لِمَقادِيرِ حَتْمِهِ، فَرَأى (صلى الله عليه وآله) الأُمَمَ فِرَقاً فِي أدْيانِها، عُكَّفاً عَلى نِيرانِها، عابِدَةً لِأوْثانِها، مُنْكِرَةً لله مَعَ عِرْفانِها، فَأنارَ اللهُ تَعالى بِأبِى مُحَمّدٍ ظُلَمَها، وَكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهَمَها [۹۷] ، وَجلّى عَنِ الأبْصارِ غَمَمَها [۹۸] ، وَقامَ فى النّاسِ بِالهِدايَةِ، وأنْقَذَهُمْ مِنَ الْغَوايَةِ، وَبَصّرَهُمْ مِنَ العَمايَةِ، وَهَداهُمْ إلى الدّينِ الْقَوِيمِ، وَدَعاهُمْ إلَى الصّراطِ الْمُسْتَقِيمِ.

ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ اِلَيْهِ قَبْضَةَ رَأفَةٍ وَاخْتِيارٍ، وَرَغْبَةٍ وَايثارٍ، فَمُحَمّدٌ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَاله عَنْ تَعَبِ هذِهِ الدُّنيا فِي راحَةٍ، قَدْ حُفَّ بِالْملائِكَهِ الْأبْرارِ وَرِضوانِ الرَّبِّ الْغَفّارِ وَمُجاوَرَهِ الْمَلِكِ الْجَبّارِ، صَلّى الله عَلى أبى: نَبِيّهِ وَأمِينِهِ عَلى وَحيِهِ، وَخِيَرَتِهِ مِنَ الْخَلْقِ وَرَضِيّهِ، وَالسّلامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَهُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

وَأنْتُمْ عِبادَ اللهِ [۹۹] نُصْبُ أمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَحَمَلَهُ دِينِهِ وَوَحيِهِ، وَأُمَناءُ اللهِ عَلى أنْفُسِكُمْ، وَبُلَغاؤُهُ إلَى الأُمَمِ؛ وَبَقِيّهُ اسْتَخْلَفَها عَلَيكُمْ: كِتابُ اللهِ النّاطِقُ، وَالْقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ؛ بَيّنَهٌ بِصائرُه، مُنْكَشِفَهٌ

سَرائِرُهُ، مُتَجَلّيهٌ ظَواهِرُهُ، مُعْتَبِطَهٌ أشْياعُهُ، قائِدٌ إلى الرّضْوانِ اتّباعُهُ، مُؤَدٍّ إلى

[صفحه ۱۸۳]

النّجاهِ اسْتِماعُهُ؛ فِيهِ تِبْيانُ حُجَجِ اللهِ المُنَوَّرهِ وَعَزائِمِهِ الْمُفسَّرهِ، وَمَحارِمِهِ الْمُحَذَّرهِ، وَبَيِّناتِهِ الْجالِيَهِ، وَجُمَلِهِ الشّافِيَهِ؛ وَبَراهِينِهِ الْكافِيَه، وَفضائِلِهِ الْمَنْدُوبَهِ، وَرُخَصِهِ الْمَوْهُوبَهِ، وَشَرائِعِهِ الْمَكْتُوبَهِ.

فَجَعَلَ اللهُ الْايمانَ، تَطْهِيراً لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصّلاه تَنْزيهاً لَكُمْ عَنِ الْكِبْرِ، وَالزّكاهَ تَزكِيَهً لِلنّفسِ وَنَماءً فى الرّزْقِ، وَالصيّامَ تَثْبيتاً للإخْلاص، وَالْحجَّ تَشْييداً لِلدّين، وَالْعدَلَ تَنْسيقاً لِلْقُلُوبِ، وَطاعَتَنا نِظاماً لِلْمِلّه؛ وَإمامَتَنا أماناً مِنَ الْفُرْقَهِ، وَالْجهادَ عِزّاً لِلْاسْلام وَذُلاً لأهْلِ الكُفْرِ والنِّفاقِ، وَالصّبْرَ مَعُونَهً عَلَى اسْتِيجاب الاَجْرِ، وَالأمْرَ بِالْمَعْرُفِ والنّهْىَ عَن الْمُنْكَرِ مَصلَحَهً للعامَهِ، وَبِرَّ الْوالِدَيْنِ وِقايَهً مِنَ السُّخْطِ، وَصِلَهَ الأرْحامِ مَنسَأهً [۱۰۰] فِي الْعُمْرِ وَمَنْماهً فى الْعَدَدِ، وَالْقصاصَ حقْناً للدّماءِ، وَالوفاءَ بِالنّذْرِ تَعْريضاً لِلمَغفِرَهِ، وَتَوْفِيَهَ الْمكاييلِ وَالْموازِينِ تَغْيِيراً لِلْبَخْسَهِ، وَالنَّهْىَ عَنِ الخَمْرِ تَنْزيهاً عَنِ الرِّجْسِ، وَاجْتِنابَ الْقَذْفِ حِجاباً عَنِ اللَعْنَهِ، وَتَرْكَ السَّرِقَهِ إيجاباً لِلعِفَّهِ، وَحَرَّمَ اللهُ الشِّرْكَ إخلاصاً لَهُ بِالرُّبُوبِيَّهِ «فَاتَّقوُا الله حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَأَطِيعُوا اللهَ فِيما أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهاكُمْ عَنْهُ، فَإنَّما يَخشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ».

أَيُّها النّاسُ، اعْلَمُوا أَنّى فاطِمَهُ وأَبى محَمّدٌ، أَقُولُ عَوْداً وَبَدْءً، ولا أَقُولُ ما أَقُولُ غَلَطاً، وَلا أفْعَلُ ما أَفْعَلُ شَطَطاً [۱۰۱] ، «لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُم عَزيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَريصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ» فَإنْ تَعْزُوهُ وَتَعْرِفُوهُ، تَجِدُوهُ أَبِي دُونَ نِسائِكُمْ، وَأَخا ابْنَ عَمّى دُونَ رِجالِكُمْ، وَلَنِعْمَ الْمُعْزى إلَيْهِ، فَبَلَّغَ الرِّسالَهَ، صادِعاً بِالنَّذارَهِ [۱۰۲] ، مائِلاً عَنْ مَدْرَجَهِ الْمُشْرِكِينَ [۱۰۳] ، ضارِباً ثَبَجَهُمْ [۱۰۴] ، آخِذاً بِكُظَمِهِمْ [۱۰۵] ، داعِياً إلى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَه وَالْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ، يُكَسِّرُ الأَصْنامَ وَيَنْكُتُ الْهامَ [۱۰۶] حَتّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوا الدُّبرَ، وَحَتّى تَقَرَّى اللّيْلُ عَنْ

[صفحه ۱۸۴]

صُبْحِهِ [۱۰۷] ، وَأَسْفَرَ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّين، وَخرِسَتْ شَقاشِقُ الشَّياطِينِ [۱۰۸] وَطاحَ وَشِيظُ النِّفاقِ [۱۰۹] وَانْحَلَّتْ عُقْدَهُ الْكُفْرِ وَالشِّقاقِ، وفُهتُمْ بِكَلمَهِ الإخلاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ البِيضِ الخِماصِ [۱۱۰] وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَهٍ مِنَ النّار [۱۱۱] : مُذْقَهَ الشّارِبِ [۱۱۲] وَنُهْزَهَ الطّامِعِ [۱۱۳] ، وَقُبْسَهَ الْعَجْلانِ [۱۱۴] ، وَمَوْطِىءَ الأَقْدام، تَشْرَبُونَ الطَّرَقَ [۱۱۵] ، وَتَقْتاتُونَ القَدَّ [۱۱۶] ، أَذِلَّهَ خاسِئِينَ، تَخافُونَ أنْ يتخطّفكُمُ النّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ، فَانْقَذَكُمُ اللهُ بِأبى مُحَمَّدٍ بَعْدَ اللتّيا وَالتى، وَبَعْدَ أنْ مُنِىَ بِبُهَم الرِّجالِ [۱۱۷] ، وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَهِ أهْلِ الكِتابِ «كُلّما أوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أطْفَأَهَا اللهُ» أوْ نَجَمَ قَرْنٌ للشّياطِينِ [۱۱۸] ، أوْ فَغَرَتْ فاغِرهٌ [۱۱۹] مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قَذَفَ أخاهُ فِى لَهَواتِها [۱۲۰] ، فَلا يَنْكَفِىءُ حَتّى يَطَأ صِماخَها بأخْمُصِهِ [۱۲۱] ، وَيُخْمِدَ لهبتها بِسَيْفِهِ، مَكْدُوداً فِي ذاتِ اللهِ، مُجْتَهِداً فِي أمْرِ اللهِ، قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللهِ، سَيِّداً فى أولياء اللهِ، مُشَمِّراً ناصِحاً مُجِدّاً كادِحاً، وَأنْتُمْ فِي رَفاهِيَهٍ مِنَ الْعَيش وَادِعُونَ فاكِهُونَ آمِنُونَ، تَتَرَبَّصُونَ بِنا الدَّوائِرَ [۱۲۲] ، وَتَتَوَكّفُونَ الأخْبارَ [۱۲۳] ، وَتَنْكِصُونَ عِنْدَ النِّزالِ [۱۲۴] ، وَتفِرُّونَ مِنَ الْقِتال.

[صفحه ۱۸۵]

فَلَمّا اخْتارَ اللهُ لنَبِيّهِ دارَ أنْبيائِهِ، وَمَأْوى أصْفِيائِهِ، ظَهَرتْ فِيكُمْ حَسِيكَهُ النِّفاقِ [۱۲۵] وَسَمَلَ جِلْبابُ الدِّينِ [۱۲۶] ، وَنَطَقَ كاظِمُ الْغاوِينِ [۱۲۷] ، وَنَبَغَ حامِلُ الآفِلِينَ [۱۲۸] ، وَهَدَرَ فَنِيقُ الْمُبْطِلِينَ [۱۲۹] ، فَخَطَرَ فِي عَرَصاتِكُمْ [۱۳۰] ، وأطْلَعَ الشّيطانُ رَأسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ [۱۳۱] هاتِفاً بِكُمْ، فألْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتجِيبِينَ، وللغِرَّهِ فِيهِ مُلاحِظِينَ [۱۳۲] .

ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُم خِفافاً، وَأحْمَشَكُمْ فألْفاكُمْ غِضاباً [۱۳۳] فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إبِلِكُمْ [۱۳۴] ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ. هذا وَالْعَهْدُ قرِيبٌ، وَالْكَلْمُ رَحِيبٌ [۱۳۵] ،

وَالْجُرْحُ لّما يَنْدَمِلُ، وَالرَّسُولُ لَمّا يُقْبَرُ؛ امْتِداداً زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَهِ «ألا فِي الْفِتْنَهِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنّمَ لَمُحِيطَهٌ بِالْكافِرِينَ».

فَهَيْهاتَ مِنْكُمْ وَكَيْفَ بِكُمْ، وَأَنّى تُؤْفَكُونَ، وَهذا كِتابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ: أُمُورُهُ ظاهِرَهٌ، وأَحْكامُهُ باهِرهٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَهٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَهٌ، فَقَدْ خَلّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، أَرَغْبَهً عَنْهُ تُدْبِرُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ «بِئْسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً، وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسلامِ ديناً، فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ، وَهُوَ فِي الآخِرَهِ مِنَ الْخاسِرِينَ».

ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا إلاّ رَيْثَما تَسْكُنُ نَفْرَتُها [۱۳۶] ، وَيَسْلَسُ قِيادُها، ثُمَّ أَخَذْتُم تُورُونَ وَقْدَتَها، وَتُهِيجُونَ مِنْ جَمْرِتِها، وَتَسْتَجِيبُونَ لِهِتافِ الشَّيطانِ الْغَوِىّ وَإِطفاءِ نُورِ

[صفحه ۱۸۶]

الدّينِ الْجَلِيِّ، وَإِهْمَالِ سُنَنِ النَّبِيِّ الصَّفِيِّ، تُسِرُّونَ حَسْواً فِي ارتِغاء [۱۳۷] وتَمْشُونَ لأَهْلِهِ فى السَّرّاءِ وَالضّرّاءِ، وَنَصْبِرُ مِنْكُمْ عَلى مِثلِ حَزِّ الْمُدى وَوَخْزِ السِّنانِ فِي الحَشى [۱۳۸] .

وَأَنْتُمُ الْآنَ تَزْعُمُونَ: أَنْ لا إرثَ لِي مِنْ أَبى: «أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيّهِ تَبْغُونَ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَومٍ يُوقِنُونَ».

أَفَلا تَعْلَمُونَ... بَلى قَدْ تَجَلّى لَكُمْ كَالشّمْسِ الضّاحِيَهِ : أَنّى ابْنَتُهُ.

وَيْهاً أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، أَأُغْلَبُ عَلى تُرابِ أبِي؟

يا ابْنَ أبِي قُحافَهَ؟!!

أَفِي كِتابِ اللهِ أنْ تَرِثَ أباكَ، ولا أرِثَ أَبِي؟

لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيّاً أَفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، إذْ يَقُولُ: «وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ»، وَقالَ فِيما اقْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيى بْنِ زَكَرِيّا إذْ يَقُولُ: «رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً» وَقالَ: «وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعض فِي كِتابِ اللهِ»، وَقالَ: «يُوصِيكُمُ اللهُ فى أَوْلادِكُمْ لِلذّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ»، وَقالَ: «إنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّهُ لِلوالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالمَعرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ».

وَزَعَمْتُمْ أَنْ لا حَظْوَهَ لِي [۱۳۹] وَلا إرْثَ مِنْ أبى وَلا رَحِمَ بَيْنَنا،

أَفَحَصَّكَمُ اللهُ بِآيَهٍ أَخْرَجَ مِنها أبِى؟

أمْ تَقُولُونَ: أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لا يَتوارَثانِ؟

أَوَ لَسْتُ أَنا وَأبِى مِنْ أَهْلِ مِلَّهٍ واحدهٍ؟

أَمْ أنْتُمْ أعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أبى وَابْنِ عَمِّى؟

فَدُونَكَها مَخْطُومَهً مَرْحُولَهً، [۱۴۰] تَلْقاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ، فَنِعْمَ الحَكَمُ اللهُ، وَالزَّعِيمُ محمّدٌ، وَالموعِدُ الْقيامَهُ، وَعِنْدَ السّاعَهِ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ وَلا يَنْفَعُكُمْ إذْ تَنْدِمُونَ.

[صفحه ۱۸۷]

«وَلِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ، وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ، وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ».

يا مَعْشَرَ الْفِتْيهِ وَأَعْضادَ الْمِلَّهِ، وَحَضَنهَ الإِسْلام، [۱۴۱] ما هذِهِ الْغَمِيزَهُ فِي حَقِّى [۱۴۲] وَالسِّنَهُ عَنْ ظُلامتِى. أما كانَ رَسُولُ اللهِ أبِي يَقُولُ: «ألْمَرءُ يُحْفَظُ فى وُلْدِهِ» سَرْعانَ ما أَحْدَثْتُمْ، وَعَجْلان ذا أهالهٍ [۱۴۳] وَلَكُمْ طاقَهٌ بِما أُحاوِلُ، وَقُوّهٌ عَلى ما أَطْلِبُ وَأُزاوِلُ، أَتَقُولُونَ: ماتَ مُحَمَّدٌ، فَخَطْبٌ جَلِيلٌ، اسْتَوْسَعَ وَهْيُهُ، [۱۴۴] وَاسْتَنْهَرَ فَتْقُهُ؛ [۱۴۵] وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ، [۱۴۶] وَأَظْلَمَتِ الأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ، وَكُسِفَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَانْتَثَرَتِ النُّجُومُ لِمُصِيبَتِهِ، وَأَكْدَتِ الآمالُ، [۱۴۷] وَخَشَعَتِ الْجِبالُ، وَأُضِيعَ الْحَرِيمُ، وَأُدِيلَتِ الْحُرْمَهُ عِنْدَ مَماتِهِ، [۱۴۸] فَتِلْكَ وَاللهِ النّازِلَهُ الْكُبْرى وَالمُصِيبَه الْعُظْمى، الّتى لا مِثْلُها نازِلَهٌ وَلا بائقَهٌ عاجِلَهٌ [۱۴۹] ، أَعْلَنَ بِها كِتابُ اللهِ جَلَّ ثَناؤُهُ فِي مَمْساكُمْ وَمَصْبَحِكُمْ هِتافاً وَصُراخاً وَتِلاوَهً وَإِلْحاناً، وَلَقَبْلَهُ ما حَلَّتْ بِأنبياءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، حُكْمٌ فَصلٌ؛ وَقَضاءٌ حَتْمٌ: «وَما مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبلِهِ الرُّسُلُ، أفَانْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أعْقابِكُم، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ، فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً، وَسَيَجْزى اللهُ الشّاكِرِينَ».

إيهاً، بَنِى قَيْلَهَ [۱۵۰] أَأُهْضَمُ تُراثَ أَبِى، وَأَنْتُمْ بَمرْأىً وَمَسْمَعٍ وَمُنْتَدىً وَمَجْمَعٍ، تَلْبِسُكُمُ الدَّعْوَهُ، وَتَشْمَلُكُمُ الْخِبْرَهُ وَأَنْتُمْ ذَوُو العَدَدِ وَالْعِدَّهِ وَالأَداهِ وَالْقُوَّهِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلاحُ وَالجُنَّهُ [۱۵۱] ، تُوافِيكُمُ الدّعْوَهُ فَلا تُجِيبُونَ، وَتَأْتِيكُمُ الصَّرْخَهُ فَلا

[صفحه ۱۸۸]

تُغِيثُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفاحِ، مَعْرُوفُونَ بِالخَيْرِ وَالصَّلاحِ، وَالنُّخْبَهُ الّتى انْتُخِبَتْ، وَالخَيرهُ الَّتى اخْتِيرَتْ، لَنا أَهْلَ الْبَيْتِ قاتَلْتُمُ الْعَرَبَ وَتَحَمَّلْتُمُ الْكَدّ وَالتَّعَبَ، وَناطَحْتُمُ الْأُمَمَ وكافَحْتُمُ الْبُهَمَ: فَلا نَبْرَحُ وَتَبْرَحُونَ، نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتَمِرُونَ، حَتّى إذا دارَتْ بِنا رَحَى الإِسلامِ، وَدَرَّ حَلْبُ الأَيّامِ؛ وَخضَعَتْ نَعْرَهُ الشِّرْكِ [۱۵۲] وَسَكَنَتْ فَوْرَهُ الْإِفْكِ، وَخَمَدَتْ نِيرانُ الْكُفْرِ، وَهَدَأتْ دَعْوَهُ الْهَرَجِ، وَاسْتَوسَقَ نِظامُ الدِّينِ، فأنّى جُرْتُمْ بَعْدَ الْبَيانِ، [۱۵۳] وأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإعْلانِ، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإقْدام [۱۵۴] ، وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الإيمانِ [۱۵۵] ، بُؤْساً لِقَوْمٍ «نَكَثُوا إيمانَهُمْ، وَهَمُّوا بإخراجِ الرّسُولِ، وَهُمْ بَدؤُكُمْ أَوّلَ مَرَّهٍ، أَتَخْشَوْنَهُمْ؟ «وَاللهُ أَحَقَّ أنْ تَخْشَوْهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤمِنينَ».

ألا وَقَدْ أرى أَنْ قَدْ أَخْلَدْتُمْ إلى الْخَفْضِ وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أحَقُّ بِالبسْطِ وَالْقَبْضِ، وَرَكَنْتُمْ إلَى الدَّعَهِ [۱۵۶] وَنَجَوْتُمْ مِنَ الضَّيقِ بالسَّعَهِ، فَمَجَجْتُمْ ما وَعيْتُمْ [۱۵۷] وَدَسَعْتمْ ما تَسَوَّغْتُمْ [۱۵۸] : «فإنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرضِ جَمِيعاً، فَإنّ الله لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ».

أَلا وَقَدْ قُلْتُ ما قُلتُ عَلى مَعْرِفَهِ مِنّى، بِالخذْلَهِ الّتي خامَرَتْكُمْ، وَالْغَدْرَهِ الَّتِى اسْتَشْعَرَتْها قُلوُبُكُمْ: وَلكِنَّها فَيضَهُ النَّفْسِ، وَبَثَّهُ الصَّدرِ، وَنَفْثَهُ الْغَيْظِ، وَتَقدِمَهُ الْحُجَّهِ، فَدُونَكُمُوها فَاحْتَقِبُوها دَبِرَهَ الظّهْرِ [۱۵۹] نَقِبَهَ الْخُفِّ، [۱۶۰] باقِيَهَ الْعارِ؛

[صفحه ۱۸۹]

مَوْسُومَهً بِغَضَبِ اللهِ وَشنارِ الْأَبَدِ؛ [۱۶۱] مَوْصُومَهً ب «نارِ اللهِ الْموقَدَهِ التي تَطَّلِعُ عَلَى الْأفْئِدهِ إنَّها عَلَيهِمْ مُوصَدَهٌ» فَبِعَيْنِ اللهِ [۱۶۲] ما تَفْعَلُونَ «وَسَيعْلَمُ الّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ منْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ». وَأَنا ابنهُ نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذابٍ شَديدٍ. «فَاعْمَلوُا إنّا عامِلوُنَ، وَانْتَظِرُوا إنّا مُنْتَظِروُنَ».

[صفحه ۱۹۰]

کتابک

حقّاً کتابُک تحفهُ الأجيال

فيما احتوى عن أحمدٍ والآلِ

أهديته لمحمَّدٍ ووصيِّه

نعم الّذى أهديت خير مثال

إنّى مررتُ على السُّطور فهزَّنى

ما

فيه من حِكَمٍ ومن أمثال

ما أحوج الدُّنيا لمثلك كتاباً

يغذو الورى ببيانه السَّلسال

فاعمل لنشر عقيدهٍ وشريعه

هجرت وكادت تنطوى بزوال

عبد الحسين مهدى صالح

شكر وتقدير

يطيب لى وأنا آتى على خاتمه المطاف فى حديثى عن الصِّدِّيقه الزَّهراء (عليها السلام): أن أُقدّم جزيل شكرى وأجلّ تقديرى لأخى فى الله الأديب الألمعىّ الأُستاذ عبد الحسين مهدى الصّالح الذى تولّى مهمَّه استنساخ كتابى هذا عن نسخته الأُولى، ولا أملك غير أن ارفع يدىَّ بالضّراعه إلى الله العلىّ القدير أن يمنّ عليه بتوفيقاته، وأن يجعله دوماً من جنود دينه القويم وشرعه المقدّس، بمحمّدٍ وآله الطّاهرين.

المؤلف

پاورقى

[۱] ذخائر العقبى: للطبرى.

[۲] ذخائر العقبى

[۳] المناقب للخوارزمى.

[۴] ذخائر العقبى للطبرى.

[۵] الدمعه الساكبه.

[۶] الأُسره المسلمه.

[۷] الدّمعه الساكبه.

[۸] المناقب للخوارزمى.

[۹] المناقب للخوارزمی.

[۱۰] المناقب للخوارزمی.

[۱۱] المناقب للخوارزمی.

[۱۲] فضائل الخمسه من الصّحاح السته.

[۱۳] المجالس السنّیه.

[۱۴] المجالس السنیه.

[۱۵] ذخائر العقبی.

[۱۶] سوره الاحزاب آیه، ۳۳.

[۱۷] إعلام الوری، الطبرسی، فضائل الخمسه من الصّحاح السته.

[۱۸] سوره آل عمران آیه، ۶۱.

[۱۹] مناقب آل أبی طالب.

[۲۰] سوره آل عمران آیه، ۵۹.

[۲۱] نور الابصار، الشبلنجی.

[۲۲] ینابیع المودّه للقندوزی.

[۲۳] مجمع البیان، الطبرسی.

[۲۴] سوره الشوری آیه، ۲۲.

[۲۵] سوره الإنسان آیه، ۷ ۱۳.

[۲۶] المناقب للخوارزمی.

[۲۷] وعاظ السلاطین، الوردی.

[۲۸] سوره الحشر، آیه ۷.

[۲۹] سوره آل عمران آیه، ۳۱.

[۳۰] سوره النجم، آیه ۳ ۶.

[۳۱] الدّمعه الساکبه.

[۳۲] کشف الغمه، الإربلی.

[۳۳] الفکر الإسلامی، محمد محمد اسماعیل عبده.

[۳۴] هناک أصناف أُخری نصّت علیهم آیه ۳۱ من سوره النور المبارکه وهم: ابن الزوج وأبوه، والأخ ونساء المؤمنین والأیله والأمه وغیرهم.

[۳۵] الدّمعه الساکبه.

[۳۶] الدمعه الساکبه، حیاه الإمام الحسن (علیه السلام) ج ۱.

[۳۷] المجالس السنیه.

[۳۸] المراجعات، شرف الدین نقلاً عن الحاکم والطّبرانی فی

الكبير وغيرهما.

[۳۹] الإحتجاج، الطبرسی.

[۴۰] اقتصادنا، الصدر.

[۴۱] سوره الحشر، آیه، ۶ ۷.

[۴۲] یقول ابن کثیر فی تفسیره: «إنّ القائلین بأن آیه «وآت ذا القربی حقه...» هی التی أوحت للرسول (صلی الله علیه وآله) فی منح (فدک) للزهراء علی جانب کبیر من الخطأ لأنّ هذه الآیه من سوره الاسراء، وسوره الإسراء مکیّه، وقضیّه فدک بکل أبعادها وقعت فی المدینه، ولعل هذا الإدعاء من وضع الرافضه».

وأنا أعجب من هذا القول الّذی یصدر من عالم کبیر کابن کثیر، ویشتدُّ فی استدلاله علی أنّ هذه الآیه لا یُستدل بها ما دامت من سوره الاسراء المکیه، علماً بأنّ کثیراً من السور المکیّه تنطوی علی آیات مدنیّه، وهذه السوره (سوره الاسراء) بضمنها، فهی تحتوی علی عدد من الآیات المدنیه کهذه الآیه عینها «وآت ذا القربی حقّه...». کما ورد ذلک فی تفسیر الکشّاف للزّمخشری، وفی ظلال القرآن، سیّد قطب. ولیعلم ابن کثیر: أنّ هذه الآیه لیست وحدها آیه مدنیّه فی هذه السُّوره، بل هناک الی جانبها آیه ۳۲، ۳۳، ۵۷، ۷۳، الی آیه ۸۰.

[۴۳] کشف الغمه للاربلی.

[۴۴] سوره مریم آیه، ۶ ۳.

[۴۵] النّص والإجتهاد، شرف الدین.

[۴۶] ورد فی ذخائر العقبی: أن الرّسول (صلی الله علیه وآله) قد بشّر أُمّ أیمن بالجنّه.

[۴۷] اقتصادنا ج ۲.

[۴۸] کشف الغمه.

[۴۹] إن کان فی هذا الإستدال حجه فهی علی نقض غرض المؤلف فیما ذهب إلیه ویقال فی جوابه: إنّ أبا بکر وأرکان دولته کانوا علی علم الیقین من أنّ أهل هذا البیت الذین یؤثرون علی أنفسهم ولو کان بهم خصاصه کما تشهد بذلک سوره هل أتی سوف لا یستأثرون بواردات فدک وإنّما یبذلونها فی سبیل الله علی المعوزین والمحتاجین، والإنسان کما یقول أمیر

المؤمنين (عليه السلام) عبد الإحسان، وعندئذ سوف تميل القلوب بطبعها إلى عليٍّ، وكان القوم يؤكدون على بغض عليٍّ ويثيرون كوامن النفوس بأن علياً (عليه السلام) قتل شجعان العرب فهم موتورون منه، وزعموا أنّ العرب كرهت أن تجتمع النبوّه والخلافه فى بيت واحد، وعلى هذا الأساس قامت دولتهم، ووجود الثّروه بأيدى أهل البيت يعنى أنّه سيؤدى نفس الدّور الذى أدّته أموال خديجه، ولا يتنافى تصور السُّلطه هذا مع الموقف الحقيقى لأهل البيت تجاه فدك، كما لا يكون مبرّراً لاغتصابها أبداً، فهناك حدود شرعيه لا يجوز تعدّيها. وأعجب من كلّ هذا تعبير المؤلف بشراء الضمائر، وهل يحرم بذل المال لاسترجاع الحق المغتصب وتثبيته أم يجب؟ لاسيما إذا توقفت عليه مصلحه عظمى كالقضيه التى يطالب بها الإمام على (عليه السلام)، وإذا كان هذا النّوع من بذل المال شراءً للضمائر وممقوتاً فى نظر المؤلف فماذا يقول عن بذل النبى (صلى الله عليه وآله) أموال خديجه فى نفس الغرض، ونؤكد للمؤلف الجليل أنّ هذا الغرض هو من الأغراض الشريفه وطريق مشروع لمن يريد أن يصل به إلى الهدف، أما استخدامه فى الطرق غير المشروعه لأنّ الغايه تبرر الواسطه فهذا ما لا يتوهمه فى عليٍّ وفاطمه (عليهما السلام) لا أبو بكر ولا حتى إبليس.

وبعد فإنما دفعنى لهذه التعليقه بيان الحقيقه لا غير وكمسأله تستحق المناقشه وأستميح المؤلّف عذراً وشكراً له إن عفى وصفح.

[٥٠] عجم العود: عضّه بأسنانه ليختبره.

[٥١] شنأتهم: أبغضتهم، وسبرتهم: اختبرتهم.

[٥٢] تدلُّ هذه الفقرات على النيل بسوء والتواء.

[٥٣] الرّبقه: بالكسر عروه فى حبل يجعل فى عنق البهيمه. والأوقه الثقل، والضّمير للخلافه أو فدك.

[٥٤] العَقر بالفتح الهلاك.

[٥٥] الطين الفطن الحاذق بالأمور.

[٥٦] التنمّر: الغضب.

[٥٧] سجحاً بضمتين:

ليناً سهلاً .

[۵۸] الكلم: الجرح، والخشاس بالكسر ما يجعل فى أنف البعير.

[۵۹] أى عظمت بطونهم من الشراب.

[۶۰] أى لم يستفد منه بكثير.

[۶۱] الناهل: العطشان.

[۶۲] احتنكه: استولى عليه.

[۶۳] الذنابى بالضم : ذنب الطائر. والقوادم: الريشات العشر من مقدم الجناح.

[۶۴] الكاهل: ما بين الكتفين.

[۶۵] الذعاف بالضم : السم.

[۶۶] الجأش بالهمزه: النفس والقلب.

[۶۷] كشف الغمه للإربلى.

[۶۸] الدمعه الساكبه.

[۶۹] المجالس السنيه.

[۷۰] شرح نهج البلاغه.

[۷۱] سوره محمد آيه، ۱۲.

[۷۲] سوره التوبه آيه، ۲۲.

[۷۳] المدرسه الإسلاميه ج۱ محمد باقر الصدر.

[۷۴] سوره الأعراف، آيه، ۹۶.

[۷۵] المجالس السنيه ج ۵ محسن العاملى.

[۷۶] المراجعات، شرف الدّين.

[۷۷] الفکر الإسلامی، محمّد محمّد اسماعیل عبده.

[۷۸] آخر آیه من سوره البقره.

[۷۹] سوره التّوبه آیه، ۷۱ یلاحظ تفسیر هذه الآیه فی (تفسیر التبیان للطوسی) لیتّضح إطار الأمر بالمعروف والنّهی عن المنکر.

[۸۰] سوره آل عمران، آیه، ۱۱۰.

[۸۱] منهاج الصالحین، الامام الحکیم.

[۸۲] سوره الإسراء، آیه ۲۳.

[۸۳] سوره النساء، آیه، ۱.

[۸۴] الأخلاق، عبد الله شبر.

[۸۵] سوره البقره، آیه، ۱۷۹.

[۸۶] الکشاف فی تفسیر سوره الدّهر.

[۸۷] سوره المطففین، آیه، ۱ ۳.

[۸۸] سوره الرحمن آیه، ۹.

[۸۹] سوره المائده، آیه، ۹۰ ۹۱.

[۹۰] سوره النور، آیه، ۲۳.

[۹۱] سوره المائده؛ آیه، ۳۸.

[۹۲] فی شرح النّهج لابن أبی الحدید: ج ۱۶ ص ۲۱۱ طبع دار إحیاء الکتب العربیه سند الخطبه هکذا: «قال أبو بکر أی احمد بن عبد العزیز الجوهری عن کتاب السقیفه : حدّثنی محمّد بن زکریا، قال: حدّثنی جعفر بن محمّد بن عماره الکندی، قال: حدّثنی أبی عن الحسین بن صالح بن حی، قال: حدّثنی رجلان من بنی هاشم عن زینب بنت علی بن أبی طالب (علیها السلام)....

قال: أی الجوهری وقال جعفر بن محمّد بن

علیّ بن الحسین عن أبیه...

قال أبو بکر: وحدّثنی عثمان بن عمران العجیفی عن نائل بن نجیح بن عمیر بن شمر عن جابر الجعفی عن أبی جعفر محمد بن علی (علیه السلام)...

قال أبو بکر: وحدثنی أحمد بن محمد بن زید عن عبدالله بن محمد بن سلیمان عن أبیه عن عبدالله بن حسن بن الحسن...

قالوا جمیعاً : لما بلغ فاطمه (علیها السلام) اجماع أبی بکر علی منعها (فدک) لاثت خمارها، وأقبلت فی لُمه حفدتها ونساء قومها، تطأ ذیولها: ما تخرم مشیتها مشیه رسول الله (صلی الله علیه وآله) حتی دخلت علی أبی بکر، وقد حشد الناس من المهاجرین والأنصار. فضربتٍ بینها وبینهم ریطه بیضاء: وقیل قبطیه.

ثم أنّت أنه أجهش لها القوم بالبکاء. ثم أمهلت طویلاً حتّی سکنوا من فورتهم.

ثم قالت: أبتدیء بحمد من هو أولی بالحمد والطّول والمجد... الحمد لله علی ما أنعم وله الشُّکر بما ألهم وذکر خطبه طویله جیّده قالت فی آخرها. فاتقوا الله حق تقاته...».

[۹۳] السبوغ: الکمال.

[۹۴] جمّ: کثر.

[۹۵] الاحتذاء: الاقتداء.

[۹۶] الذّیاده: الصّرف والحیاشه: الجمع والسّوق.

[۹۷] البهم بالضم جمع بهمه المبهمات والمعضلات من الامور.

[۹۸] الغمم بالضم جمع غمه: المشکل الملتبس.

[۹۹] خطاب إلی عموم الحاضرین فی المسجد.

[۱۰۰] منسأه للعمر: أی: مؤخره له.

[۱۰۱] الشطط بفتحتین : مجاوزه القدر.

[۱۰۲] الصدع: هو الاضهار، والنذاره بالکسر : هو الاعلام علی وجه التخویف.

[۱۰۳] المدرجه: هی المذهب والمسلک.

[١٠٤] الثبج بفتحتين : وسط الشيء ومعظمه.

[١٠٥] الكظم بالتحريك : الاجتراع ومخرج النفس من الحلق.

[١٠٦] النكت الضرب الشديد بأداه بحيث يؤثر فى المضروب.

[١٠٧] أى انشق حين ظهر الصباح.

[١٠٨] جمع شقشقه بالكسر ، وهى شيء كالريه يخرجها البعير من فمه اذا

اهتاج.

[۱۰۹] طاح: هلك. والوشيظ: السفله واراذل الناس.

[۱۱۰] المقصود من البيض الخماص: هم أهل البيت (عليهم السلام).

[۱۱۱] شفى بالقصر من كل شيء كرقه وطرقه.

[۱۱۲] المذقه: هو اللبن الممزوج بالماء كنايه عن سهوله شربه.

[۱۱۳] النهزه بالضم : الفرصه.

[۱۱۴] القبسه بالضم شعله من نار تقتبس من معظمها.

[۱۱۵] الطرق بالسكون : المستنقع أو المخاضه التى تبول فيها الابل.

[۱۱۶] القد بالفتح والتشديد : جلد السخله. وبالكسر سير من جلدٍ عليها مدبوغ.

[۱۱۷] البهم بالضم فالفتح : جمع بهمه، وهم الشجعان.

[۱۱۸] نجم: طلع. وقرن الشيء بالفتح : أوله المقصود اتباع الشيطان.

[۱۱۹] فغر فاه: أى فتحه. والفاغره من المشركين أى الطائفه منهم.

[۱۲۰] اللهوات بالتحريك : جمع لهات وهى لحمه فى أقصى شفه الفم.

[۱۲۱] الصماخ: خرق الأذن الباطن من حيث الرأس، وأخمص القدم: مالا يصيب الارض من باطنها.

[۱۲۲] التربص: الانتظار، والدوائر جمع دائره، وهى صروف الزمان.

[۱۲۳] وتتوكّفون، أى: تتوقعون المصائب النازله بنا.

[۱۲۴] النكص: الإحجام والتأخر.

[۱۲۵] فى بضع النسخ (حسكه)، وهى النبته الشائكه، يكنى بذلك عن الحقد.

[۱۲۶] سمل: خلق، والجلباب: الإزار.

[۱۲۷] الكاظم: الساكت.

[۱۲۸] نبغ: ظهر، والخامل: المهمل الذّكر والسّاقط.

[۱۲۹] الهدير: ترديد البعير صوته فى حنجرته، والفنيق: الفحل الّذى لا يركب ولا يحمل عليه.

[۱۳۰] خطر البعير بذنبه: إذا رفعه مرّه بعد أُخرى، يضرب به فخذيه.

[۱۳۱] مغرزه: أى المحل الّذى يختفى فيه، تشبهاً له بالقنفذ.

[۱۳۲] الغرّه بالكسر والتشديد : الغفله.

[۱۳۳] أحمشكم: أى أغضبكم.

[۱۳۴] الوسم: الكىُّ.

[۱۳۵] الكلم: الجرح، والرحيب: الواسع.

[۱۳۶] النفره: القوم الذين ينفرون فى القتال، أو الجماعه يتقدّمون فى الأمر.

[۱۳۷] الحسو: هو الشرب شيئا فشيئا. والارتغاء: شرب الرغوه، وهو اللبن المشوب بالماء.

[۱۳۸] الحز: القطع، والمدى بالضم جمع مديه، وهى السكين، والوخر: القطع.

[۱۳۹] الحظوه: المكانه.

[۱۴۰]

مخطومه من الخطام بالكسر : المقود وهو ما يدخل فى أنف البعير ليقاد به، ومرحوله من الرحل وهو للناقه كالسرج للفرس. كنايه عن فدك المغصوبه.

[۱۴۱] الخطاب لعموم الأنصار.

[۱۴۲] الغميزه بالفتح : ضعفه فى العمل.

[۱۴۳] السِّنَهُ بالكسر : النّوم الخفيف.

[۱۴۴] وهيه: أى خرقه.

[۱۴۵] استنهر: اتسع.

[۱۴۶] الرتق: الاصلاح.

[۱۴۷] أى قلّ خيرها.

[۱۴۸] أُديلت: غلبت.

[۱۴۹] البائقه: الداهيه.

[۱۵۰] خطاب الى قبيلتى الاوس والخزرج من الانصار.

[۱۵۱] الجنه بالضم : ما استترت به من السلاح.

[۱۵۲] النعره بوزن الشعره : صوت فى الخيشوم.

[۱۵۳] جار عن الشيء: مال عنه.

[۱۵۴] نكص: أحجم وتأخر.

[۱۵۵] أخلد: مال وركن. والخفض: سعه العيش.

[۱۵۶] الدعه بالكسر : الراحه والسكون.

[۱۵۷] مجَّ الشراب: رماه من فيه.

[۱۵۸] الدَسع: القيء، وتسوغ الشراب: شربه بسهوله.

[۱۵۹] احتقبوها، أی احملوها علی ظهورکم، ودبره الظهر بالفتح فالکسر : الجراحه التی تظهر علی ظهر البعیر من الرحل.

[۱۶۰] نقب خف البعیر: رق وتثقب.

[۱۶۱] الشنار: العیب والعار.

[۱۶۲] الموصده: المطبقه.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ۱۴۲۶ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹